
fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب
عمرو المنوفي
الطبعة
2
رواية
لقاء مع ميت

الكتاب : لقاء مع ميت

المؤلف : عمرو المنوفي

تصميم الغلاف : أسامة علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 22901 / 2015

الترقيم الدولي : 978-977-778-045-2

الطبعة الأولى : 2016



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت- 02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

لقاء مع ميت

رواية لـ

عمرو المنوفي

"ربِّ إني قدْ مَسَّنِيَ الضُرُّ وأنتَ أرْحَمَ الرَاحِمِينْ"

إذا نزل مؤمن وكافر إلى البحر، فلا ينجو إلا من تعلم السباحة.

فالله لا يحابي الجهلاء.

فالمسلم الجاهل سيغرق، والكافر المتعلم سينجو.

د. مصطفى محمود

يجب أن تعيش في العالم، وكأنك تعيش في متحف ضخم من الغرائب.

الفنان الإيطالي دي كيريكو


fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

مقدمة مهمة

ليس لكل اللقاءات نفس الأثر والمردود الروحي على الإنسان. فاللقاء مع من تحب هو الأروع والأعلى مكانة والأقرب للقلب والروح، والذي سيمثل كل مراحل الشوق والهيام والشغف والطموح. بينما اللقاء مع من تكره، هو حفرة من حفر الجحيم، فلن تتمنى له أن يتكرر بسب أثاره النفسية والروحية، التي قد تعصف بكيانك وتخرج أسوأ ما فيك.

والحياة تصر دائمًا على أن تمنحنا بروفات متجددة للجحيم على الأرض، حتى نظن إننا قدمنا إلى هذه الحياة من أجل أن نتعذب فقط، ليس تكفيرًا لذنب أو للوصول إلى غاية، ولكن لأننا نستحق عن جدارة هذا العذاب، لو لم تكن قوي الإيمان في هذا الزمان فأنت في مشكلة حقيقية، فالعبث بكل الثوابت والمعتقدات قد بلغ حدًا يثير الرهبة والغثيان.

إن لقائي الحالي ولقاءاتي السابقة خارج هذه الحدود، بل تتعدى كل الحدود إلى أماكن أكثر خطورة ووحشة، لا يقتصر فيها الإيذاء على الإيذاء النفسي، بل تمتد للإيذاء الجسدي أيضًا، وتصل بكل بساطة إلى الموت.

لقائي كان مع الأحياء المشرفين على الموت، أو الموتى الأحياء كما أحب أن أطلق عليهم، وهم لا يشبهون الزومبي بأي حال من الأحوال، بمشيتهم المتصلبة، وجلودهم المتآكلة، وأطرافهم المتساقطة، ولست بالطبع أتحدث عن المرضى أو كبار السن المشرفين على الموت كفعل بيولوجي فقط، وكذلك لست أتحدث عن ضحايا قصص العشق الفاشلة اللذين فقدوا كل ثقة لهم في الحياة، فصاروا موتى من داخلهم.

بل أتحدث هنا عن لعنتي الخاصة؛ تلك الحاسة الجهنمية الملعونة التي خلّتها بعد حادث مروع، وصقلتها بخوضي في عوالم الجن والخوارق والمحظور، وغوصي في مستنقعها الشائك. حتى تبدلت تمامًا فصرت شخصًا آخر. شخص لا تتمنى أن تقابله ولا أن يقابلك هو ولو صدفة.

فلعنتي هي نوع من الإدراك المسبق (Prerecognition)، هكذا علمت بعد أن قرأت عنها في مواقع الإنترنت المتخصصة. فبعد أحداث كثيرة ومعقدة في حياتي، ظهرت لدي القدرة على التنبؤ بموعد موت بعض الأشخاص بمجرد رؤيتهم ووقوع بصري على وجوههم. فأرى الموت يرتسم في أحداقهم، شحوبه يلتهم ملامحهم، وبرودته تغزو قلوبهم، وبرغم ذلك هم عنه غافلون.

أنا غراب البين، و نذير الموت يسير على قدمين.

وهي لعمري تجربة مفزعة، خاصة عندما يكون من وقع تحت تأثيرها، هم أهلك، وأصدقائك، وجيرانك، والغرباء أيضًا، ناهيكم عن كل تلك القصص التي تربطني بذلك العالم الغامض، وبمن يخوضونها.

عالم الجن والموتى.

لتصغوا لي من البداية.

محدثكم أحمد عبد السلام، سيقودكم لعوالم الميتافيزيقا الخارقة، وعوالم الجن المبهجة.

فهل أنتم مستعدون للرحلة ؟

الغيب

المقهى

الحاجة الماسة إلى قدح القهوة المركز، وهي رغبة مضنية وملحة، وتتفوق في بعض الأحيان على رغبتنا في الحياة ذاتها.

" البن " تلك الحبات البنية الساحرة ذات الشكل والرائحة والملمس شديدو التميز، إنه مطلب المرهقين ليخرجهم من ظلمات الإضطراب إلى نور التركيز، وهو المادة الوحيدة المشروعة التي تمنحك النشوة دون آثار جانبية فادحة.

ذلك المشروب المقدس الذي خاضَ معارك شديدة، بين الاباحة والتحريم، حتى أصبح هو المشروب الأكثر شعبية في العالم، وصار يصنع بمئات الطرق والإضافات والنكهات.

يذكر لنا التاريخ أن من أقدم من تعرضوا لذلك المشروب الساحر، هو الرحالة والمغامر العياشي.

ففي معرض رحلته للحج، والتي سجلها تحت مسمى الرحلة العياشية، عام (1072هـ -1662م)، والتي خاض غمارها من الجزائر، فالمغرب مرورًا بمصر وليبيا، كان لذلك المشروب حظًا منها.

كان انبهار العياشي بمصر والحياة الإجتماعية فيها أكثر من أي مكان أخر قد زاره عبر رحلاته المتعددة.

وفيها زار العياشي المشايخ والأزهر، ونال بركة دعائهم كما كان يحلم ويأمل، وتشبع في نهم من عادات أهلها وتقاليدهم، ولمسته تلك العصى السحرية

الموجودة في جو مصر المفعم بالحياة والروح، فظل يدور في شعابها كالأسير.

وذات يوم ذهب الرحالة المغربي بصحبة رفاقه لزيارة الشيخ إبراهيم الميموني قدم لهم (كعكًا حسنًا)، وتلك عادة مصرية تعود إلى العصر الفاطمي على أقل تقدير، ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

وظن العياشي أن في ذلك مخالفة لعادة القوم من أهل مصر، الذين يتكارمون بينهم بشراب البن الذي يسمونه القهوة، ولعله في ذلك لم يفرق بين تقاليد يوم العيد والعادات اليومية المألوفة.

وانتهز الرحالة المغربي فرصة الحديث عن القهوة ليبين أنها في بلاده، ليست بطعام ولا دواء ولا شهوة، وأنها أيضا موضع جدل عنيف في المجتمع المصري، وانقسم العلماء في شأنها بين التحريم والإباحة، وعزز كل فريق حججه بالنَظْمِ والنثر، وإن كان أكثر العلماء مائلين فيها إلى الإباحة.

وترسخ قولهم بفعل أكثر الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب، زاعمين أنها تُعِيْنُ على السهر في العبادة ويستعين بها الطلبة كثيرًا في المطالعة الليلية.

ولاشك أنها تزيل ما يحصل في الرأس من تدويخ بسبب السهر أو خلو المعدة صباحًا، فإذا شربها الإنسان وجد في أعضائه نشاطًا.

ومع معارضته الظاهرة لشرب القهوة، فقد أشار العياشي إلى وجود مقاهٍ عامة يُعَدُّ فيها شراب البن الذي ذاع وانتشر في القاهرة لفوائده التي ذكرها، فضلا عن ميل الناس لتقليد الأمراء في شربها، وأستطيع أن أقول

أن القهوة ذلك المشروب الآسر: لم يترك مكان إلا ووضع بصمته فيه حتى التاريخ.

ولا تتعجبوا من ذكري لهذه التفاصيل الدقيقة، فهي عَرَض جانبي أو موهبة أخرى من مواهبي المتعددة، فذاكرتي أصبحت فوتوغرافية ذات قدرة عالية على الحفظ والفهرسة بعد ذلك الحادث المروع الذي ظهرت بعده كل قدراتي، فصرت لا أنسى شيئًا رأيته، أو قرأته، أو مررت به، أو حُكيَ لي، ولو ظهرت لديَّ هذه الملَكَة في سن مبكرة، لما كانت تجارة إنجليزي هي مصيري النهائي، ولما أصبحت الأرقام وقيود اليومية وحساب الأستاذ وميزانية كل عام هي لعنتي الأبدية.

بالتأكيد أنا لا أشبه في قوة ذاكرتي كيم بيك الذي استطاع بسبب إعاقته حفظ 12000 كتاب متنوع، منهم دليل الهاتف والعناوين البريدية ويمتلك قدرة فذة على استرجاعها ليصبح جوجل البشري، ولكن ما لدي من قدرة على حفظ التفاصيل، كانت كافية كي أمتلك شيئًا من المعلومات عن كل شيء، وهو شيء غير مبهج لو تعلمون، فالمعرفة هَمٌّ ثقيل ومسئولية فادحة، فإن لم تكن مستعدًا لها فأغلق أبواب الجحيم، وعش حياتك تتمتع بالجهل والراحة النفسية، فالجهل نعمة البسطاء.

والعجيب رغم هذه الذاكرة المتطورة، أنني ظللت لعدة سنوات لا أذكر تفاصيل ذلك الحادث المروع الذي تهشمت فيه سيارتي وكدت أفقد خلاله حياتي، حتى اقترب موعد اللقاء.

فنشطت ذاكرتي وشحذت خلايا مخي الرمادية، بعد أن ظلت هذه التفاصيل كامنة في أعماق عقلي، باهتة، مشوهة، إلى أن تلاشت غمامة جهلي، وأفصح عقلي أخيرًا عن أسراره الدفينة.

بدأ الأمر في ذلك المخيم الصيفي وهو الثالث لهذا العام، الذي أقمته مع بعض أصدقائي هذه المرة في مكان ساحر بالقرب من جبل الموتى، خلال زيارتنا الأولى لمنطقة سيوة التابعة لمرسى مطروح.

وتمتاز هذه المنطقة بوجود أربع مقابر وهي : س أمون- ني، وثيبرباثوت، و إيزيس، ومقبرة التمساح، مكان يفوح بالموت ولكنه يمنحنا الحياة والمغامرة والعزلة، وعبق التاريخ.

في المساء كان عليّ أن أذهب لأقرب مكان من مخيمنا وهو سوق بدائي تسوقنا منه في بداية رحلتنا، لأحضر بعض الأغراض والمأكولات التي انتهت معنا قبل يوم كامل وتأخر إحضارها.

السيارة تتحرك عبر طريق رملي مختصر عثرت عليه صدفة في وقت سابق أثناء رحلاتي لاكتشاف المنطقة..

الأضواء تمحق عتمة المكان، والإطارات تكافح مع أنين الموتور، أدندن مع مشغل الأغاني مقطع من أغنية فيروز سكن الليل، وروحي تنتشي مع الألحان، ولأول مرة رغم عدد مرات سماعي للأغنية أنتبه لكلماتها التي تتحدث عن عروس الجن وملك الجن، كانت إشارة لم أعرها اهتمامًا في وقتها وليتني فعلت.

الطريق مظلم، وعقلي سارح في ملكوت الكلمات :

" لا تخافي يا فتاتي فالنجوم تكتم الأخبار

وضباب الليل في تلك الكروم يحجب الأسرار"

أضغط دواسة الوقود أكثر مستمتعًا بوحدتي،

أدندن،

"لا تخافي فعروس الجن في كهفها المسحور

هجعت سكرى و كادت تختفي عن عيون الحور"

أشعِلُ لُفافَة تبغ.. عيناي معلقتان بالطريق الذي بدا بلا نهاية.

أشرد قليلًا.

أضغط دواسة الوقود أكثر وأكثر.

أدندن المقطع الذي أبدع في تاليفه جبران، والذي أعشقه تحديدًا في هذه الأغنية الحالمة.

" ومليك الجن إن مر يروح والهوى يثنيه

فهو مثلي عاشق كيف يبوح بالذي يضنيه "

وبدون مقدمات بدأت الكارثة!.

انطفأت مصابيح السيارة من تلقاء نفسها فغاب الضوء، وتلاشى صوت مشغل الأغاني ليعلو نبض قلبي، وفي النهاية توقف محرك السيارة عن العمل مع رَجّة عنيفة شملت السيارة بالكامل فكاد رأسي يصطدم بالزجاج الأمامي لولا حزام الأمان.

وقبل أن أتخذ أي رد فعل، وعيناي معلقتان على خزان الوقود الممتلئ بأكثر من نصفه، تضاعفت سرعة السيارة دفعة واحدة وبدون سبب واضح، وكأن هناك من يدفعها من الخلف صوب منطقة عاصفة ظهرت بقلب الطريق، وقد تألق بداخلها ضوء وامض متقطع.

ضغطت المكابح بكل قوتي دون جدوى.

لم يعد لي أي سيطرة على السيارة، التي كانت تندفع نحو المنطقة العاصفة كبرادة حديد يجذبها مغناطيس قوي.

وأمام عيناي الجاحظتان ظهر في منتصف المكان ما يشبه دوامة من الدخان ، توتر معها الهواء بداخل السيارة وأصبح أكثر ثِقلًا.

ومن خلف زجاج السيارة الأمامي الذي أخذ في التشقق، شاهدت ظهور تلك الظلال المخيفة غير محددة المعالم، والتي كانت تكافح للتخلص من سيطرة هذه الدوامة.

مجموعة من الأشباح أو أطياف لحيوانات ضخمة تطارد عبر الضوء والدخان، ثلاثة من البشر غير مُمَيّزي الملامح لهم أجنحة سوداء عظيمة كانت تكافح هي الأخرى للتخلص من أسر الدوامة، وفي الخلفية كان هناك أصوات نباح وعواء وقصف رعد عنيف، كاد ينخلع لها قلبي عند سماعها.

كان ما أمر به عنيفًا وصادمًا، ولا يشبه أي شيء مررت به من قبل، ولم أعرف حينها إن كان ما أراه حقيقيًا أم لا. كل ما أردته أن تتوقف السيارة ولا تندفع أكثر نحو تلك الدوامة المُريبَة ومخلوقتها المفزعة، الذي يمكن أن أقسم على أنهم ليسوا من البشر بأي حالٍ من الأحوال .

ضغطت مكابح السيارة هذه المرة بدون توقف وقد تصلبت يداي على عجلة القيادة، وفي لحظة خاطفة سمعت الدوي، لتطير على أثره السيارة، وكأنما انفجرت أسفلها قنبلة من الهواء المضغوط، قبل أن ترتفع لأعلى وتتدحرج على جانبها، لأشعر بآلام عنيفة في جسدي، لتتوقف بعدها نهائيًا على جانب الطريق مرتطمة بكتلة صخرية شاخصة هناك.

ومع عنف الصدمة كنت أتوقع أن تنفجر السيارة كما يحدث في أفلام هوليوود، وحالفني الحظ هذه المرة فالذي انفجر كان حقائب السيارة الهوائية لتحميني من تداعيات الإرتطام العنيف.

ولمدة غير محددة غامت الدنيا أمام عيناي، قبل أن أفتحهما لأجد الدوامة قد تمددت واحتوتني، لأسمع انفجار جديد على إثره تلاشت الدوامة وعاد الظلام أكثر كثافة، ليجتاحني بعدها ألم هائل في أذناي ، وكأنما هناك من يسكب سائل حارق بداخلهما، ومع تدفق السائل عبر رأسي شعرت بصدمة هائلة، مع ألم عاصف كأن هناك تيار كهربي عالي الفولت يحرق خلايا عقلي.

ما حدث بعدها هو ما كاد يفقدني صوابي، فقد صار جسدي أخف، وأقل وزنًا، وأكثر مرونة، وبوسيلة ما شعرت به يخرج متسللًا من بين الحطام زحفًا، وكأنني لا أمتلك بداخله أي عظام أو أن جسدي اكتسب قدرة الأفاعي على ضغط ومط جسدها.

للحظات طويلة شعرت بالخوف والضياع، قبل أن يجتاح جسدي هدوء عظيم لا سبب واضح له، وبعدها غمرني إحساسٌ طاغٍ بالسلام، وكأن هناك يدًا خفية ربتت على روحي.

وهذا كان كفيلًا لأن أشعر مؤقتًا بالإطمئنان، وأفقد الوعي لأستيقظ بعدها شخص أخر، تبدلت اهتماماته ومعتقداته.

وبعدها بدأت هِبَاتي تظهر.

فأصبحت أتنبأ بالموت، وأسمع الهاتف، وأرى بصمات الموت على وجوه الضحايا، وانغمست حتى أذناي في عوالم الجن والمحظور.

وكأنما كان مرور الوقت يسرق ذاكرتي، فبدأت أفقد كل تفاصيل ذلك الحادث المروع تدريجيًا، والذي لم أصل أو أهتم لتفسيره في حينها، فلم أعلم وقتها كما أعلم الآن أن هناك قوى شيطانية كانت تعمل من أجل ذلك..

الآن دعونا من هذه الثرثرة التي لا طائل من ورائها، فالوقت قد حان لهذا القدح السحري من القهوة دون لحظة واحدة من التفكير، فثلاثة أيام من عدم النوم هي في الحقيقة كارثة كونية، سواء أكانت على الجهاز العصبي، أو على الجسد ككل، ولكنها عادتي الكئيبة، فالنوم صديق لا أعرفه، ولا يَسُرُّهو برفقتي.

الأرق أصبح عادة مرهقة ومجهدة لم أستطع التخلص منها بعد، خاصة مع تعمقي في دراسة تلك الكتب الصفراء القديمة والمهترئة ذات العناوين الرنانة، والتي تحوي كل تلك العلوم والمعارف التي تتحدث عن سكان ما وراء العالم من جن ومخلوقات شيطانية أكثر إفزاعًا، والتي حاولت معها سبر أغوار ما يحدث لي وحولي من أحداث.

فعلى الرغم مما مررت به في حياتي لم أستطع التأقلم على كل هذه الأمور الغامضة التي تعصف بحياتي، ومع ظهور قدرتي الخارقة على التنبؤ بالموت، صار النوم عذاب مقيم.

فكل حلم أو رؤية أصبحتُ أُأَوِّلهُ على كونه كارثة قادمة، كل شخص يظهر في رؤياي بدأت أضعه في قائمة الموتى المحتملين.

الساعة الآن شارفت على الرابعة عصرًا، ومازال لديَّ لقاء مقيت في العاشرة مساءًا مجبر على إتمامه، والطريقة الوحيدة لأظل مستيقظًا ومتحفظًا بكامل تركيزي، هي قدح القهوة المركزة، وربما عدة أقداح.

المفزع أن القاهرة في هذا التوقيت بالذات تتحول لجهنم الحمراء، الزحام الرهيب، الحرارة الخانقة، الرطوبة التي تعجز معها على التنفس، والغريب أننا في فصل الشتاء!.

لا يمكن فهم جو القاهرة، كما لا يمكن فهم حقيقة تفكير المصريين، هم ذاتهم لا يفهمون أنفسهم.

ربما تتساءلون عن السبب الذي لا يجعلني أعود لمنزلي لأستريح، ثم أعود إلى المعادي لأتمم اللقاء، والسبب أنه منذ الظهيرة أصبح المنزل محرمًا عليَّ حتى أُتِمَّ هذا اللقاء..

مع من ولماذا ؟!

لن يفرق كثيرًا إن كان مسخًا أو ماردًا، أو حتى قاتلًا متسلسلًا ينتقل عبر العوالم. فللأسف أنا لا أملك أي معلومات عن طبيعة من دعاني للقاء، لا أملك غير العنوان الذي أتاني عبر رسالة مغلقة يحدد الزمان والمكان، على قماش حريري أسود، وكتب بمداد أحمر دموي، بداخل مظروف أسود، عثرت عليه موضوعًا فوق فراشي بجانب رأسي صباح اليوم، مع تحذير بعدم دخولي المنزل فور اعتلاء الشمس قبة السماء، وإلا تم عقاب كل قاطنيه بالموت..

كانت رسالة مُخِيفَة، ومرسلها لا يمزح، ومع الطلسم الذي زين الرسالة، أدركت طبيعة الأمر الملعونة.

والآن لنبحث في قلب المعادي عن مشروب القهوة المقدس، أنا أعرف أن هناك مقهى شهير ويناسبني جوه فعلًا.

جركو.

نعم كافيه جركو في المعادي تحديدًا في شارع 9. بالقرب من مطعم كيوي، والشارع قريب من موقعي الآن، دقيقة واحدة، وتحملني سيارتي إليه.

أصُفُّ سيارتي في الشارع الهادئ بالقرب من المقهى، وأنا أتخيل المغامرون الخمسة، وهم يقطعون شوارع المعادي الخالية رائعة التنظيم، بحثًا عن حل لأحد ألغازهم المثيرة،يطاردهم الشاويش علي أو فرقع كما يطلقون عليه.

أقطع المسافة التي تفصلني عنه بخطوات سريعة، فجسدي ينتفض طلبًا للكافين، ونيكوتين السجائر يزيده توترًا.

كافيه جركو.

مشاهدته من الخارج وحدها تبعث على النشاط والحيوية.

يوجد خارجه عدد ست طاولات للمدخنين بجوارها بعض المزروعات التي تمنح للمكان بهجة وحياة.

الإضاءة من الداخل مريحة منسجمة مع اللوحات الجدارية العملاقة، التي تظهر مشهد السماء والسهل الممتد عبر أعمدة معبد ما، هذا غير اللوحات الصغيرة الموزعة في أنحاء المكان بدقة وذوق.

المكان يغص بالعاملين في الزي الرسمي في أماكن عملهم خلف الماكينات وثلاجات العرض شديدة النظافة، والميزة أنه لا يوجد نادل ليزعجك، أنت تقوم باختيار ما تريده، يعده لك العامل ثم تحمله بنفسك لتجلس على طاولتك لتستمتع بالمذاق المميز للمشروبات المختلفة.

الجو كله حميم ومريح، كما أن كلمة يوناني ساحرة بالنسبة لي.

دلفت إلى المقهى الذي كان مزدحمًا كعادته بالزبائن متبايني العمر؛ شباب في سن الجامعات، وكبار في السن، وأسر صغيرة. إن شعبية المكان لا تحتاج لحديث.

جُلْتُ ببصري عبر الزحام، وللأسف كان المكان الوحيد الشاغر هو مقعد على طاولة يحتلها شخص أربعيني يبدو عليه الرقي كلورد إنجليزي ثلجي الشعر يرتدي ثيابًا كلاسيكية وساعة أنيقة تدل على ثراء لا بأس به، ونظارة ذات إطار مُذْهَب، وينهمك في العمل على اللابتوب الأبل الخاص به منفصلًا عن العالم المحيط به كليًا.

لا يوجد مكان شاغر أخر..

إنه مأزق حقيقي فلن أغادر المكان بدون فنجان قهوتي المركز، ولا طاقة عندي للبحث عن مكانٍ أخر أو الإنتظار حتى تخلو طاولة جديدة، كما أن المكان مناسب جدًا كنقطة انطلاق للموعد المرتقب.

لا تراجع إذن.

أعتقد أن بعض الكِيَاسَة، وكمية مناسبة من الإلحاح، ويسمح لي هذا الشخص الراقي بالجلوس على طاولته، و..

وهنا بدأ الكدر.

هل رأيتم ما رأيت ؟

هل لمحتم معي تلك النظرة المنكسرة التي تظلل وجه ذلك الرجل الأربعيني؟

إنها هي لا يمكن أن أخطئها، اللعنة بل ألف لعنة. ألن يتوقف ذلك الجحيم عن مطاردتي ؟!

- إنه سيموت غدًا.. سيموت غدًا لا محالة.

والآن هل سمعتم ذلك الهاتف الداخلي الكئيب، الذي أعلنها صراحة أن هذا الشخص الراقي سيموت غدًا.

اللعنة على تلك الحاسة المقيتة التي تفسد يومي وحياتي، وتزيد من تعذيبي، كعقاب بروميثيوس الأسطوري.

بروميثيوس بحسب الأسطورة اليونانية القديمة قام بسرقة قبس من نار المعرفة وأعطاه للبشر. الشيء الذي أغضب آلهة الأوليمب فكان عقابه أن سَلَّطَ عليه كبيرهم طائر الرُخ ليأكل كبده. وفي اليوم التالي ينمو له كبد جديد. وهكذا في عقابٍ أبديٍّ قاس.

الفرق بيني وبين بروميثيوس في حالتي هذه، أن طائر الرُخ الأسطوري الذي ينهش روحي، يقبع بداخلي فوق قمة أعلى جبال مخاوفي الكابوسية، وليس له موعد محدد ليعلن وجوده، ويقلب حياتي رأسًا على عقب.

- هل تريد الجلوس ؟.

قالها فقطع كل الأفكار السوداء التي تموج برأسي.

لم أعرف هل أجلس أم أتركه وأغادر، لكنه لم يمنح لي أي فرصة للمحاولة عندما أزاح اللابتوب الخاص به، وأشار لي أن أجلس في حميمية وذوق.

عيناي معلقتان على وجهه، وقلبي ينبض في قوة، والهاتف الغامض مازال يزعجني بصوته الكريه:

- سيموت غدًا.. سيموت غدًا لا محالة.

شحب وجهي، وزاغ بصري، ولم أعد قادرًا على التفكير السليم، خاصة مع جسدي المرهق وذهني المشوش، ورغبتي العنيفة في النوم.

هل أنصرف ؟!.

ستكون قلة ذوق بعد عرضه الكريم، لكنها في نفس الوقت الحل الوحيد والمريح للخروج من هذا المأزق، فلا قدرة عندي لخوض هذا الموقف مجددًا، يكفيني ما أنا فيه من قلقٍ وإرهاق.

مرت لحظات من الحيرة والرهبة والتشتت على روحي، وساعتها وجدت أن بعض التعقل قد تكون له فائدة، لقد فسد اليوم تمامًا فلا داعي إذن للهستيريا، فأنا مازلت بحاجة لقدح القهوة، قبل أن أبحث عن مكان أخر أقضي به الساعات المتبقية على موعدي، فلن أجلس طوال هذه الساعات أرمق هذا الميت الحي.

جهازي العصبي لن يتحمل كل هذا الضغط.

نظرت لوجهه الأحمر ذو الملامح الطفولية بنظرة فارغة، فبادلني نفس النظرة المسطحة، ليعود التوتر ليجتاح عمودي الفقري، ولأشعر بقلبي يخفق بعنف واضطراب.

فها هو نفس الموقف الساحق للأعصاب يتكرر الآن بكامل تفاصيله، بكل عذاباته، وجنونه، ونهايته الصادمة المؤجلة.

وها أنا ذا أقف أمام واحد من الموتى الأحياء، الذين لا يحلو لهم الظهور في محيط حياتي إلا في أسوأ الأوقات، مؤكدين على كونها لعنة متجددة، وليست هبة بأي حال من الأحوال.

لم أكن سعيدًا يومًا بامتلاكي مثل هذه القدرة المشئومة على التنبؤ بالموت، وأقسم لكم أني فعلت كل ما بوسعي كي أتخلص منها، ولكنها ظلت تطاردني حتى بعد أن زجرت عوالم الجن والسحر والشياطين، وتركتها خلفي بلا أدني رغبة في العودة لطرق أبوابها مطلقًا منذ عام كامل أو

الخوض في مستنقعاتها الكابوسية المروعة. فالخوض في هذه العوالم كإدمان المخدرات يبدأ بتجربة . وينتهي بكارثة.

لقد احترقت بما يكفي من نارها كي أعرف أنه من الحماقة أن أخوض تجربة جديدة، نتائجها المروعة على أعصابي وروحي، مدمرة، وغير مشجعة بتاتًا.

تأملت ملامح الرجل الأنيق للحظة. وأيقنت أن هناك مظاهر واضحة وجلية تكسو وجهه، وتختلف بشدة عن ملامح من رأيت على وجوههم تلك النظرة المنكسرة..

إن وجهه يَضُجُّ بالصحة والحيوية والدماء والنشاط. وملامحه مفعمة بالحياة والاطمئنان، كما أنه يعمل على جهازه المحمول بنشاط لا يدل على أن موعده مع الموت غدًا، أو نهاية الأسبوع لو خذلني حسن تقديري.

إنهم يتحدثون دومًا عن مؤشرات معروفة للمشرفين على الموت. مثل فقدان التركيز في الأيام الأخيرة. وانحسار الوعي وتركزه في عالم أخر، وعن حالة من الإنفصال عن الواقع والحياة. والحنين إلى الماضي، وفقدان الإهتمام بالأمور المعتادة. حتى أن بعضهم يهيم على وجهه مترقبًا وكأنه ينتظر لقاءًا خاصًا. وهذا لا ينطبق على هذا الشخص الغريب المليء بالحيوية التي يجلس أمامي، والذي قادني سوء الحظ لأقابله في أشد أيامي إرهاقًا.

فلتذهب كل المؤشرات التي يخترعها هؤلاء النصابون إلى الجحيم. فأنا أعلم جيدًا عما أتحدث، وأعرف مالا يعرفونه عن هؤلاء المحتضرين، وأمتلك من الموهبة والأسرار ما تجعلني قادرًا على رؤية تلك النظرة المنكسرة التي تكلل عيناه.

النظرة التي أعتبرها خاتم الموت، لقد وُصِمَ بالعلامة السوداء، ومن خبرتي هو يحيا أخر أيامه، وربما ساعاته الأخيرة أيضًا.

- اجلس لا حرج هناك.

قالها بصوته الهادىء الواثق، فرددت بيني وبين نفسي :سبق السيف العذل.

لن أستطع الآن أن أتصرف معه بوقاحة، لمجرد أنه قد أشرف على الموت، فمازالت جثته النابضة بالحياة تتعامل مع تطفلي بذوق وألفة. فقط سأحضر مشروبي الذي تأخر كثيرًا وأعود إليه.

ومن فوري توجهت صوب العامل المنهمك خلف ماكينته السحرية في إعداد الطلبات المختلفة بسرعة واحترافية، وطلبت اسبريسوا دبل، وانتظرت قليلًا حتى اعتصرت الماكينة روح حبات البن الطازجة التي تميز المكان، وروحي تترجرج بداخل جسدي مع رائحة القهوة المنبهة.

تناولت صحفتي، وتوجهت إلى الطاولة التي ينتظرني أمامها المقعد الخالي، والذي يجلس على المقعد المقابل له ضحيتي القادمة، منهمكًا في الكتابة على حاسوبه.

من أين يأتي البشر بكل هذة الحماسة، والقدرة على التركيز في الأماكن العامة المفتوحة ؟!.

دائمًا ما كنت أتعجب من ذلك الكاتب الذي يستطيع أن ينهي كتابه وسط البشر الأخرين.

الكتابة كممارسة الحب، تحتاج لعزلة وخصوصية.

لم أستطع برغم كل شيء أن أبعد عيني عن وجهه - الذي يذكرني بحسين فهمي العجوز الذي يشبه في حماره سلطعونًا مشويًا - برغم حرصي الشديد على أن يمر الموقف دون أن أزيده سوءًا بأيّ فعلٍ أحمق.

إلا أنه وكما يحدث معي دومًا في المواقف المماثلة، وجدت تلك الذكريات الشنيعة القادمة من الماضي تطفو فوق سطح عقلي، وتصطدم بروحي كشاحنة يهشمها قطار مسرع.

ذكريات كل أبطالها راقدون جميعًا تحت التراب، وربما تحول بعضهم إلى هياكل عظمية، بعد أن التهم لحمهم اليابس دود المقابر.

كانت قائمة ليست بالطويلة، ولكنها ليست بالقِصَر الكافي كي لا تترك بداخلي أثر عميق ومخيف ومربك، وهم على الترتيب: عمتي،عمي، جدتي، عم سعيد بائع الصحف، والشيخ مجدي.

الذكرى الأكثر إلحاحًا، والتي كانت تنغص عليَّ جلستي الآن، هي ذكرى وفاة عمتي همت.

الصدمة الأولى هي الأقوى والأكثر وقعًا على الروح.

الصدمة الأولى هي الأكثر تركيزًا، وألمًا، وتأثيرًا.

الصدمة الأولى هي العذاب المقيم.

أرمق الوجه الطفولي لذلك الرجل المنهمك في عمله، والذي لا يعرف ما يخبئه له الغد، لو كان له أن يحضر غروب شمسه، وصورة عمتي همت ماثلة أمام عيني.

ارشف من مشروبي عدة رشفات أستدعي بها شجاعة غائبة لا يستحضرها ذلك المشروب المركز، وبرغم ذلك يعيد المشروب القوي النشاط لجسدي ويشحذ الذاكرة أيضًا.

ومع رائحة المشروب الذكية، تداعت الذكريات.

في هذا اليوم الكئيب والذي يبتعد عني سنوات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، كنت مستلقيًا في غرفتي بعد يوم عصيب قضيته بصحبة خطيبتي رباب، والتي يبدو أنها قد قررت أن تحول حياتي إلى جحيم لسبب لا أعلمه، وربما لا تعلمه هي أيضًا.

ممددًا فوق فراشي أجتر أحزان يومٍ لا داعي لها، وقد هيأت نفسي لنهاية هذا اليوم الطويل، وقررت أن أتصفح مخطوطة قديمة لكتاب الروح لأحمد فهمي أبو الخير، عثرت عليها في وقت سابق لدى بائع كتب مستعملة، لتعينني على عبور تلك المشاعر السلبية، وتساعدني على النوم.

وفي لحظة ما، تحديدًا تلك اللحظة التي كنت أقرأ فيها عن صفة الروح، وكيف أنها خلقت من مادة ألطف وأرق من مادة الجسد وأعلى اهتزازًا، وكيف أن الأكتوبلازم مع وجود الوسيط المناسب يساعد على الوصول لدرجة الاهتزاز المناسبة، مما يؤدي لحضور الروح..

فالروح المستدعاة في تلك الجلسات تستعين بالأكتوبلازم الموجود بخلايا الحاضرين لتتجسد، فيشعرون ساعتها بنوع من الخفة نتيجة هذا التقارب، قبل أن تنصرف الروح لتعود لهم أوزانهم، بعودة تلك المادة التي نجحوا في رصدها بكاميرا الأشعة تحت الحمراء، بل وحللها العلماء ميكرسكوبيًا.

كانت المعلومات شائقة بالفعل حتى أنها أنستني مشاكل اليوم، وأدخلتني لعالمي المفضل، عالم الغموض.

وفي تلك اللحظة تحديدًا سمعت الهاتف يدوي في أذني، والصوت الكريه يزلزل وجداني:

- ستموت عمتك همت في الغد.. ستموت لا محالة.

انتفضت في مكاني من هول المفاجأة كمن لسعه عقرب، ليسقط الكتاب من بين يدي، وأنا أتلفت حولي في قلق، وقد هاجمتني كل ذكرياتي المقيتة عن لقائي بالجن.

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وأخذت أتلفت حولي، وأنا أقرأ آيات الحماية، متوقعًا حضور أحدهم.

إن رصيدي من المواقف مع عالم الجن لا يستهان به، وفكرة أن هناك من يترصدني منهم، تلقى قبولًا جامحًا عندي، خاصة وأن ما مررت به عند خوضي في هذه العوالم الشنيعة، جعلني أوقن أن هناك من يلازمني منهم، وربما حضر هنا والآن ليؤذيني، أو ليعبث معي.

إن نفسية الجان عصية على الفهم، كما أن أفعالهم لا يمكن الإستناد إلى قاعدة لتفسيرها، لذا هم مخيفون على الدوام.

هززت رأسي في قوة، في محاولة مني لإيقاف تردد ذلك الصوت الكريه داخل أروقة عقلي بكل وسيلة، دون جدوى.

لم يكن هذا الصوت ينتمي لأي شيء أعرفه،إن هذا الصوت ينبع من داخلي، وليس من مصدرًا خارجيًا.

لقد أصبحت خبيرًا في أعراض ظهور الجان التي لا أشعر بها تحدث معي الآن.

وبرغم هذا انتصب شعر جسدي، وشعرت بالقشعريرة تزحف على عمودي الفقري، وفي لحظة ما تيقنت أن ما يحدث معي هو شيء من خارج هذه العوالم المشئومة، وهذا ما أثار قلقي أكثر.

إن انتماء صوت غامض ينذرك بالموت لعالم الجن هو شيء مفزع، وعدم انتمائه لهذا العالم هو شيء مفزع أكثر، فالمجهول يخيف أكثر.

ظل هذا الصوت المُقبِض يتردد بداخل عقلي حتى استولى على كياني بالكامل ، وبدا وكأنه سيظل يتردد إلى الأبد، أو حتى أُصَابُ بالجنون.

- ستموت عمتك همت في الغد.. ستموت لا محالة.

حاولت أن أستمر في قراءة القرآن، ولكن الصوت كان يشتت ذهني، بل ويجعلني أردد الآيات بطريقة خاطئة، لتزيد من فداحة الأمر.

داهمتني حالة من الهستريا، فأخذت أحَدّث نفسي كالمجاذيب :

- يا إلهي الرحيم، ما هذا الصوت المخيف، ولماذا عمتي، ولماذا الآن، وما علاقتي بهذا الهاتف الذي يهتك حُجُبَ الغيب؟!.

فزعي يتضاعف، والصوت يتردد في رأسي بإصرار مخيف، لأشعر بجسدي يزداد برودة، والخدر يتسلل إلى أطرافي.

- ستموت عمتك همت في الغد.. ستموت لا محالة.

انتفضت من فوق الفراش أزرع الغرفة جيئة وذهابًا، في محاولة يائسة جديدة مني لوأد الصوت، دون أدنى أمل في توقفه، وفي النهاية صرخت في

عنف، وأنا أتوجه بنظري إلى الفراغ، مُحَدِّثًا شخصًا خفيًا أنكر وجوده، وأرهبه:

- لا يعلم الغيب إلا الله.. لا يعلم الغيب إلا الله.

أخذت أرددها، محاولًا إقناع ذهني المكدود بصدقها، ليرد على الصوت بإصرار:

- ستموت عمتك همت في الغد.. ستموت لا محالة.

صرخت في عنف وكأنما أصابني الخبال، ولولا أن غرفتي في آخر الرواق وتفصلها غرفة الضيوف الخالية عن باقي البيت، لوجدت جميع من في المنزل على رأسي.

لا شيء يجدي مع هذا الصوت المنفر!!.

ومع الوقت تحول إلحاح الصوت من مجرد وساوس وهلاوس إلى يقين.

لم أعد متأكد من كونها تخاريف عقل مجهد، وبدأ الأمر يتخذ معي صبغة كابوسية.

وعندها تجسدت أمام ناظري بطريقة واضحة جدًا، وكأنني أعايش الموقف بنفسي، صورة عمتي البشوشة الضاحكة، التي لا تَكُفُ عن مغازلة الحياة ولا تكف الحياة عن مغازلتها، مُسَجَاةٍ في قبرها، وقد تم تكفينها بكفن أبيض احتوى جسدها البدين في صعوبة، والظلام من حولها كفنٌ ثانٍ، والقبر كفنٌ ثالث.

ظلمات خلفها ظلمات.

الأشنع كان تلك الرائحة الترابية المكتومة، التي تسللت إلى أنفي، والتي يفوح بها القبر.

صدمني الموقف بشدة، جثة عمتي مُسجّاة على أرضية القبر الترابية الرطبة، وأنا معها بداخل القبر كشاهد حيّ على موتها وبداية رحلتها إلى العالم الآخر.

أيُّ هولٍ هذا الذي أراه، وأنصت إليه.

تشبعت روحي بالظلام والبرد والرائحة، ثالوث الموت.

وللحظة فقدت الشعور بأطرافي، وخذلتني قدماي، فسقطت فوق الأرض أهذي، وقد غمرني إحساس مخيف، بأن عمتي لم تعد على قيد الحياة، وبأنني لابد ولاحقٌ بها في القريب العاجل..

ومن هول الصدمة شرعت أعزي نفسي على فقدها..

كنت كالغريق الذي أفقدته ثورة المياه قدرته على السباحة التي يجيدها، فظل على فزعه حتى كاد يهلك.

وعندما تلاشى المشهد بكل تفاصيله وليس آثاره، ظهر في ذهني المكدود صورة خالي محمود كطوق نجاة أخير، إنه أكثر خبرة مني بهذه العوالم، ولابد أن لديه تفسير لما مررت به، فقررت زيارته عند انبلاج النهار.

وخلال ساعات الليل الطويل، ظلت صورة عمتي الملفوفة في كفنها الأبيض بداخل قبرها المظلم تُلِحُّ على رأسي، وكأن موتها أمر محسوم وانتهى.

حاولت أن أطرد الصورة من رأسي دون فائدة، وفي النهاية انهرت فوق فراشي ، منهك، مرهق، يغمر العرق جسدي، وكأني مصاب بالحُمَّى، وساعتها بكيت كما لم أبكي في حياتي.

ومنذ انبلاج صباح اليوم التالي كنت أنتظر بترقب ذيوع الخبر، فأنا أعلم اليوم، ولا أعلم الموعد.

كما يخبر الأطباء المريض بأنه سيموت خلال ستة أشهر، ويعجز كُلٌّ منهم على تحديد اللحظة الحاسمة، ليقبع هو في جحيم الانتظار.

كنت كالطالب أنتظر نتيجة امتحان لم أخضه ولكنه سيحدد مستقبلي، لم تعد فكرة اطلاع خالي على ما يحدث تلقى القبول السابق في نفسي، ولسببٍ ما احتفظت بسري الشنيع، وكأن هناك قوة أكبر مني، قد منعتني أو حالت بيني وبين أن أخبره بالأمر، أو أن أتلقى نصيحته.

مرت ساعات اليوم كئيبة وثقيلة، والهاتف لم ينقطع، وكأنه صدى صوت روحي المُعَذَّبَة، إلى أن جاء الخبرالأسود، ليطرق أبواب منزلنا.

ماتت عمتك..

ويومها عرفت، أن الهاتف لم يكن وهمًا، بل كان غراب شؤم، ونذير موت اختصني وحدي بهذه المعرفة السوداء، ولا أخفي عليكم خبرًا فقد أصبحت أخشى نفسي كثيرًا، وأخشى عليها أكثر.

بدأ العذاب الحقيقي في مساء يوم دفنتها، كنت مرهقًا من إعدادات اليوم والدفن، والعزاء، والحاح خطيبتي لإبراز مشاعرها وقدرتها على احتوائي، في وقت كل ما كنت أريده هو الخلوة، فأصبح إلحاحها عبئًا نفسيًا جديد انهيته بإغلاق الهاتف.

من رأني في هذا اليوم أقسم أن حزني كان يفوق حزن زوجها وأولادها، ومن سوء حالتي واضطرابي ألحوا جميعًا عليَّ بالانصراف، ولكني لم اكن لأسامح نفسي لو لم أتم من أجلها مراسم العزاء، لقد بدأت محنتي تتسع، وبدأت في لوم وتقريع نفسي على موتها، وكأنني أملك من الأمر شيء.

الفكرة التي كانت تسحقني هي عدم قدرتي على تحديد إن كانت معرفتي بالأمر سبب في وفاتها، أم أن قرب وقت وفاتها كان السبب في أن أعرف ما

في مقبلة عليه، وظل تأنيب الضمير ينهشني دون مبرر، إلى أن جاءت حادثة عمي ، وتلتها حادثة جدتي، ثم جارنا، وبعدها حادثة بائع الصحف، و..

وهنا أدركت عن يقين كامل أنني شخص ملعون.

- هل تعتقد أنني شخصٌ ما تعرفه، إنك لم تَكُفُ عن التطلع إلى وجهي منذ جلست لتتناول مشروبك؟ !.

قالها ذلك الشخص الراقي بلهجة مهذبة، ومعها تحركت ملامح وجهه الطفولية بفضول، فكانت كقذيفة روحية موجهة، بددت كل ذكرياتي وأفكاري، فانتفضت من مكاني، وكأني أواجه خطرًا، أو عدوًا مجهولًا فاجئني في أشد حالاتي النفسية سوءًا، وكدت أسكب قدح القهوة فوق ملابسي، لولا أنه تناوله مني في سرعة.

وبلا وعي، انطلقت الكلمات من بين شفتي كالقذيفة، ولم يعد كل شيء كما كان، فقلت موجهًا كلامي له، بصوت مضطرب ومرتعش :

- بل أظن أنك ستموت قريبًا !.

أنت ميت

أن تعرف المستقبل، هو لعنة حقيقية، بل هو عذاب مقيم لروح ضائعة مثلك: لا ترى في الحياة إلا عقاب إلهي يمهد لعذاب أكبر، في عالم إمكانيات كل شيء فيه أبدية وبلا حدود.

فأمام عينيك ستفتح بوابات الغيب، سينتهي الفضول، وسيصبح كل شيء بلا قيمة، لأنك سترى نهايته بعينيك حتى قبل أن يولد.

وكما تقول المقولة الشائعة، لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع، وهي مقولة لم أصدقها إلا عندما خُضْتُ غِمَارَهذه التجربة المُرَوِّعَة.

جَرِّب أن تُخْبِرَ شخصًا ما بحقيقة ما تعلم، وبأن موته قريب، فإما أن يكفرك ، أو يتجاهلك، أو يعتبرك مخبولًا ثم يتجاهلك أيضًا، أو يكون متحمسًا أكثر فتجرب معه اللكمة الخطافية، بعد أن يسمعك من قاموس شتائمه ما يندى له الجبين.

الجميع يعلمون أن الموت هو النهاية الحتمية لحياتهم مها طال بهم العمر، أو كبروا، أو تجبروا، إنه الثابت الوحيد في هذه الحياة، ولكنهم يتعامون عن هذه الحقيقة، ويتعاملون مع العالم كأنهم خالدون مخلدون.

ولن يقبلوا هذيانك بموتهم، مهما كانت ثقافتهم أو الوسط الإجتماعي الذي ينتمون إليه.

ومهما امتلكت من قرائن ودلائل، فلن يرونك يومًا الخضر، ولن يقبلوا أن تكونه.

ثم إنه لا أحد يخبر أحد بقرب موته إلا سجين محكوم عليه بالإعدام وقد أصبح الحكم بلا استئناف، وإلا اعتبر الأمر وقاحة، بل شذوذ عن كل القوانين والمعتقدات.

المصيبة أنني شاهد العيان الوحيد، الذي يمكنه وصمه بالخبال دون شعور واحد بالذنب، ولهم كل الحق في ذلك، فكيف يمكن تصديق شيء مماثل؟!.

كانت المرة الأولى التي أُخبِرُ بها أحدًا بحقيقة موته الوشيكة منذ امتلكت تلك القدرة على التنبؤ بالموت. ربما هي رغبة كامنة بداخلي للخلاص ومشاركة سري، وعلى كل حال فالأمر من جميع الجوانب مؤشر مُخِيْف على أن روحي تنوء بما تحمل، وأن حالتي تتدهور بشدة.

وبيني وبين نفسي تساءلت: لماذا أخبرته، أي حماقة أجبرتني على ذلك، أم أن لهم يدًا في الأمر؟ إنهم حولي في كل مكان، أشعر بمرورهم، ويشعرون بوجودي مع هدنة ممتدة، فما هو الجديد ؟!.

هل انتهى زمن الوسوسة، وتحرك المقاعد، والكوابيس ثقيلة الوطأ، والأصوات خلف الجدران، وتذبذب الكهرباء، وقرروا الانتقال لمرحلة أعلى من التواصل والسيطرة.

وعند هذه النقطة أدركت أن الإرهاق والسهر تفسيران جيدان، ولا داعي لإلصاق الأمر بمن يسكنون عالم الغموض خلف ستارهم الأسود، لمجرد أني أعاني في اتجاه أخر.

الجن بريء مما أنا فيه، المشكلة تنحصر فيَّ أنا.

ولم أقتنع وقتها ، ولكني أقنعت نفسي ، بأني مقتنع ، وشتان بين الأمرين .

كان هناك شعور عارم بعدم الراحة يجتاحني مع يقيني بأن الأمور تُفلِتُ من بين يدي، وشعرت بكهرباء غامضة تجتاح روحي، فتساءلت ما المختلف إذن في ذلك الرجل القابع خلف جهازه المحمول ينقر مفاتيحه دون أن يحمل للعالم همًا.

إن حول ذلك الأنيق هالة غريبة أشعر بها، كيمياء الأرواح تجبرني على التوجس منه، وهو شعور مُقبِض لم أمر به من قبل، يشبه فقدان التحكم في سيارتك مع إداركك أنها هي التي تقود الطريق، وأنك على وشك سماع صوت تنفسها، وسبابها لسائقي السيارات الأخرى.

لم تتحرك عيناي عن وجهه لحظة واحدة، وإن تلاطمت أفكاري بداخل رأسي كموجات توسونامي عملاقة، وأنا أستعرض خبراتي السابقة مع من هم مشرفين على الموت.

فالشيخ مجدي لم أخبر[illegible] [illegible]برني به الهاتف.

فكم الرعب الذي عشت[illegible] ساعتها أعجزني عن أي رد فعل.

عمي وجدني تركتهم على [illegible] أيضا ، [illegible]كن أنا لأكسر هالة الرهبة من الموت في أعينهم ، وأخبرهم بما سيجعلهم يَشُكُّونَ مباشرة في حالتي العقلية.

عم سعيد بائع الصحف، قابل وجه ربه دون أن يعرف أن هناك، من علم بموته وتنبأ به.

أن تقول لشخص أنك ستموت، تحتاج لشجاعة من وراء هذا العالم لتخبره ، ثم لتتحمل رد فعله المنكر.

كان لقائي مع الشيخ مجدي في شارعنا في مدينة العبور، لقاء مختلف تمامًا، فهو يعتبر لقائي الأول، والصادم، مع ضحاياي من الموتى الأحياء.

فعمتي همت لم أرها في ساعاتها الأخيرة، ولم أعاني من تلك النظرة التي تُجَمِّدُ الدماء في العروق..

نظرة تَسَرُّب الحياة وانطفاء العينان، قبل لحظة الجمود التي تعلن أن هذا الشخص لم يعد من سكان هذا العالم.

وأن الجسد أصبح قابلًا للتعفن، ولن يقاوم من سيُهيلُونَ عليه التراب ويتركوه في ظلمات القبر.

وأنه على وشك مقابلة مخلوقات غيبية ستقوده إلى عالم أخر. عالم الأبيض فيه ناصع والأسود يعني احتراق أبدي.

الحقيقة أني لست بالشجاعة التي أبديها. فقط الإعتياد هو ما يجعل كل الأمور الغريبة مقبولة، والموت لم يكن غريبًا عني، فقد تمنيته في أوقاتٍ كثيرة. دون أن يّقبل بكرمه الحاتمي ليقبض روحي.

في هذا اليوم الكئيب، قانظ الحرارة، كنت مندمجًا في غسيل سيارتي ويساعدني على ذلك صديقي أشرف، وسيارتي هي ثاني أقرب مخلوقة إلى قلبي في الوجود بعد خطيبتي، والتي صارت الكائن الوحيد الأقرب إلى قلبي بعد وقت قصير- السيارة لا خطيبتي بالطبع - ولهذا الأمر قصة ستأتي لاحقًا مع الأحداث.

انهمكنا أنا وأشرف في تنظيف سيارتي من الداخل، قبل أن نشرع في صقلها من الخارج، عندما مر علينا الشيخ مجدي بسيارته التي خَفَّضَ سرعتها لتوازينا، ليلقي علينا السلام كعادته، وهنا توترت أعصابي، وتصلب جسدي، وانتابتني رعدة عنيفة.

لقد رأيت وجهه وتلك النظرة المخيفة المنكسرة تكلله، ومع نظرة عينه الخاوية أصابتني رعدة شديدة، وشعرت بتقلص في معدتي، كانت المرة

الأولى التي أشاهد فيها مثل هذه النظرة الثقيلة، التي زلزلت روحي وكياني، وكأنها نافذة فُتِحَت على الجحيم، وأنا وحدي من أراها.

وساعتها أدركت أن موت الآخرين مخيف أيضًا، حتى ولو لم تربطك بهم صلة قرابة من الدرجة الأولى.

وبداخلي دَوَّى الهاتف المروع:

- إن هذا الرجل ميت.. ميت لا محالة.

رددت الكلمات دون وعي بصوتٍ عالٍ وسمعها أشرف دون شك، لأترك أشرف المذهول من كلماتي يُكْمِلُ غسيل السيارة، وأتوجه أنا كالمُغَيَّب صوب غرفتي لأنتحب.

كان وقع النظرة على روحي مدمرًا، وفي هذه الليلة أيضًا لم أعرف النوم مع إلحاح هذا النذير.

وفي الصباح أيقظني والدي لصلاة الجمعة، ومنه علمت الخبر المفجع، والغريب كان رد فعلي والذي أتى مفاجئًا لأبي، فقد قلت بصوتٍ لا يحتوي أيّ مشاعر، وقد بدا على وجهي أني لم أتفاجأ بالخبر، بل كنت أنتظره :

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبداخل عقلي تجسدت صورة جثة عم مجدي الملفوفة في كفنها، وسط ظلام القبر، وبرودته، ورائحته الخانقة، فزلزلني المشهد أيضًا.

ولا أعرف لماذا لم أذهب لأصلي عليه صلاة الجنازة ؟!.

تلا هذه الحادثة بوقتٍ قصير، حادثة عم سعيد بائع الصحف، وهذه المرة قابلته في المستشفى، كان يُعَالَج من كسر في قدميه، ويُمَنِّي نفسه بالشفاء والعودة لممارسة بيع الصحف كي لا تنقطع أسباب رزقه.

في هذا اليوم كنت مريضًا جدًا، والأعراض كانت دور برد قاتل مع حمى عززه عزوفي عن تناول الأدوية.

ولكني كنت أعرف السبب الحقيقي لضعف مناعتي المؤقت، إنه الهول الذي أخوضه، والذي جعل فيروس حقير مثل الإنفلونزا يقهرني.

كنت في المستشفى بصحبة أبي وأمي القلقان فقد وصل بي المرض إلى أنني كنت أتحرك بصعوبة، وهذا مزق كبدهم من الداخل، فعدت ذلك الطفل الذي يحتاج لمساعدة والديه، ففزعا إلى نجدتي لا حرمني الله منهم.

قابلنا عم سعيد في رواق المستشفى، وكنت أنا أجُرُّ قدماي جرًا من وطأة المرض على جسدي.

كان هناك قريب له يدفعه فوق مقعد متحرك بعد أن تهشمت عظام ساقيه من سقطة لم تُبَالِ بسنه المتقدم ولا بِهَرَمِه وضَعْفِه، ويتوجه نحونا عبر الرواق المزدحم بالمرضى.

ومن بين أهداب المرض لمحت تلك النظرة المنكسرة على وجهه، وكانت ملامحه في تلك اللحظة، تفزعني أكثر من جني قد أتى لينتزع روحي.

ملامح ميت حي، يبتسم ويسلم على أبي.

وقف معه أبي دقيقة كاملة ليقوم بالواجب ويطمئن عليه، وعندما التقت أعيننا، سمعت الهاتف يصفع روحي المنهكة، مكررًا دون توقف :

- هذا الرجل ميت.. هذا الرجل ميت لا محالة.

ولم يمضي يوم الجمعة، إلا وكان عم سعيد في قبره، ملفوفًا في كفنه.

والفكرة التي دارت في عقلي ساعتها، هل دفنوه بالجبس، أم هشموه عن ساقيه عندما غسلوه، ودُفِنَ بأقدام محطمة.

وبرغم رؤيتي لجثته المكفنة بداخل قبره، وسط الظلمات الثلاثة، وثالوث الموت، لم أعرف الإجابة أبدًا، وظل جبس عمي سعيد كهاجس مزعج.

وحتى لحظة وقوع هذه الحوادث لم أكن أعرف، هل كان للجن صلة بما يحدث أم لا، وظل الشك ينهش في قلبي .

فالقرآن يخبرنا عن هؤلاء الرجال الذين استعانوا برجال من الجن، فزادوهم رهقًا، أي مشقة وعذاب، وأن الجن المكلف كان يسترق السمع إلى أوامر الله للملائكة، ويسبق بها الملائكة إلى الساحر الذي كلفه بالأمر، فيظهر وكأنه يستطع التنبؤ بالمستقبل.

الحقيقة أن هذه العادة بالنص القرآني قد توقفت، وهي ما تخبرنا به سورة الصافات، بأن من يجرؤ أو يجازف، ويسترق السمع من الجن ويخطف الخطفة، يتبعه شهاب ثاقب يحرقه، فالسماء قد ملئت حرسًا من الملائكة، وشهبًا، لمنع مثل هذا الأمر.

الأمر إذن شيء خارق، هي هبة تنتمي لهذه العوالم وقد لا تنتمي إليها، وحتى هذه اللحظة لم أكن أعرف الغرض منها، ولا فائدتها، إلا جعل حياتي عذاب مقيم.

عدت بعقلي إلى المقهى، وإلى ذلك الشخص الراقي الذي أشعلت فضوله، والذي بفضله تحولت جلستي إلى جحيم حقيقي من النظرات والإنتظار، ومحاولات عقلي بالوصول لتفسير يريح قلب هذا الرجل المشرف على الموت، والذي علم بما لا يجب عليه أن يعلم.

- لماذا أنت متوتر لهذه الدرجة، ما حقيقة هذا الكلام العجيب الذي أخبرتني به، ومن أنت من الأساس ؟.

لم أرتح له بعد أن سمعت صوته الواثق ونبراته الهادئة، روحي لم تعتد تقبله فالأرواح جنود مجنده، وروحي الآن ليست على الخط الروحي المناسب معه.

إن طريقة حديثه مخيفة بالفعل، فلا أحد يقابل خبر موته بمثل هذا الهدوء والإطمئنان، إلا مريض نفسي أو شخص تصالح مع نفسه، ووصل إلى درجة من الإيمان المطلق بأنه مستعد للقاء ربه.

وهذا ما أشك فيه، فحتى الرسول نفسه، والمُبَشَّرِين بالجنة لم يأمنوا مكر الله.

وهدوئه هذا هو ما شجعني على التمادي ومد أطراف الحديث، فلأي مدى ستطور معه الأمور أسوأ مما حدث.

فقلت له بعد أن ارتشفت مشروبي مُرّ المذاق على رشفات متتالية، وطعم البن يزيد الغُصَّة في حلقي :

- أحمد عبد السلام، خريج تجارة إنجلش، ومصمم جرافيك.

نظر لي نظرة متفحصة هادئة، تفوح بالبرودة قبل أن يقول :

- هذا هو تعريفك عن نفسك، الآن أحتاج أن أعرف أكثر عن حقيقة كلماتك العجيبة.

وهنا ذهبت السَكْرَة، وأتتِ الفِكْرَة !!.

كيف ستخبر شخصًا ما بأنه سيموت في الغد ؟!.

هل يحتاج الأمر لبلاغة من نوعٍ ما ؟!

وما هو اليقين الذي ستعتمد عليه لإخباره ؟

إن الأمر جنوني حقًا، وبالتالي فإن أقصر الطرق هو الخط المستقيم، مسحت المكان بعيني متطلعًا لرواد المكان الغافلين بحثًا عن مساعدة وهمية أعرف أني لن أجدها، وتخيلت من ينظرون إلينا على أننا صديقان يتجاذبان أطراف الحديث، وليس بصدد الحديث عن موضوع كئيب كالموت.

أشرت له بعلبة تبغي، والتي يظللها مشهد مخيف لرئة منتهية، فأشار بأنه يجب عليَّ الخروج خارج المكان، استأذنته لدقائق، ثم خرجت وأشعلت منها لفافة بعد أن بللتها بلساني، كعادة سخيفة أخرى لا أقوى على التخلص منها.

كنت أحتاج لهدنة لتنظيم أفكاري، وللأسف أنهيت لفافة تبغي دون أن أحظى بها، فعدت له، وقد شَجَّعَني هدوئه على الكلام، فقلت له:

- ما عندي من علم، يخبرني أن ساعاتك في هذه الدنيا معدودة.

نظر نحوي بعمق قبل أن يقول :

- أهي مُزْحَةٌ سخيفة أم محاولة للفت النظر، كيف لشاب مثلك أن يمتلك علم مثل علم الغيب ؟!.

رد فعل بشري ومنطقي، وهدوئه ناتج من يقينه من عدم قدرة أي شخص على استيعاب امتلاك بشري لقدرة مماثلة.

والآن فلتأخذ الصدمة كاملة، هو قَدَرُكَ، وقد علمت به، ومن حقك أن أجِيبَ على كل تساؤلاتك.

سحبت نفسًا عميق ملئت به صدري، قبل أن أقول :

- الحقيقة أنني لا أعرفك، وهي المرة الأولى التي أراك فيها، ولولا ظروف خاصة لما تقابلنا في هذا المكان، ولما دار هذا الحوار من الأساس، يا أستاذ...

قاطعني قائلًا:

- نجيب المهندس، كاتب وصحفي، وباحث.

- تشرفت بمعرفتك، وإن كنت أظنها ليست بالمعرفة التي كنت تتمناها.

نظر لي بهدوءه المستفز، ثم قال :

- إنني محايد تمامًا في تناول مثل هذه الأمور، لا مُسَلَّمات عندي، فقط ما يمكن القبض عليه أو إثباته بالتجربة هو ما قد يخيفني، لكن الكلام المُرْسَل الذي يشبه حديثك لا يُحَرِّكُ في رأسي شعرة واحدة.

نظرت له بعدم فهم، فاستطرد قائلًا:

- في البداية أسمع قصتك، وكيف تحيط بالغيب علمًا، وبعدها لنناقش الأمر من وجهات النظر المختلفة، ولكن في البداية عليك أن تعلم أنني لا أؤمن بتلك الخزعبلات، ولا بأشياء كثيرة قد تثير خوفك، وتنتزع التقديس من داخلك انتزاعًا، إنني محايد تمامًا.

نظرت في ساعتي، فوجدت أن الوقت مازال أمامي مبكرًا، ولا مانع من إضاعة بعضًا منه في الحديث، كما أنني لا أنوي العودة لمنزلي في العبور قبل أن أنهي ما أتيت من أجله، خاصة وقد أشعَلَت كلماته الغامضة فضولي وجعلت الرادار الموجود بداخلي يعمل.

إنه منهم دون شك لا أحتاج لفراسة لِأُثبِتَ ذلك، كلهم يبدأون بذات العبارات ، يرددون نفس الكلمات، يتحدثون عن كل ما هو مقدس بتحقير.

وبعد قليل قد يتحدث عن داروِن والبيج بانج، وعن زواج القاصرات، وعن حرمة الخمر وتحليل النبيذ، وعن الوعود القرآنية لأهل الكتاب بالجزاء والفوز العظيم، وعن الوِلْدَانِ الْمُخَلَّدُونَ، وعن ابنِ مسعود، وعن بشرية القرآن وغيرها من الحجج الواهية، التي لا يرونها إلا من وجهة نظرهم، بعيدًا عن السياق التاريخي، والديني، وأسباب النزول.

لذا اتخذت وضعًا مُريحًا فوق المقعد مُعَدِّلًا من وضع جلستي السابقة، وعيناي تلتهمان ملامحة الطفولية المحايدة، وقلت :

- إنها قصة طويلة جدًا، ومُرْهِقة وعجيبة، للموضوع جذور كثيرة ومتصلة، ويقيني يأتي من تجارب سابقة مررت بها، وهذه التجارب تدفعني لأن أخبرك عن يقين بأنك ميت، لا مهرب ولا مناص من الأمر لقد قَرَّرَتِ الأقدار ذلك، حان موعدك، وأنت ستمتثل لها سواء وافقت أو أبيت، لقد خرج الأمر من دائرة الإختيار.

وفي هذه اللحظة دَوَّى الهاتف بداخلي، وكأنه يؤكد على كلامي :

- هذا الرجل ميت.. هذا الرجل ميت لا محالة.

ولم يُخِيفْني الهاتف بقدر ما أخافتني ابتسامته.

وخلال نصف ساعة، ودون توقف قصصت على نجيب حكايات عمتي، وعمي، وبائع الصحف، وقصة جدتي التي دمرتني نفسيا وقتها. فقد لازمتها منذ سمعت الهاتف المشئوم يردد اسمها، وحتى صعدت روحها لبارئها في تجربة هي الأصعب في عمري مع قربها من قلبي وروحي. كما قصصت عليه تفاصيل ذلك الحادث الغريب الذي بدأت عنده هذه اللعنة، والتي بدأت أحداثه تعود مؤخرا لتحتل عقلي بما غاب عنها سابقًا، وهو يهز رأسه وكأنه يستمع لدجال أو نصاب، فنظرت نحوه منزعجًا، ثم سألته في ضيق عن سر ابتسامه الذي لا مُبَرِّرَ له، وهل هي ابتسامة سخرية أم عدم تصديق؟.

نظر نحوي بطريقته الهادئة المستفزة، قبل أن يقول :

- هي مجرد ابتسامة، لا تبني عليها آراء أو انطباعات.

لا أعرف لماذا لم أعد مستريحًا لوجودي معه ؟!

لقد تعودت ألا أحكم على أحد لمجرد أنه ينتمي لعقيدة أو دين آخر، أو لا يؤمن بالعقائد من الأساس، بالإضافة إلى أنه لم يُفْصِح من أصله عن حقيقته بعد، ربما كانت كلماته هي بعض الحذلقة، أو خط دفاعي نفسي لِيُسَفِّهَ من كلماتي، وادعائي كما يعتقد بقرب موته.

أنا أعرف نفسي جيدًا، إنني مغناطيس بشري جاذب لكل الأمور الغريبة والمُخِيفَة، والسخيفة، والغير منطقية.

ربما هو شيء في الجينات، أو ربما أنا نحس على من أعرفهم ، أو ألتقيهم وأحتك بهم.

حياتي سلسلة من سوء الحظ والأحداث الغريبة، وهو شيءٌ غيرُ مُبهِجٍ على الإطلاق.

حتى عندما امتلكت قوة خارقة،كتلك الشخصيات التي تكتظ بها مسلسلات وأفلام الخيال العلمي الأجنبية، امتلكت قدرة لا جدوى من التمتع بها، بل هي لعنة لو شئنا الدقة.

فما فائدة أن تعرف أن فلان سيموت في الغد، ما المساعدة التي ستقدمها له، وما الفائدة التي ستعود عليك.

إنني نحس !!.

لست على نفسي فقط بل على الجميع، معظم أصدقائي تعرضوا لخبرات فوق الطبيعية، جعلتهم يخوضون في عوالم الجن المخيفة، ليعودون منها بعد أن فقدوا جميعًا ثقتهم في العالم، وبعد أن اكتسبوا خبرة جعلت أرواحهم على حافة التهشم.

خطيبتي تعرضت أيضًا لخبرة مُرَوّعَة. خالي منذ طفولته يجوب هذه العوالم، فإما أنني ملعون ولذلك أصطدم بكل هذه الأحداث الغريبة، وإما أنني كما قلت منحوس، ولذلك أيضًا أصطدم بهذه الأحداث الغريبة، ومنها ذلك الشخص الراقي، الذي يصلح مع هدوئه المستفز، ومنطقية نقاشه اللامنطقية، ليكون قاتلًا متسلسلًا عن جدارة.

الوجه الطفولي، الهدوء، العمق، والصوت المخدر.

إن لم يكن ورائه كارثة فلتأخذني مصيبة.

الحقيقة أن روحي تنفر منه الآن، ربما لِشَكّي في فكره بكل ما بداخلي من تعصب لديني ومعتقداتي، وربما هو مجرد رد فعله على ما قصصته عليه، إن من لا يهتز لذكر الموت، هو شخص مُريب أو مريض، والإثنان لا يمنحان للمرء أي شعور بالراحة.

على كل حال لقد جلست معه ودارت دائرة الحوار، والقهوة المُرَكّزة رائعة، وجو المكان حميمي، لذا فَلأُكمِل جلستي معه حتى يمل وينصرف، أو أختنق فأنصرف.

أردت أن أثير نفوره كما أثار نفوري فقلت له :

- قبل أن أبدأ الخوض في الجانب الأخر من قصتي، وهي قصة طويلة، وقد تستنزف من وقتك ساعات ثمينة قد لا أستحقها، أريد أن أعرف معنى كلماتك عن عدم الإيمان والمُسَلّمَات.

نظر نحوي بجدية، قبل أن ينهي عملًا ما على اللابتوب، ربما كان يلعب كاندي كراش الآن، ويتصنع الإهتمام، ولكن صوته أتى صارمًا وثابتًا، لِيُبَدِّد تلك الأفكار السخيفة من رأسي :

- الحقيقية يا أحمد، إن حكاياتك لم تُخِيفَني بقدر ما أثارت فضولي، أنا رجل ذو فكر منفتح، لا أحتكم لشيءٍ في الوجود إلا إلى العقل، فلو أخبرتني أن تلك المرأة الموجودة في اللوحة تتحدث إليك، لن أعترض ولن أتخذ ردود فعل مُسَبَقَة، ولن أنعتك بالخبال، فقط سأطلب منك أن تجعلها تتحدث أمامي، أنا رجل علم ومنطق، لا مُسَلّمَاتَ عندي إلا أن الإنسان

يولد ثم يموت، كل شيء أخر قابل للنقاش، و للخضوع لسطوة العلم والتجريب.

توترت قليلًا، وبدأت أفكاري تتحول ليقين، فتحول النفور منه إلى كراهية غير مبررة، وكأنني أبصق أطلقتها :

- أنت ملحد.

سحابة على هيئة ابتسامة تعبر شفتيه، قبل أن يقول :

- لا ديني، والإختلاف بينهم عظيم.

ظهر صراع على وجهي حاولت أن أخفيه، وأنا أفكر، عن قَدَرِيَةِ هذا اللقاء، وهل تم من أجل أن أبَدِّلَ أفكار هذا الملحد، أو اللاديني أو أي حماقة أخرى يدعيها بهذه المصطلحات الرنانة قبل أن يلقى خالقه. لو كانت هذه هي الميزة الوحيدة لتلك القدرات السوداء التي أملكها، فقد يهون بعض من عذاباتها، وسيتحول معي الأمر لمهمة مقدسة.

وبصعوبة منعت غِيلَانِ الكراهية من أن تتقافز فوق ملامح وجهي، لأسمعه يقول:

- من حقك أن تكرهني، وأن تُظهِرَ ذلك، تلك حريتك الشخصية، ولا أحد سيلوم عليك، فالجميع يُصَوِّرونَ للمجتمع أننا مجموعة من الحشرات الكريهة الواجب سحقها، ومن ظهر منا على شاشات الإعلام، جميعهم حمقى لم يصلوا لمدى المعرفة الكاملة، التي تجعلهم قادرين على إدارة نقاش ناجح، الهدم في بعض الأحيان أصعب من البناء، خاصة لو كان البناء غير منطقي ولا يخضع لقواعد المنطق المعتادة.

بلاب بلاب بلاب بلا..

سحقًا لهؤلاء المدّعين، ما أن تُلقِي عليهم السلام، حتى يبدأوا في رص قطار من الكلمات غير المفهومة التي تدعم نظريتهم غير المنطقية، ولكن ما فهمته منه أنه لا مانع عنده من أن أُظهِرَ كراهيتي له، وهو فعل يُسْعِدُني، وبشدة.

لم نجلس معًا أكثر من دقائق ولم ندير حوارًا حقيقيًا، وبرغم ذلك تحفزت له وكرهته، بل وبدأت أفكر في نفسي كرسول للهداية، أتى لينتشله من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ربما كانت قدرتي وعذاباتي وكل ما عانيته مقدمة لهذه اللحظة الفارقة، التي سأبدل فيها من تفكير إنسان على مشارف الأبدية. شخص اقترب بشدة من عوالم الفناء، وهو يحمل بداخل صدره قلب أسود جاحد.

دارت في عقلي آلاف الأفكار، كنت أبحث بينها على مدخل جيد أعبر به من خلالها إلى داخل عقله، وكما ينحسر الماء في موجة جزر، انحسرت كل الأفكار ليبقى السؤال :

- ألا يخيفك أن تعرف أنك ستموت، وأنت تعتنق مثل هذه الأفكار الغريبة ، بل اسمحلي أن أقول الشاذة أيضًا ؟.

نظر نحوي بنظرة عميقة، وكأنه يُقَيّمُ أفكاري، قبل أن يجيب :

- لو سَلَّمنا بموضوع موتي هذا، وبأنك من هؤلاء الأشخاص اللذين لديهم مثل هذه القدرة التي لا دليل عليها حتى الآن، إلا تجارب تَدَّعِي خوضها دون دليل واحد، فإنني سأخبرك أنني غير خائف أبدًا، فأفكاري أتت من سنوات من البحث والدراسة المستفيضة، التي حَكَّمْتُ فيها العقل والعلم، ووصلت ليقين لا يُضْحَد بأنها صحيحة.

بدأ التحدي يتسلل إلى قلبي، وقررت ساعتها أن أخوض النقاش الذي خضته من قبل مرات عديدة، والذي كنت أنهيه على الفور مع أمثاله، فهو رجل ميت بالنسبة لي، وربما قاده نقاشي إلى فكرة جديدة تبدل أفكاره، وتجعل خاتمته أقل سوءًا، لذا فإنني قررت أن أتدرج معه في الحديث، فسألته :

- هل تؤمن بوجود الخالق ؟!.

نظر نحوي ،ثم ابتسم وأجاب :

- نعم أؤمن بوجوده، فالكون كله بنظامه واتساقه دليل حي على ذلك.

- جيدة جدًا هذه النقطة، إذًا ما مشكلتك مع الأديان ؟!.

عقد حاجبيه قبل أن يقول :

- لا مشكلة عندي مع الأديان، فأنا فقط أراها وسيلة معقدة للتواصل مع الخالق، والأمر لا يحتاج لكل هذا التعقيد.

نظرت له دون اقتناع، ثم تساءلت :

- ألا يوجد في الأديان ما يجذبك ؟.

وبنفس لهجته الهادئة أجاب :

- الحقيقة أنني لو آمنت بصحة الأديان، فكل ما أعرفه أنها عبارة عن نوع من المنهج، أو الدليل للتواصل مع الخالق العظيم، مجرد دليل روحي، لم يخلُ من عبث البشر.

لم يعجبني الرد لصحته فيما يخص الكتب السماوية التي تسبق نزول القرآن، ولكن الله نزل لنا القرآن ووعد بحفظه، وبالتالي لا يمكن تعميم الأمر. فعدت لأقول بصوتٍ نافذ الصبر :

- نعود لسؤالنا الأول، كيف ستواجه خالقك بعد أن كفرت، أو أنكرت أديانه ورسله، واختلقت منهج مُريح وكسول لعبادته ؟.

وأجاب :

- الحقيقة إن كنه الدين والعبادة بالنسبة لي، هو المنهج الأخلاقي، أنا أعامل الناس بالأخلاق، أداوم على فعل الخير، ألتزم بحقوق الإنسان، أتواصل مع الخالق بنفسي، دون التقيد بطقوس محددة، وهذا كله لن يجعل الخالق يَزُجّ بي في الجحيم كما تعتقد، فهذا يتنافي مع صفة العدل، مع يقيني التام بأن نهاية كل بشري، هو الموت، فالتعفن، فالفناء.

صدمتني الفكرة، وذلك الرد الذي يلوي عنق الحقائق، فقلت :

- أنت تمارس روح الدين وتلتزم بكل أخلاقياته، فما يمنعك من أن تؤدي طقوسه وشعائره، إن العدل الذي تتحدث عنه، له قواعد، لا تكسرها ثم تطالب به، عليك الالتزام، ثم تنال عليه الجزاء العادل .

أجاب بسرعة، وكأنه كان يعد الإجابة من قبل :

- المنطق والتاريخ يا أحمد هو ما يجعلني أسلك هذا الطريق .

لم تكن إجابة مريحة أو شافية فقلت :

- لم أفهم جيدًا، هل من توضيح ؟.

حكّ رأسه وتَمَطّع وكأنه في طريقه لممارسة طقوس النوم قبل أن يقول :

- كم يوجد من الأناجيل والتي تدعي كل فئة، أن انجيلها هو الأصح، العهد القديم، هل قارنت من قبل بين كتابين صدرا في مكانين مختلفين من العالم، كتب عديدة من الأثر تنفي كل ما تقوله الكتب الأخرى، والعديد والعديد من المصادر التي تتعارض مع حقائق تاريخية كثيرة، كل تلك الكتب تم العبث بها، ولم يجرؤ أي من المعاصرين عن تنقيحها، إن الأديان تُهْدَم من الداخل وليس الخارج.

كان يتحدث بتعميم، قد يخدع شخص غير ملم بكل تلك الحقائق التي يتم توظيفها في غير أماكنها، ولكنه لم يكن منطقًا أبدًا، لهدم دين كامل، لذا فإنني سألته :

- إن كان ما تقوله صحيحًا فهو يدل على قصور بشري، وليس إلهي، لماذا لا تتمسك بجوهر الدين، وتترك كل هذه الأمور اللامنطقية كما تقول ؟.

نظر نحوي ثم ابتسم، وقال :

- لا يمكن أن تقول على لوحة مُلطَخَة بالأصباغ أنها جميلة، لابد أن تكون اللوحة مكتملة لترى جمالها، إن عدم الكمال في شيء مصيري كالأديان هو قصور، والدين القاصر، ليس طريق حقيقي للإتصال مع الخالق.

صمت ثم استطرد قائلا، وسأجيب عن سؤالك الآن :

- لو أن الخالق العظيم حاسبني، سأخبره أني رجل جيد يعبده بما وصل إليه يقينه، بعيدًا عن ذلك الخلط الذي تحتويه كتب الكهنة، وعِباد المصالح، إنني أردت الوصال معه فقط دون حواجز أو وسطاء، ولأنه العدل لابد أن يقبل منطقي.

المنطق المشوه، البعيد عن الالتزام بقواعد الأديان، يستفز روحي، لذا فإنني سألته:

- ما مشكلتك مع الطقوس ؟.

أجاب بطريقته المريحة :

- الطقوس صناعة بشرية يا صديقي، الطقوس مجرد وسائل للسيطرة على العقول من أجل المصالح والمصالح فقط.

لم يعجبني الرد، الذي يخلط دومًا بين الدين والسياسة. بين أرق ما في الوجود، وأحقر ما فيها ، لذا فإنني قلت :

- الحقيقة أن منطقك غير مُقنع بالنسبة لي، وإن كان يحتوي بعض الصحة فيما يخص بعض الأديان المحرفة، فرحمة الله واسعة، وهو قد خلقنا لنعبده، ولكنه قد وضع شروط وقواعد، فلما لا تلتزم بها.

اتسعت ابتسامته بشدة، قبل أن يقول :

- وماهي قواعده، هل أعبده كما يعبده السنة، أم كما يعبده الشيعة، كما يعبده الأرثوذوكس أم كما يعبده البروتستانت، كما يعبده اليهود المتعصبين أو كما يعبده المنفتحين منهم، بمنطق البوذيين أم بعقيدة عبدة النجوم والطاقة الكونية وغيرهم، الأصل في الأمر هي العبادة، وأنا أمارسها في ظل منهج أخلاقي.

دارت رأسي فقمت، وأحضرت قدحين من الاسبريسو وعدت له، لأقول له فور جلوسي :

- إن منطقك جيد، ولكنه منطقك أنت وليس منطق الدين. إن الحلال بين والحرام بين، والدين هو عقيدة الفطرة السوية. لو تعمقت أكثر لوجدت الإجابة كما وجدتها أنا ووجدها غيري ممن يتمسكون بكتاب الله وسنته. والحقيقة أني لم أقتنع بكل هذا الحوار، ولا أعتقد أنك ستؤمن بما سأخبرك به. إن قصتي تحتوي على العديد من الغيبيات، وأنت تفتقد للإيمان.

ابتسم من جديد ابتسامته المُوَتِّرة للأعصاب، قبل أن يقول :

- الايمان يا صديقي نسبي، وأنا أخبرتك من قبل أنني مُحَايد، لا أريد أن أقنعك بوجهة نظري، ولا أسعى للإيمان بوجهة نظرك. فقط من حقي أن أستمع لقصتك، وبعدها إما أن يقتنع عقلي، أو لا يقتنع. وفي الحالتين لن يتغير في الأمر شيء، فالموت لا يُخِيفُنِي كما يُخِيفُك.

نظرت له نظرة مطولة، ثم سألته السؤال الحاسم :

- هل تؤمن بوجود الجن ؟!.

أغلق اللابتوب الخاص به قبل أن يقول :

- أنا أؤمن أن الكون قد يحتوي على مخلوقات عديدة غيرنا، ومن الممكن أن يكون الجِنُّ من ضمنها، ولكني لم أرى أحدهم أو استطاع أحد رؤيته وسجل الأمر بطريقة لا يمكن التشكيك فيها، لو ظهر لي أحدهم الآن سأؤمن بوجودهم ولن أنكره أبدًا، ولو لم يظهر فلا يعنيني الأمر، فهو غيب لا يؤثر على حياتي، ولا يتقاطع معها.

قلت له بعصبية :

- أما أنا فأؤمن بوجودهم وبشدة عن تجارب خضتها، وتجارب خاضها غيري وحضرتها، وتجارب قَصَّها عليّ أناس ثقات.

هز رأسه، وكأنه يتعجب من صلابة رأسي، وقال :

- الأمر عندي مُحَايِد. أخبرني عن قصتك وقصصهم ولنجعل الأمر في النهاية، لحكم العقل والمنطق.

لم يكن حديثه مشجعًا، ولا داعيًا للإفصاح عن أسراري وخبراتي. ولكنني أردت البوح لشخصٍ غريب بكل ما مررت به. شخص سيحمل كل أسراري وخبراتي معه إلى القبر.

إنه ميت.

وهذا هو يقيني الوحيد.

أرهقنا النقاش فصمتنا، وكُلٌّ منا يُجْهِزُ على قِدْحِهِ. بل وخرجنا إلى الخارج لنمارس عادتنا في التدخين على طاولة أخرى، وسُحُب الدخان من حولنا تغمرنا، وكأنها ديكور مسرحي.

المقهى يخلو ويزدحم بوتيرة ثابتة. والحياة تمر وكأنها لا تعبأ بوجودنا أو وجود غيرنا.

كُلٌّ منا غارق في أفكاره، وأنا ألوم نفسي لعدم ردي عليه بالعديد من الأدلة. والثوابت الدينية التي أعتنقها، ولكني كنت أعرف نتيجة الحوار.

لاشيء.

كل من عاصرتهم منهم من قبل وتناقشت معهم. كانوا يقدمون وجهات نظر، ونظريات، وقرائن مشوهه. ولم يمنحني أيًا منهم ردًا شافيًا عن اليقين الذي وصل إليه.

كلهم يعيشون ويموتون في مرحلة البحث. لا يوجد دليل مُقنع غير بعض الحجج الواهية والنظريات العلمية. التي لم يثبت صحتها، أو لا يمكن إثبات صحتها.

الجانب الروحي لديهم منعدم تمامًا.

ربما قد استسهلواالتحرر، وراق لهم، عندما قادتهم أفكارهم لشواطئ عدم اليقين، فتركوا طقوس العبادة عن كسل، وربما تتبعهم الأجيال التالية، لو لم تكن هناك وقفة صارمة لردعهم.

هناك جيل جديد، عاصر أحداثًا جسام، كسرت بداخله الإحترام لكل المُقدّسَاتِ، ولرجالها.

هذا الجيل بحاجة إلى مُرشِد حقيقي يقودهم عبر طريق الإيمان من البداية.

إن كل المسلمات في مهب الريح مع التعصب والجهل.

إن وجود أمثال هؤلا من الملحدين واللادينين والأدرية وغيرهم من المسميات الجديدة في البلدان المتدينة يقرع ناقوس إنذار مخيف، ويجعلنا نفكر في معجزة من عند الخالق لِتُوقِفَ الطوفان القادم.

أنا الآن على يقين بأن أتباع المسيخ الدجال لن يكونوا جهلة أو غير مثقفين، بل سيكونون أطباء وأدباء ومهندسين وعلماء، هذا هو تصوري، مع خفوت دور العلماء، وتبخر الايمان من القلوب

الفكر لا يواجه إلا بالفكر، ولكن بعض القوانين من شأنها، أن تمنع المزيد من أولادنا من الغرق في هذا المستنقع الشائن.

الحقيقة أني برغم التزامي بطقوس ديني من صلاة وصوم وغيرها، إلا أني مُقصِّر وبشدة في معرفة دقائق هذا الدين.

إنني لا أمتلك من حجج إلا تعصبي، وهو حُجَّةٌ عليّ لا لي.

ربما أرسل الخالق العظيم هذا الشخص ليهديني إلى حقيقة ديني، وليبرز لي تقصيري، وليس العكس.

إن العلم هو العبادة المهجورة، وكما أعرف أنه لا أحد سيحاسب بدلًا مني، فلماذا لا أحصل على العلم واليقين بنفسي ؟.

هذا هو اختباري، وعليَ أن أخوضه حتى لو لم يكن اختياري، فالحماقة أن أستغل هِبَاتَ الخالق وقواعده في الحياة، لأعترض على مشيئته. لو ملكت أنا القدرة على الخلق من العدم، ساعتها فقط يحق لي أن أعترض، خلاف ذلك لابد أن أمتثل وأخوض الاختبار بقواعده لا قواعدي .

وفي هذه اللحظة، عاد الهاتف ليتردد بداخلي :

- إنه رجل ميت.. ميت لا محالة.

وعند هذه النقطة، اهتز كياني، وفكرت أنا أيضًا في موعد موتي وقيامتي، وتقصيري وذنوبي.

يولد الإنسان في كَبَد، ويُبْعَثُ عليه.

لم أكن أريد أن أخوض في هذا الحوار الشائك، لذا قررت أن أبدأ بقصص قصص مَنْ عَاصَرت على مسامع ذلك المُنكر، ولنرى بعدها كيف سيتقبل الأمر.

لقد حان الوقت.

لقاءات غامضة

عن الجن

كان هو أول من قطع الصمت، وقال :

- أرجو ألا يكون حديثي أرهقك، أو أصابك بالارتباك، أو هز عقائدك، إنني لم أفرض عليك فكري، ولم أطلب منك الإيمان به، إنني مازلت في بداية رحلتي ولا يقين هناك. فقط أنا أخذ من كتب الأديان ما يهدمها من وجهة نظري، ولم أجد بداخلها ما يعينني على العكس، وربما كما تخبرني أنت أنني قد أموت، وهي فرصة جيدة لأتأكد من صحة معتقداتي.

رشف رشفة أخيرة من قدحه، قبل أن يستطرد :

- دعنا الآن من هذا الحديث المعقد الذي يثير توترك، وقبل أن نغلقه تمامًا سأطلب منك طلب مشروع، أن تفكر، فقط فكر، ولو وصلت لما عجزت أنا عنه، فلا تبخل به على الأخرين.

لا أعرف لماذا شممت رائحة الخبث في كلماته، وهذا ما حفزني نحوه، وجعلني أتمنى لو يبدل الهاتف صيغة جملته، فيقول :

- إنه سيموت الآن.. سيموت الآن لا محالة.

ومع تحفزي، قلت بحدة :

- لقد عاصرت مثل حديثك هذا عشرات المرات، الحقيقة أنتم كسرطان ينهش في جسد المجتمع، سرطان يكثر من الأسئلة دون أن يمنح أجوبة، ولأريح قلبك، فلم يهتز يقيني مرة واحدة، ربما لأني أحطت خُبْرًا بأشياء كثيرة لم يُحِط بها غيري، وربما لأني رأيت لمحة مما يوجد على الجانب الأخر، ولكني حقيقة لا أحبك ولا أحب منطقك.

شبَّك أصابعه على الطاولة، قبل أن يحركها بعصبية ليقول :

- لم أطلب منك أن تحبني أو تكرهني، إنها حريتك الشخصية. فقط طلبت أن تفكر، ربما قادك ما تعرفه ليقين مختلف، وهو شيء جيد، وأطمع في أن أعرفه. أنا مُحَايِد كما أخبرتك، لذا أخبرني بقصتك.

كان التعصب يُعميني، وكنت أريد أن أهزمه وأثير أعصابه، فبدأت كلامي بآيات من الذكر الحكيم :

- (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا).

-(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

- (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ).

انتهيت من الآيات ثم قلت :

- هذا هو منهجي، القرآن، والقرآن تحدث عن كل ما أؤمن به منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام.

هزَّ رأسه أن أكمِل، فقلت :

- هل لديك تشكيك في القرآن ؟.

نظر لي وقال :

- لقد اتفقنا سنستمع لقصتك ولا داعي لخوض حديث لا يرغب أصحابه في منح بعضهم الفرصة للفهم، ولكني أخبرك كنهاية لحديثنا، أن كل شيء عندي قابل للشك، وإن كنت أراه حقيقة منهج حياة رائع، لولا بعض الأمور التي تحتاج لتفسير ممن يملكون العلم،وليس التعصب.

لم تستطع أعصابي أن تتحمل، لا يمكن أن يُشَكِّكَ أحد في معجزة ديني :

- لن أسمح لك..لا تقترب في حديثك من القرآن،و..

أشار بيديه لي كي أهدأ وأتوقف عن سلوكي العصبي، ثم قال :

- فكر واقرأ..أنا لا أثبِت شيء أو أشَكِّك في شيء، هذا هو دينك وعليك أنت أن تُثبِت العكس، دعنا من هذه المُهاتَرَات ولتكمل قصصك، أعتقد أنها ستخرج بنا من واقعنا هذا إلى واقع مختلف، إلى عالم الجن، فربما وجدنا هناك اليقين.

لم أعرف حقيقة كيف أبْدِأ هذا الجزء من خبراتي في هذه العوالم، مع شخص لا أطيق وجوده أمامي، بل لا أطيق وجوده على قيد الحياة.

إنني أكره هؤلاء المشككين..أكرههم بشدة.

أعرف أنه قول متعصب، ولكنها الحمية والغيرة، وميراث الآباء والأجداد.

وفي النهاية بادرته قائلًا :

- هل تريد أن تعرف التجارب التي خضتها، أم سمعتها، أم كنت فقط طرفًا فيها ؟!.

اعتدل إلى الخلف مسندًا ظهره على المقعد، قبل أن يقول :

- جميعها، ولو كانت من البداية، لكان أمر جيد.

أشعلت سيجارة جديدة، أخذت منها نفسًا عميقًا، قبل أن أقول :

- يعود الأمر لفترة الطفولة، لفترة كان فهم هذه الأشياء واستيعابها لا يشغل بال طفل مثلي لم يتجاوز العاشرة من العمر، بأكثر من كونها شيء مُثير وممتع في معاصرته.

لن أخفي عليك الأمر فلو راجعت بنفسي ما عاصرته لأدركت جيدًا، أنني كنت مُهَيَّئًا للخوض في هذه العوالم، إن الشجاعة التي يملكها طفل مثلي لابد وأنها مؤشر حقيقي.

لقد ولدت في بيت متدين بطبعه، لا يوجد فيه من يترك من الصلاة فرضًا إلا وأداهُ في المسجد،أبي يصحبنا دومًا للصلاة، ولا يتهاون مع المُقصِّر دون غِلظَة، لذلك كانت الصلاة طقس مهم جدًا في حياتنا، ولا مجال للتكاسل عنه، بل إنها أروع طقوس الإسلام، مع تلك الحالة النفسية الرائعة التي أصل إليها في كل مرة، وقفت فيها بين يدي الخالق، ورَدَّدْت كلماته التي تفيض بالحكمة والسلام.

أبي يذبح في الأعياد ويطعم الفقراء، ويحسب جيدًا ما يقوم بادخاره لإخراج الزكاة، حَجَّ بيت الله، وقام بعمل أكثر من عمرة تصحبه أمي، قبل أن تشتد عليه الشيخوخة، وتجعل ممارسة هذا الطقس مستحيلًا.

هل أخبرتك أني منذ عدة أيام رأيت تلك النظرة المنكسرة في عينيه، وأنني أعيش عذابًا مقيمًا في إنتظار أن يأتي الهاتف و..

قاطعني قائلًا :

- وهل لابد أن ترى تلك النظرة، وتسمع الهاتف، ألا يتحقق الأمر بأحدهما؟

هززت رأسي، ثم قلت :

- هذا هو ما اكتشفته، فالنظرة قد لا تعني شيئًا، والهاتف هو اليقين، ففي حالة عمتي همت، سمعت الهاتف فقط، ولكن في باقي الحالات سمعت ورأيت، وتحقق الأمر، في حالة أبي كانت النظرة فقط، ولم يأتي الهاتف، لذلك أعتقد أن أمامه فسحة من الوقت و..

بدا قلق طفيف يزحف على ملامحه، وهو يقاطعني متسائلا:

- وفي حالتي، هل رأيت فقط أم سمعت ؟!

- بل مازلت أرى وأسمع، الهاتف مازال في رأسي حتى هذه اللحظة، لقد أصبحت خبرة في هذه الأمور الملعونة، وأصبحت الآن التقط الإشارات أسرع، والحقيقة أنه كلما كان الإنسان قريبًا لروحي، كنت ألتقط هذه الإشارات مبكرًا، عن لو كان غريبًا مثلك.

ضَيَّق عينيه خلف زجاج نظارته، قبل أن يسألني :

- هل تعتقد أن قدرتك هذه موهبة، أم أنها بفعل الجنّ، وهل حضرت جلسات تحضير أرواح سابقة ؟.

صمتت للحظات، ظهرت فيها الحيرة على وجهي حينها، قبل أن أقول :

- الحقيقة أنني في هذه النقطة جاهل تمامًا، لا أعرف إن كان لها علاقة أم لا، وإن كانت كل الإحتمالات مطروحة مع ميلي لكونها مرتبطة بعالم الجن بوسيلة ما ، فقد مررت سابقًا بأحداث استثنائية جعلت حياتي كلها تدور في هذا الفلك.

وبالنسبة لحضوري جلسات تحضير الأرواح، فإن ردي المُخبِط هو لا، لم أحضر أيًا منها لأنها حرام شرعًا، أنا مغناطيس جاذب للأحداث الغريبة، وليس صانع لها، ولكن هناك ملاحظة أخري، أنني طوال الوقت أعثر على مبالغ نقدية، وكلما رغبت في شيء، أجد من النقود ما يحقق أمنيتي البسيطة طبعًا، هي لم تكن مبالغ كبيرة، ولكنها لم تنقطع لفترة طويلة من الزمن، وكما يقول صديقي أشرف، كنت (مُرزَق).

أشاح بيده في ضيق، فعدت لأكمل :

- إنني من سكان مدينة العبور، نسكن هناك منذ كانت عدة مباني متناثرة، وتحيط بها الصحراء من كل جانب، حتى صارت المدينة التي تعرفها الآن، وأما عن موقع منزلي فهو في مكان مميز أمام جبل يقبع هناك متحديًا كل ملامح الحضارة والمدنية.

هز رأسه أن أكمل فقلت :

- العلاقات قديمًا بين فروع العائلة كانت أقوى مما هي الآن، فكان خالي دائم التواجد عندنا، وكثيرًا ما كان يقص علي وعلى أخي وشقيقتي، تلك الحكايات المخيفة عن الجن، وخاصة تلك التي عاصرها في الجيش.

لم تكن هذه هي البداية الفعلية لمعرفتي بهذه العوالم المشئومة، ولكنها عززت شغفي بهذه العوالم الغامضة الساحرة في حينها، والبداية الفعلية كانت في صباي وفي يوم جمعة ، عندما كنت متوجهًا للمسجد المجاور لمنزلي لأداء صلاة العشاء.

وهناك سمعت أنه عقب صلاة العشاء سوف تُقام في المسجد جلسات للعلاج بالقرآن الكريم، سواء لاستخراج الجن، أو لفك عمل سفلي، أو هذه المسميات الثقيلة، ذكر الجن فقط كان مثيرًا، خاصة وقد كنت أتمنى لو أحظى بجن مماثل، لجني مصباح علاء الدين لأحقق أمنياتي.

داومت على حضور هذه الجلسات وكان خالي يشجعني، فأنا منذ الصغر لديَّ شجاعة استثنائية، فأنا لم أشعر بالخوف في حياتي، من إنسان، ولا حيوان، ولا حشرات، ولا زواحف، ولا الأماكن العالية أو الخطرة، ولا ما يشبهها، وهذا من قبل أن أتطرق إلى عوالم الجن والمسّ.

منذ صغري كنت أقف أمام الأسد في حديقة الحيوان، وأنظر في عينيه بتركيز دون أن يهتز لي رمش، كان الناس يفزعون، وكنت أنا على ثباتي، ربما

كنت أثير خوف من حولي أكثر من الأسد ، عندما كنت أضحك بصوتٍ عالٍ مستمتعًا وساخرًا من جبنهم.

ومع عمق علاقتي بالشيخ عبدالله الذي يعمل منذ سنوات على المعالجة بالقرآن الكريم، بصحبة أخويه عثمان ومحمود، والذي كان يعمل على تحفيظي القرآن، كان الأمر سهلًا، وهو لم يكن يمانع من حضور الأطفال ،خاصة أنني كنت ملازمًا لهم في منزلهم، وأحظى بحب ورعاية شقيقاته.

وفي المسجد لاحظني الجميع، وتعجبوا من صمتي وثباتي، بل وتركيزي مع الممسوس الذي يتم علاجه، ونظراتنا المتبادلة.

بدا على نجيب المهندس الاهتمام الآن، وبدأ يسجل أشياء على لابتوبه بسرعة كبيرة، قبل أن يقاطعني قائلًا :

- عند رؤيتك للممسوس، هل كنت تشعر بأحاسيس غريبة، أو تمر بأشياء غامضة تؤكد لك وجود هذا العالم ؟!.

لم تَسُرُّني مقاطعته، ولكنني أجبت :

- عندما كنت أجلس في المسجد، ولو كنت تعرف العبور جيدًا، فهو مسجد الرحمة، وهو في آخر الشارع الذي أسكن فيه الآن، كنت أجلس بعيدًا إلى حدٍّ ما عن دائرة الرجال المنعقدة، فلم يكن الشيخ وحده هو الموجود، بل كان هناك مجموعة من المساعدين المتطوعين لمساعدته بقراءة القرآن، وكنت ساعتها أشعر بإحساس طاغي من الإثارة، فأنا أمام إنسان خارق، يتلبسه الجن، فأظل على تركيزي معه، والعجيب أنه كان يركز معي، ويَشْخَصُ ببصره نحوي دونًا عن كل الموجودين.

قال بصوت غير مستريح، فكل الأمور لا يمكن القبض عليها :

- أي إنها مجرد أحاسيس، ربما هو تواصل من نوع ما لكونك مازلت طفلًا، ومازالت روحك شفافة، ولم تتلوث بغبار المدنية والمعرفة.

نظرت له للحظات مفكرًا في حديثه، ثم قلت :

- ربما كان ما تقوله صحيحًا، وربما هي هبة أخرى، ألم أخبرك من قبل أنني مغناطيس لمثل هذه الأشياء.

عاد ليسأل، وهو لم يَكُفّ عن تسجيل الملاحظات على حاسوبه:

- هل رأيت تجسد حقيقي للجن، وهل من الممكن للجن أن يظهر ويبدل تجسده أمام العيان ؟.

- الحقيقة أنه كان لي تجربة مثيرة في هذا الأمر، حدثت معي في شرم الشيخ، يومها كنت مُخَيِّمًا مع صديقي (عصام) ، وله قصة مُرَوِّعَة في هذه العوالم سأقصها عليك في حينها، كنا قد قررنا التخييم هذه المرة في رأس محمد، كانت عقارب الساعة قد تعدت منتصف الليل بعدة دقائق، عندما رأيت على البعد طائر عملاق أسود اللون، ذو أجنحة هائلة الحجم كانت تغطي على قرص القمر المكتمل في هذا اليوم، ومن واقع معرفتي لهذه الأمور، فإنني أدركت كونه أي شيء إلا أن يكون طائرًا.

بل كنت على يقين بكونه جِنِّيّ أو تَجَسُّد له، فأنا أستشعر قدوم هذه المخلوقات الطيفية، كما أن حجمه لا يمكن أن يمتلكه طائر في هذه الأيام، ربما في ألف ليلة وليلة، أو في عصور سيادة الديناصورات للأرض.

بالطبع لم أكتفي بالمشاهدة بل قمت أتتبع أثر الطائر، ولم أبتعد كثيرًا حتى فوجئت بخفقات أجنحة تحرك الهواء بقوة أمام وجهي، ليظهر أمامي وكأنه نَبَتَ من العدم، فابتعدت عنه، وفزعت من هول المفاجأة، وواريت عيناي بِكَفّي لحمايتهما، وعندما عدت ببصري إلى المكان وقلبي ينبض في عنف، رأيت الطائر يبتعد كقطعة من الفحم شديدة السواد.

جناحاه الواحد منهما أطول من سيارتي الملاكي يطير إلى السماء حتى توارى، فعدت إلى عصام الذي رأي من مكانه الطائر، وإن لم يجرؤ على تتبعه، وبداخلي قلق عظيم، فظهور مثل هذه الأشياء هي نذير حقيقي بقرب وقوع كارثة.

تنفست بقوة لأسيطر على نفسي الذي تَهَدَّجَ من تذكر الأمر، ثم نظرت لنجيب واستطردت :

- بالنسبة للتجسد الحقيقي فهو يحدث، ولكن الجن لا يستطيع أن يتحول من شكل إلى شكل إلا عندما تبتعد عنه الأنظار، وكثيرًا ما يراوغ المُعَالِج ويختفي كي يشتت تركيزه، فالنظر يثبته ويربطه بالمكان، لذا فهو يسحب بصره إلى أماكن أخرى ليسهل له الهرب أو التجسد في أشكال مُفْزِعَة، وعلى الشيخ أو المعالج أن يكون حذرًا، ويحرص على أن لا يكون هناك من أصِيْبَ بمسٍ سابق، لأنه أكثر عرضة لأن يتلبسه الجن مجددًا، وبالطبع كل هذه المعلومات أخبرها لي خالي في جلسات متفاوتة.

قطع ما يكتبه على اللابتوب ليسأل :

- هل تعتقد أن خالك سبب في حالتك، أو أنه كان البوابة التي زَجَّت بك إلى هذه العوالم، وهل كان يمتلك قدرات مماثلة ؟!.

كان يطرح عليَّ السؤال الذي طالما سألته لنفسي دون أن أجد أيَ إجابة عليه ، فقلت :

- أعتقد أن خالي سيء الحظ مثلي، مغناطيس أخر لهذه الأمور الغيبية المخيفة، جذبه الفضول فانغمس في الأمر، دون أن يكون طرفًا فاعلًا أو مهمًا فيها، إنه لم يعاصر نفس ما عاصرته، ولكنه يمتلك علم مواجهته لأنه درس لفترة طويلة هذه الأمور، قبل أن يبتعد عن شِرَاكِهَا المُخِيْفَة.

رأيت الاحباط على وجهه، فقلت :

- أنا أقص عليك حكايات حقيقية، وليست قصة إثارة.

أجاب باقتضاب :

- هذا ما تؤمن به أنت، ولكن أخبرني هل مر خالك بخبرات حقيقية في هذا المجال ؟!.

قاطعني دوي الهاتف في رأسي، فغصت بعمق أفكاري، وأنا أردد ما يخبرني به الهاتف كتلميذ نجيب :

- هذا الرجل سيموت في الغد.. سيموت لا محالة.

وفي هذه اللحظة أدركت أني في حاجة، لجرعة جديدة من الكافين، خاصة وأن مشهد نجيب المدد في قبره قد هاجم رأسي مع الرائحة الترابية الخانقة لقبره .

ومع منظر جسده الغير منتظم المقيد في كفنه ، تساءلت بيني وبين نفسي عن طريقة الموت، التي ستجعل جثته ملفوفة في كفنه على هذه الهيئة .

عدت بقدحين من القهوة التركية المميزة، ووضعتهم على الطاولة، فشكرني وهو يتناول قدحه، إنه مدمن قهوة آخر.

تركني لدقيقة كاملة اتمتع بسجارتي الجديدة، وبنكهة القهوة التركية، وهو مستمر في الكتابة على اللابتوب، فإما أنه يُوَثِّق ما أقول، أو أنه يُجْري مُحَادثَة عبر الفيس بوك الذي لمحته يفتحه عدة مرات، تبادلًا مع صفحة وورد بدأت تزدحم بالكلمات.

فليفعل مايريد، كل هذا لا يعنيني، أنافقط أسْجي الوقت حتى يحين موعدي.

وفي النهاية رفع رأسه، ليخبرني بما لم يثر فضولي :

- هل لديك مانع لو سجلت ملاحظات على ما تحكيه ؟!.

لم يكن لديَّ أيّ مانع بالطبع إنه شخص على وشك الموت، وليس لدي سر مُقدّس أحرص على إخفائه عن باقي البشر، ولو أعلنت أسراري للعالم كله فلن يهتم أحد، فمثل ما أقصه عليه تستخدمه الصحف الصفراء لزيادة التوزيع لا أكثر، دون الإهتمام بصحته، أو حتى بذل بعض الجهد لإثباته، لأنه بالفعل لا أحد يهتم.

أشرت له أن يكمل، فقال :

- أخبرني أكثر عن خالك.

سحبت نفس عميق وأخير من السيجارة التي لم يعد فيها بركة، ولم تعد تصمد حتى تمنحني جرعة النيكوتين المطلوبة.

وعندما هممت بالحديث، دَوّى صوت أذان المغرب من المسجد القريب، وكان هذا إيذانًا بانتهاء الحديث، حتي قيامي بفرضي نحو خالقي.

ابتسمت له ابتسامة ذات مغزى، فأشار إلى قلبه، فتركته وتوجهت صوب المسجد، ولم أنسى بالطبع أن أرشف ما تبقى بقدحي من قهوة على عجل، وصوت الأذان يتغلغل إلى روحي.

الله أكبر..الله أكبر.

لا إله إلا الله.

عدت من الصلاة أكثر نشاطًا وحيوية، وقد زايلني الصداع الذي استمر معي طوال اليوم، كما تلاشى من رأسي مشهد جثته المهشمة والهاتف المقبض، والعجيب أن الهاتف لم يزعجني قط أثناء الصلاة برغم إلحاحه المستمر سابقًا.

وأثناء عودتي تذكرت المقولة الشهيرة عن أن الجن والشياطين، تخاف من القرآن، بل إن هناك حديث لا أعرف صحته أو دقة ما ورد به عن أن الشيطان يتضائل حجمه حتى يتلاشى، مع خوض الإنسان في قراءة القرآن.

الفكرة كانت في تلك النقطة :

- كيف يوسوس لنا الشيطان إذن أثنا[illegible]

أقبلت على المقهى الذي اشتعـ[illegible] أكثر دفئًا وحميمة، وجلست على المقعد، ثم شرعت في الحديث مباشرة :

- كان خالي في شبابه من المداومين على الصلاة في المسجد، كعادة كل عائلتنا، ومع كثرة تردده على المسجد نال صحبة الشيخ وصداقته وثقته، لم يكن هذا الشيخ بالطبع هو شيخ مسجدنا بل كان شيخ المسجد الموجود بساحل روض الفرج بشبرا، حيث كان يسكن خالي قبل انتقاله إلى العبور، ومع اشتداد أواصر الصلة بينه وبين شيخ المسجد، أصبح يحضر حلقات دروسه، وحلقات العلاج بالقرآن الكريم، ولكونه أزهري فقد

ساعده الشيخ في طلب العلم أيضًا، وفي شرح ما غمض عليه من دروس الفقه والميراث وغيرها.

وأخبرني أنه ذات يوم حضر إحدى جلسات إخراج الجن من الممسوسين، والتي كانت تنعقد هناك بعد صلاة الجمعة.

لم تكن جلسة عادية أبدًا، فالجن كان عفريتًا قويًا ومشاغبا، ورغم أنه كان هناك صفين من الرجال المتطوعين لا ينقطعون على قراءة القرآن إلا أنه كان من الواضح أن الجلسة لن تمضي على خير أبدًا.

فقد أصاب الشخص الممسوس، حالة من الهياج والغضب، حتى أنه انتفض واقفًا، ثم اندفع نحو الرجال المنهمكين في قراءة القرآن، وقام بحمل رجال كل صف وكأنه يحمل دمى بلاستيكية، وقذف بهم جميعًا في حركات خاطفة وقوة مُفرطَة على طول ذراعيه، وهو يرغي ويزبد ويتحدث بلغة غامضة غير مفهومة، تناثرت على إثرها أجساد المتطوعين على بُسُط المسجد، من كان منهم في اليمين أصبح في اليسار والعكس..

إلى هنا ولم تهدأ ثورة هذا الممسوس، فقد استدار والشر يطفح من وجهه، وَهَمَّ بالهجوم على الشيخ ليطيح به كما فعل مع الرجال.

الأمر العجيب الذي أقسم خالي على حدوثه، هو التوقف المفاجيء لذلك الممسوس وقد كسا وجهه الغضب قبل خطوات من الشيخ، وكأن هناك جدارًا خفيًا يمنعه، أو شخص، أو شيئًا ما يحول بينه وبين الشيخ، الذي وقف أمامه متحديًا، ولم يفارق الهدوء وجهه قط، والشيء الثاني الذي أقسم على حدوثه أنه ترك الجميع، وأخذ يرمق خالي بنظرات شنيعة، برغم صراخ الشيخ ووعيده لينظر نحوه.

وعندما أدار الممسوس بصره بعيناه اللتان استحالتا للون الأبيض الباهت، انتقل الشيخ إلى المرحلة الثانية والأكثر خطورة، فبدأ يهدد الجني الغاضب في صرامة:

- هل ستخرج من جسده أم أحرقك، إنك تعرف إنني قادر على ذلك؟.

كان الجني يرد على الشيخ بتحدي، وبلغة عربية سليمة :

- لن أغادر جسده، لن أتركه لقد أصبح جسده ملكي.

شرع الشيخ في تهديده، وقد رسم الغضب على وجهه، قبل أن يسحب عصا خيرزان من جواره، ليضربه ضربًا مؤلمًا.

وعند هذه النقطة طلب مني نجيب أن أتوقف، لِيُدَوِّنَ ملاحظةً ما قبل أن يقول متسائلًا:

- هل تعتقد في جدوى الضرب، وهل حقيقة أن له تأثيرٌ ما على الجني، هذا بالطبع لو كان للجن وجود، أنا فقط أحدثك بمنطقك ؟.

لم أرغب بالطبع بالعودة للمهاترات، فأجبته قائلًا :

- عند يتلبس الجني بالبني أدم، فإنه يتقيد بالجسد، ولأن أجساد الجن أقل كثافة وهشاشة، فإن وقع هذه الضربات البسيطة عليهم، يكون كما الزلزال، أو الصعق الكهربي على جسده، أو الحرق بالنار، فكل ضربة تشبه المطرقة التي تهوي على جسد المارد دون رحمة، والجن من طبعه أنه كذوب، ولذلك لابد من ترهيبه كي يفارق جسد الضحية.

هز رأسه في فهم، ثم أشار لي أن أكمل، وهو مندمج في تسجيل ملاحظاته :

- كانت ضربات الشيخ تهوى على جسد الممسوس، فيصرخ الجني، ويتوعد، ويهدد دون أن يقوم بفعل حقيقي كما فعل منذ لحظات، ومع استمرار

الشيخ في ضربه ضربات موجعة، تحول التهديد والوعيد إلى صرخات عالية تكاد تنخلع لها القلوب من الصدور، وبدون مقدمات سقط الرجل الممسوس على الأرض كحجر، وهو يتلوى من الألم، ولكن الشيخ لم يتوقف عن ضربه.

وبعدها صرف الشيخ بعض الأشخاص ممن يَشُكُّ في قوة إيمانهم، في حين استمرت جوقة المتطوعين في قراءة القرآن.

وعند هذه النقطة قاطعني نجيب، وعلى وجهه ظهرت التساؤلات، وقال :

- ألا يحميهم القرآن الذي يقرأوه ؟.

أجبته :

- القرآن يحمي بالفعل عند قراءة آيات التحصين، وأيضًا مع التجديد والإيمان، والمشكلة هنا مع هذا الجن القوي أن القرآن يؤذيه، ومع العناد والرغبة في الثأر قد يتلبس في جسد شخص ضعيف الإيمان لتدور الدائرة من جديد.

حَكَّ رأسه بطريقة من الواضح أنها لا إرادية، ثم قال :

- مادام الجني يتألم وواثق من مقدرة غريمه، لماذا لا يهرب، هل يَهْوَى الجِنُّ سُكْنَى أجساد البشر ؟.

عدت من جديد لتكرار حديثي السابق، وقلت :

- الجني عندما يتلبس جسد بشري فإنه يتقيد به، واحتلاله للجسد الثاني مجرد عقاب يقوم به ثأرًا منه لعدم استطاعته الاستمرار في تنفيذ مهمته التي كلفه بها الساحر.

حَكَّ رأسه من جديد، وقال :

- هل دائمًا ما يكلف الساحر أو المشعوذ الجن بطريقة مباشرة، أم أن التلبس قد يحدث من تلقاء نفسه ؟.

كنت أعرف إجابة السؤال جيدًا، فأجبت قائلًا :

- هناك حالات سأقصها عليك في وقتها، وهي من حالات المس المباشر، نتيجة إيذاء غير مُتَعَمَّد حدث من البشري للجني، ولكن في حالة هذا الجني ،كان التكليف من الساحر لأحد مردة الجن، وقام هو بتكليف ذلك الجن الخادم ليقوم بالأمر، وبالتالي فإن انتقامه ينبع من خوفه من فشل مهمته، فإن كان القرآن يؤذيه، وممارسات الشيخ ستؤلمه، فالعذاب الذي سيلقاه على يد المارد الذي كلفه بالأمر قبل أن يقتله، يجعله يتقرب إليه بالمزيد من الإيذاء.

انهمك في تدوين ما قلت، قبل أن يقول :

- هل تَقيُّد الجن بجسد الإنسان أبدي، أي أنه بمجرد دخوله في الجسد لا يستطيع أن يغادر، إلا بالطقوس أو إستدعاء المارد له ؟.

شعرت بحاجة مُلِحّة للكافين مرة أخرى، ولكنني اكتفيت بنيكوتين لفافة التبغ، بعد أن تقلصت معدتي، فأخذت منها عدة أنفاس قبل أن أقول :

- الجن بالطبع لا يكون مُقَيَّدًا بالجسد نفسه، بقدر ما يُقَيِّدَهُ خوفه من الساحر أو المارد الذي كَلَّفه، ويستطيع أن يغادر في أي وقت، هذا لو لم يسيطر عليه الشيخ أو المُعالِج، بالاضافة لأن لديه الضمانة الكافية، لعدم إيذاء الشيخ له أو حرقه كما يَدَّعِي.

كتب بسرعة بعض الملاحظات قبل أن يتسائل :

- أي ضمانات هذه ؟.

كنت أعرف أنه سيسأل هذا السؤال، لذلك كنت جاهزًا بالإجابة :

- إن دخول الجني في جسد الإنسان له مَضَارُهُ العظيمة، والتي قد تظهر على هيئة أمراض متنوعة سواء أكانت نفسية أو بدنية، وبإمكان الجني بكل بساطة أن يخرج من الجسد من أماكن كثيرة فَيُتْلِفهَا كالعين، والقلب والرئتان، وبالتالي لو لم يكن الشيخ أو المعالج متحكمًا في الأمر، فإنه سيضر الشخص الممسوس عند الخروج.

بالاضافة لأن الشيخ يعرف أنه قادر على صرفه وليس حرقه، ليس هذا عن عجز، ولكن لأن الجني ليس فردًا منقطع الصلة عن بني جنسه، فخلفه قبيلة ستسعى للثأر له منه لو كان ذا مكانة بينهم، وربما يمتد الإيذاء إلى ذريته حسبما تتطور الأمور. لذا فعادة ما يكتفي الشيخ بصرف الجن مع تهديده، و أخذ الضمانات عليه بعدم العودة، فطبيعة الجني وخاصة لو كان كافرًا، أنه يتلذذ بأذية البشر.

دَوّنَ كل ما قلت قبل أن يعيد وصل شاحن اللابتوب بالقابس، وهو يتسائل في اهتمام:

- وما هو الفرق بين أن يكون الجني مؤمن أو كافر؟.

أشعلت لفافة تبغ جديدة قبل أن أجيب، وكانت هي الأخيرة في علبتي الأولى لهذا الوقت، وقلت :

- الجن المسلم مُقيّد بقوانين دينه، وهو الا يؤذي البشر أو أيًا من المخلوقات الأخرى دون وجه حق، ولو نَفّذَ جني مسلم أي من هذه الأمور، فيرجع ذلك لأن إيمانه ضعيف، والمارد الذي كَلّفَهُ بالأمر قوي ومخيف ومُطَاع.

سَجّل ما قلت، ثم قال :

- لنعد إلى الجلسة التي حضرها خالك، ماذا كان اسمه ؟!

أجبت على الفور :

- كان اسمه محمود، وظل طوال هذه الجلسة يرتجف كما أخبرني، وخاصة مع صرخات الجني القادرة على زلزلة أقسى القلوب، وبالفعل تابع الجلسة بقلب منقبض، وظلت الأمور مشتعلة بين الجني والشيخ ما بين صراخ عنيف وصمت أشبه بالغيبوبة، حتى رضخ الجني للشيخ، وقرر الخروج من عين الشخص الممسوس، ليعود الشيخ لتعذيبه بالضرب المبرح، فرضخ في النهاية للخروج من إبهامه.

وبالفعل غادر الجني المكان واستفاق الممسوس، بعيون زائغة وجسد مرهق، وتحول إصبع هذا الشخص إلى إصبع من الفحم الأسود، وعندما شَقَّهُ الشيخ بموسي حاد يحمله معه، نزت منه دماء سوداء، قرأ عليها الشيخ بعض الأدعية، قبل أن يتخلص منها.

كانت جلسة رهيبة بالفعل، وكان تأثيرها على خالي قويًا، ولكنه بعناد الشباب أدرك أنه لن يمر بأصعب منها، فداوم على هذه الجلسات، حتى اكتسب العلم من الشيخ.

كان سؤاله التالي متوقعًا:

- هل مارس خالك هذا الأمر بعدها؟.

وكانت الإجابة :

- على نطاق ضيق، ولكنه آثر السلامة، فليس للجميع القدرة للمداومة على الخوض في مثل هذه العوالم الملعونة.

رشف رشفة باردة من قدح القهوة الذي لم يكمله، قبل أن يقول :

- هل كان يشجعك خالك للخوض في هذه الأمور، وهل واجه أيًا من إخوتك مواقف مماثلة، أم أنك وحدك من تخوض في هذه العوالم ؟!

- لا يمكن أن أقول نعم عن هذه النقطة بضمير مستريح، فهو لم يدفعني بالطبع للخوض فيها بشكل مباشر، إلا أن ما قَصّهُ عليَّ جعلني أهتم، وما أحوزه من تحس جعلني أغوص حتى رأسي في هذا المستنقع، وبالنسبة لإخوتي حادث واحد وقع لأختي الكبيرة، عندما ذهبت مع خالي لنفس المسجد كي تصلي وهي في المرحلة الثانوية، ومع بدء الشيخ في الصلاة وقراءة القرآن، بدأت تلك السيدة التي بجوارها في الاهتزاز والتَشنُّج، قبل أن تسقط على الأرض وكأنها تمر بنوبة صرع.

وكان ما فعلته أختي غير مفاجيء مع ما علمته من تلك السيدة قبل الصلاة أن هناك جن يسكن جسدها ، ومع رصيدها من القصص التي كنت أقصها عليها ويقصها خالي عليها أيضًا، إذ أنها انطلقت تركض حافية القدمين خارج المسجد حتى وصلت هلعة إلى المنزل، وقضت بعدها ليلتين بلا نوم، فأن تسمع، غير أن ترى بعينيك وتعايش الموقف بنفسك.

ابتسم للموقف، وقام بتدوينه، قبل أن يعود ليتسائل :

- ما هي معتقداتك للمس، وهل ينتقي أصحابه، ويصيب شخصًا دون الأخر ؟

كنت أعرف أن كلامي القادم لن يقنعه، إن كان قد اقتنع بالأساس بحديثي السابق، فقلت :

- المعروف أن الغناء، أو الصراخ في الحمام، أو إلقاء الماء الساخن دون ذكر الله قبل إلقائه في الحمام، هو أكثر الأسباب شيوعًا، فالقصة كلها

تتلخص في أنك آذيت الجني بصوتك، فالأصوات العالية تؤذي الجن إن كنت لا تعرف، أو حرقته بالماء الساخن، وأثرتَ غضبه فيُقَرّر الانتقام.

وكل الأشخاص مُعَرَّضُونَ لِلمَسّ في حالة توافر الظروف أو المُسَبِّب، لا أحد معصوم إلا من يُدَاوِمُ على فروضه، وقراءة القرآن وأيات التحصين، فالإعتقاد الشائع بأنك تقوم بتحصين نفسك مرة واحدة هو دَجَل، فالقرآن ما دمت قد داومت عليه يخلق حولك هالة حماية، تشتد وتقل حسب درجة إيمانك، ولعلمك فالتمر أيضًا يصنع نفس الهالة، لذا أوصى به رسولنا الكريم بالمداومة على تناوله وبأعداد معينة.

انتهى مما يكتب، ثم قال :

- ومن أين استقيت هذه المعلومات ؟.

أجبت قائلًا :

- من مشايخ ثقات.

بالطبع لم تعجبه الإجابة لأنه لا يؤمن بكهنة الأديان كما يقول، ولكنه عاد ليحاورني :

- وهل انتهت قصة خالك عند هذه الحكايات، أم أن هناك المزيد ؟.

نظرت له وابتسمت، ثم قلت :

- خالي كان موعودًا بلقاء مثل هذه الأشياء في فترة شبابه، سواء على شاطيء النيل، أو عندما التحق بالجيش ونقل للخدمة بقلب الصحراء، والصحراء كما تعرف هي مساكن الجن، وفي تلك الأماكن مر بتجارب عصيبة سأقصها عليك الآن.

بدأت هذه القصة عندما كان خالي محمود، مع أخيه الأصغر هشام، يجلسان على شاطيء نيل القاهرة في ساعة المغربية فوق إحدى تلك المصاطب الاسمنتية المُصْطَفَّة على الكورنيش في ظلال شجرة كثيفة الأوراق، منهمكان بالحديث والتهام الذرة المشوية قبل قيامهم برحلة العودة إلى المنزل.

الوقت يمضي عليهما وهما في حالة من النشوة، يرمقان النيل بأعين حالمة مطمئنة، فالنيل عبر آلاف السنين، لم يكن خطرًا إلا على الحمقى الذين جربوا الخوض فيه دون أن يجيدوا السباحة، وربما كان كرهًا لعروس البحر التي كان يلقيها الفراعنة عرفانًا بجميله، في يوم وفاء النيل.

كانت الشمس تحتضر، ومن يراها في الأفق يعتقد أن البحر يلتهمها، الموج يصطدم بالشاطيء في تؤدة، ولا شيء غريب في الأفق، فقط بعض القوارب تقطع النيل في الإتجاهين للترفيه عن العشاق، أو نقل البعض للضفة الأخرى.

الحياة تمضي في ثقة، لا شيء يوحي بأن الوضع سيتغير، وعلى حين غُرّة علا البكاء ليلفت أنظارهم.

بكاء طفل رضيع بصوت صارخ مستنجد بدد هدوء المكان، لم يكن بكاءًا عاديًا، ولا يمكن أن يصدر من حنجرة طفل في عمره، إلا لو كان يشعر بألم غير مُحْتَمَل..

تكهرب الجو للحظة، وساحت أعينهم في المكان بحثًا عن مصدر الصوت، وعلى الشاطئ، وفوق الأرض الرطبة بالقرب من المياه المتلاطمة، ظهر طفل رضيع، ملفوف بعناية، وموضوع في مهد حال لونه، وبللته مياه النهر.

فزع خالي هشام من مشهد الرضيع الملقى بإهمال على الشاطيء، وهَبَّ واقفًا يركض نحوه، وعيناه تبحثان عن تلك الأم المهملة، التي تركت رضيعها معرضًا للخطر. خاصة وأن المياه تقترب من المهد في كل لحظة. تلك المياه التي لو اشتد مَدُّهَا لسحبته لأعماقها.

لم يكن موقف خالي محمود برغم صِغرِ سنه يشبه موقف أخيه هشام، وبحاسة خطر متفوقة شعر بكون الأمر غير طبيعي، فمستحيل أن يصل الطفل لهذا المكان أو يضعه شخص دون أن يرونه فالمكان مكشوف تمامًا. كما أنه كان خبيرًا في مثل هذه الأمور، وقد نضج مبكرًا جدًا، هذا غير رصيد الأجداد من الحكايات المخيفة عن جنيات البحر، لذا فإنه انطلق يركض خلف أخيه، وقبل أن يصل لمكان الرضيع، أوقفه ثم قال له بقلبٍ قَلِقٍ مرتجف:

- انظر إلى وجهه بداية لنتأكد من كونه طفل حقيقي وطبيعي.

وكانت المفاجأة عندما نظر خالي هشام إلى الطفل، ليشحب وجهه وتتوتر أعصابه.

لم يكن وجه الطفل طبيعيًا أبدًا، فعيناه مشقوقتان طوليًا كأعين الثعابين، وملامح وجهه كانت مُنفِرَة ومُتغَضِنَة، هذا غير أذناه المدببتان.

وفي هذه اللحظة ترك خالي هشام أخيه محمود خلفه من الرعب والفزع، وانطلق يعدو صوب الكورنيش، في حين ظل خالي محمود متسمرًا أمامه، فنظر له الطفلبوعي لا يمكن أن يمتلكه من هو في عمره، وفتح فمه على اتساعه، ليكشف عن أنياب حادة مدببه، ليتبعه بضحكة شنيعة ألقت في قلب خالي الرعب، قبل أن يبتعد جسده عن الشاطيء الطيني، ليغطس في الماء كصخرة ثقيلة.

وفي بضع ثوانٍ كان خالي محمود في ذيل أخيه، وعندما سألته عن حقيقة الطفل، أخبرني أن جنية الماء والتي تتلذذ بقتل البشر غرقًا، والتهامهم. كانت تتنكر في شكل هذا الطفل، لتحصل على ضحية ووجبة طازجة.

ارتسمت على وجه نجيب ابتسامة ساخرة، قبل أن يقول :

- هل تعتقد أن هذه القصة منطقية، جنية وتلتهم البشر؟!

لم تعجبني سخريته فرددت عليه :

- الأمر لا يتحمل السخرية حقيقة، إنها قصة واقعية وحدثت، التفسير في علم الغيب، والجن ينقسمون لعدة أنواع، منه البري والطيار والبحري، وما المانع أن تكون هذه الجنية، أحد أشرار الجن المائي ؟.

ابتسم مجددًا، قبل أن يقول دفاعًا عن نفسه :

- أنا لا أسخر من أيّ شيء، أنا فقط أتحدث عن عدم منطقيته ؟.

أثارت إجابته أعصابي فقلت :

- نحن نتحدث عن واقع حدث هنا، ربما ليس منطقيًا، ولكنه حقيقي، فليس كل ما هو منطقي صواب، وكل ما هو غير منطقي خطأ، وأنا أضمن لك أنك لو كنت تثق بي من الأساس، أنها قصة حقيقية، وسمعتها كما قصصتها عليك، من خالي محمود، وخالي هشام، دون أيّ اختلاف في التفاصيل.

صمت قليلًا، وأنا أتبسط وأتناول لفافة تبغ جديدة من علبته، قبل أن أستطرد قائلًا :

- هل أكمل أم أصابك الملل ؟!.

أشار لي أن أكمل فنظرت لخارج المكان، الساعة تقترب من السابعة، والسيارات المارة أشعلت مصابيحها لتساعد إضاءة الأعمدة الهزيلة في إنارة الطرقات، مازال أمامي مُتَّسَعٌ من الوقت، الجلسة جيدة إلى حدٍ ما، فقط لو يتوقف هذا الهاتف عن إزعاجي، أو أنسى أن هذا الشخص اللاديني على موعد مع القدر غدًا.

ولكني في النهاية عدت لأقص عليه الحكاية، أو الحكايتان اللتان أخبرني بهما خالي في وقتٍ سابق، وكان هو مُتَحَفِّز ومُنْصِت.

حكاية خالي القادمة عليها شاهد، وهو الشاويش مجاهد الذي كان يعمل تحت إمرته في وحدته في الجيش والإثنان حضرا الأحداث بالفعل. ففي ليلة صيفية حارة، كان خالي والشاويش في مكان خدمتهم، وهو بالقرب من إحدى أماكن المعارك التي وقعت أثناء حرب اكتوبر المجيدة، والذي تُرِكَ على حاله كشاهد على المعركة، لذا فإنه يَغُصُّ بالدبابات المحترقة والمدرعات المدمرة.

وفي موقع خدمته الليلي، كانت الصحراء على حالتها التي لم تتغير عبر السنوات، والهواء به لسعة برد، والصمت والهدوء يجعلان عيناه ثقيلتان مما جعله يتشبث بسلاحه، وفي لحظة مفاجئة كسر صمت الصحراء صوت جنازير تتحرك، ومحركات هادرة تعمل بكامل طاقتها.

تحفز خالي وحرك صمام الأمان على وضع الاستعداد للضرب، وعيناه تبحثان عن مصدر الضوضاء.

وعندما حددها ببصره، اندفع الأدرينالين إلى عروقه ليمحو من رأسه كل أثار النوم..

فأمام عيناه المندهشتان بدأت الدبابات المدمرة تتحرك، وتدور حول نفسها، في حين طفقت المدرعات الهامدة تشعل أضوائها، وتتحرك حول الدبابات في كل مكان مثيرة عواصف من الرمال.

كان الشاويش مجاهد نائمًا، فاندفع خالي المرعوب نحوه، ليوقظه، ويخبره بما رآه، وعلى الفور ظهر الغضب على وجه الشاويش وقال :

- إنهم الصهاينة أولاد الكلب.. يلعبون معنا.

لم يفهم خالي في البداية قصد الشاويش مجاهد، فظن أنه هجوم صهيوني غادر، مما أثار غضبه، ولكنه عندما علم أنه يتحدث عن أشباح قتلى الجيش الإسرائيلي، ثار هلعه.

وهنا أشار لي نجيب أن أتوقف عن الحكي، وقال بصوت بارد :

- الآن أنت تتحدث عن الأشباح، وهو موضوع مختلف ؟

أومأت برأسي ، وقلت :

- نعم هذه النقطة لفتت نظري أيضًا، وجعلتني أشك في القصة ككل فأنا لست غِرٌ ساذج كما تعتقد، فأنا أؤمن بالجن ولا أؤمن بالأشباح، لم يكن لدى خالي تفسير منطقي عنها، ولكنني عندما قرأت عن القرناء، كان هناك تفسير منطقي آخر.

نظر نحوي بعمق قبل أن يقول :

- بعيدًا عن أن الموقف كله قد يكون هلوسة جنود أفقدتهم الوحدة صوابهم ، وهم يقبعون في قلب الصحراء، وبداخلهم ميراث هائل من الحكايات الشعبية. فهل من الممكن أن تحدثني عن القرناء.

عرفت من طريقته أنه يتجنب النقاش، وكان هذا يناسبني فقلت له :

- القرناء هم نوع من الجن أو الشياطين يوكل بالإنسان من ساعة مولده وحتى وفاته حيث يخرج من جسد الانسان ، وعمله أن يوسوس للانسان بفعل الشر والغواية إلى ترك الخير، وهناك أدلة على وجوده من القرآن والسنة.وقال تعالى في سورة الزخرف الآية 36 {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } . وثبت في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجن. قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلمُ، فلا يأمرني إلا بالخير).

نظر وهو يفكر، هل يطعن في كلامي أم لا. ثم قال :

- أيْ أن القرناء هم نوع من الجن في النهاية. كل منهم يلاصق الإنسان إما بتكليف من الشيطان أو الخالق.

هززت رأسي وقلت :

- هم كذلك، والقرناء يستعين بهم السحرة عن طريق الجن المسخرين، لمعرفة أدق معلومات الانسان سواء أكان حيًا، أو بعد وفاته، فيظهر أنهم يعلمون الغيب، أو أن لديهم قدرات خاصة. وقبل أن تنتقل لتلميحك القادم، أخبرك أنه نوع من الاختبار، كأيِّ اختبارٍ آخر من الخالق القادر على كل شيء.

أشاح لي بيده قبل أن يقول :

- لقد أخبرتك من قبل، لن نخوض في هذه المناقشات. لِكُلٍّ منا قناعاته وليحتفظ بها لنفسه. فقط أنا أتعلم منك مالا أعلم. فهو سيهمني في بحثٍ خاصٍ سأجريه مستقبلًا.

ثم ابتسم ابتسامته المستفزة، قبل أن يقول :

- هذا لو لم أمت كما أخبرتني.

كنت أعِدُ له ردًا مستفزًا، ولكن آذان العشاء قد دَوّى في المكان، فقلت له يوجد قبل الإقامة عشرون دقيقة سأخبرك فيها بحكاية خالي الأخرى، قبل أن أذهب لألحق بالصلاة، ألا تنوي أن تجرب مرة أخرى.

كانت المرة الأولى التي يضحك فيها بمثل هذه القوة، قبل أن يقول من وسط ضحكاته :

- لن يمل أمثالك سلوك نفس الطريقة واستخدام نفس الإسلوب، دعني لقناعاتي، وأبدأ في القصة كي لا ترتكب ذنب التأخر على الصلاة.

لم أجادل معه طويلًا وقلت :

- انتقل خالي محمود، من موقع خدمته لموقع جديد أخر في قلب الصحراء، بعد أن تعرض لمداعبات القرناء من الإسرائيليين وعبثهم بآليات الحرب، وهو يحمد الله على الخلاص من هذا الفخ المُفزع.

كانت وردية ليل، أو خدمة ليل كما كانوا يطلقون عليها في حينها، وكان مع خالي نفس الشاويش.

كان خالي ينام في خيمته، حتى يوقظه الشاويش مجاهد في موعد نوبته ، وفجأة وهو نائم شعر بحرارة تلفح ظهره، وبشيء لزج ناعم يتمدد بجانبه ، فاعتقد أن الشاويش مجاهد قد ترك موقع حراسته، ليحظى ببعض النوم بجواره، واعتقد أن ذلك الشيء الناعم الدافئ والملاصق له، هو جسده.

كان الجسد الملاصق له ناعم وطريٌ ولَزج، فلا يمكن أن تكون بطن الشاويش حتى ولو كانت عارية وانكشفت أثناء تقلبه. شعر بخوف عارم يعتريه، فهو لم ينسى بعد أرواح اليهود التي عابثته من قبل.

وببطء، تسللت يده لِتُحضِرَ الكَشّافَ الذي لا يفارقه، وعندما أشعله، تخشب جسده وتسمر في مكانه للوهلة الأولى، وشعر بجسده يرتجف في قوة، وكأنه على وشك الإصابة بنوبة قلبية، فما كان يلتصق بجسده هو ثعبان ضخم في حجم الأصلة العملاقة، يلتف حول جسده، ويحيط به كالدائرة.

•

بالطبع لم يتمالك خالي محمود أعصابه، ولم يلتفت لكون حركته المفاجئة قد تصيب الثعبان بالغضب، فيبث سمه في عروقه أو يلتف حوله بحجمه الهائل هذا ليعتصره حتى الموت، وأطلق لساقه العنان، وهو يصرخ في عنف ليقبل عليه الشاويش مجاهد، وقد أشهر سلاحه، وبصوتٍ مختنقٍ مذعور قال مُوَجِّهًا حديثه للشاويش المتحفز:

- انجدني يا شاويش مجاهد..انجدني، يوجد في الخيمة ثعبان ضخم جدًا، كاد أن يفتك بي.

لم يدخل الشاويش الخيمة، ولكنه أجلسه على مسافة آمنة من الخيمة، وسأله مستفسرًا:

- ما شكل هذا الثعبان الذي رأيته ؟!

دقائق حتى استرجع خالي صوابه، ليقول بصوتٍ مصدومٍ متكسر:

- إنه ثعبان أصفر ضخم جدًا، لا أعرف حقيقة طوله، ولكنه كان يكفي لصنع عدة دوائر من حولي.

نظر له الشاويش بغموض قبل أن يقول :

- ألم يحاول أذيتك أو مهاجمتك ؟.

رمقه خالي في عدم فهم، قبل أن يقول :

- لا أعرف..حقيقة لا أعرف..كل ما رأيته أنه كان يحيط بي وكأنه...

أوقف خالي عن الحديث، ليكمل الشاويش :

- لحم كان يحيط بك لحمايتك.

وللمرة الثانية لا يفهم خالي معنى حديثه، فاندفع يسأل :

- ماذا تقصد بحديثك هذا ؟.

ربت الشاويش على كتفه، قبل أن يقول:

- إن هذا الثعبان ليس غريب عن رجال الجيش، لست أول من راه أو حماه، هناك قائمة طويلة من المشاهدات له، ولكنه ليس الحديث المفضل بين أروقة الجيش، حرصًا على عدم نشر الفزع بين الجنود.

لم يفهم خالي أي شيء من حديثه، سوى أن هذا الشيطان، لم يظهر له وحده، وتعجب من عدم إقدامهم على قتله واقتناصه، فقال :

- ولماذا لم يقتله أيًا منهم إنه خطر حقيقي ؟!

هز الشاويش رأسه مرة أخرى، قبل أن يقول :

- أنت لم تستوعب الأمر جيدًا، لا أحد يجرؤ على قتل الثعبان الحارس، إنه اتفاق ضمني بين الجميع، فهو في الحقيقة ليس ثعبان، بل جنيّ صالح على هيئة ثعبان، يقوم بحماية الجنود، من ضواري ومخلوقات الصحراء، فربما كان هناك خطر يهددك، كعقرب سام، أو ثعبان حقيقي أو أيًا من مخلوقات الصحراء، لا تدع شكله يخدعك، فهو جني طيب.

بالطبع مرت الليلة على خالي أسود من قلب كافر، ولم يظهر له الثعبان الحارس أو الجن الحارس مرة أخرى.

انطلق نجيب يُدوّن على اللابتوب الخاص به القصة بالكامل ،قبل أن يقول:

- هذه القصة سمعتها من قبل، بل وعشرات القصص المماثلة عبر ألسنة عشرات المجندين، ولكن الحقيقة أني لم أصدقها، لعدم وجود دليل مادي عليها، إن ما يقصونه يشبه قصص الأطباق الطائرة، الآلاف رأوها، والقصص تملأ مجلدات، ولكن لا يوجد دليل واحد محترم يثبت الأمر.

نظرت له بلا مشاعر، ثم قلت :

- أنت حالة ميئوس منها، سأذهب للصلاة، ولكن تذكر إعمال العقل الدائم في كل شيء يُفقِدهُ لَذّتَهُ ومنطقيته، هناك في الحياة أشياء لا تحتاج إلا للإيمان والإيمان فقط.

وهذه المرة لم يبتسم.

لم يبتسم أبدًا.

مالا عين رأت

انتهزت فرصة عودتي من الصلاة لإنجاز مهمتين، الأولى الإتصال بوالدي والاطمئنان عليه، فمشهد تلك النظرة المنكسرة التي ظللت وجهه لم يغب عن بالي قطّ، وستظل هاجس يَقُضُّ مضجعي، ويفسد سلامي الروحي حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا.

الحقيقة أني لا أخشى عليه من الموت، بقدر خوفي من الفراق، وأن أُصبِحَ في هذه الدنيا بلا سند، فكما كانت تقول جدتي :

- إن أباك هو سندك فلا تجحده أو تَعُقّه، حتى ولو كان كومة عظم في قُفَّة.

الحمد لله على كل حال كان بخير، بل وشعرت بأني فقط أطمئن على نفسي بوجوده، وأراح صوته قلبي وبشدة.

أما المهمة الثانية، كانت هي شراء علبة تبغ جديدة، وبعض البسكويت المملح والفطائر لأن معدتي تهشني، وأنا عند الجوع، أتحول لكائن أخر.

جلست أمام نجيب، ومنحته بعض مما حصلت عليه من السوبر ماركت القريب، كان يبدو جائعًا هو الأخر، ولما انتهينا صمم أن يحضر الشاي بنفسه، فهو أخف وطأة على المعدة، وعندما انتهت المأدبة عاد ليسألني بنفس الحماس :

- لقد شعرت من حديثك أن الجن خالِ البال، ولا يشغله إلا أذية بني آدم، فهل ظني هذا صحيح ؟!.

هذه المرة ضحكت من أعماق قلبي، برغم أن الهاتف قد بدأ يُلِحُّ بطريقةٍ غريبة، وكأن وجودي بالقرب من ضحيته يستفزه وقلت بصوتٍ مرح:

- الجن مجتمع متكامل كعالم البشر، والأشرار منهم يسيطرون على الضعفاء ويجبرونهم على الإيذاء، وإن كان الجن الكافر يستمتع بإيذاء الإنسان كما أخبرتك، فلا تنسى أنهم خدم الشيطان.

صمت قليلًا، وكأنه يدير كلماتي في رأسه، قبل أن يقول :

- لماذا في كل حديثك يرتبط عبث الجن بالكفر، لماذا لا يرتبط فقط بالشر والرغبة في الإيذاء ؟!.

نظرت له نظرة خبيثة تجاهلها، قبل أن أقول :

- الإجابة بسيطة جدًا، فالجن المؤمن يخشى عقاب الله، ولذلك لا يقوم بأمور الإيذاء إلا مجبرًا، بينما الجن الكافر لا يؤمن بهذا الأمر، وعقيدته، أنه سيموت وينتهي الأمر بالنسبة له دون حساب أو عقاب، فيتحلل في النهاية ويتحول إلى عدم.

وعندما انتهيت من الإجابة، وجدته ينظر لي بدهشة، قبل أن يقول:

- إنك أول من أصطدم به، ويكون عقله مُنَظَّمًا وذهنه حاضر إلى هذه الدرجة خاصة في موضوع الغيبيات هذا، إنك مُرِيبٌ دون شكٍ، وكأنك تنتمي لهذا العالم أكثر من انتمائك لعالمنا.

ابتسمت ليس لأنه أطرى على عقلي وقدراتي، ولكن لأني أصبته بالقلق، حتى الملحدين واللادينين، يصابون بالقلق مثلنا، اليقين غير تام إذًا.

التهمت قطعة جديدة من البسكويت دون جوع حقيقي، ثم قلت له :

- إن ذاكرتك ضعيفة يا صديقي، ألم أخبرك أني أمتلك قدرات متفوقة، ومنها عقلي المنظم، وذاكرتي الفوتوجرافية، إن عقلي وذاكرتي يعملان بكل كفاءة.

نظر لي بشك حقيقي، قبل أن يقول :

- لو كنت أؤمن بوجود الشيطان لقلت أنك تَجَسُّد بشري له.

انطلقت أقهقه كالمجنون، حتى أني لفت نظر كل رواد المقهى، اللذين لم ابه لهم، ثم قلت بصوتٍ خبيث :

- هل ستكفر بمبادئك لمجرد رؤيتك لشخصٍ مُختلف، ثم إن الشيطان يا صديقي ليس بهذه الوسامة.

علت وجهه ابتسامة، وقد بدأت تتكسر كل قيود اللقاء والجفاء، ومع سخريتي المقيتة ، قبل أن يسألني سؤال مُلْتَفّ :

- هل تعتقد أن كل دور الشيطان، لو كان له وجود، أن يوسوس؟! . مخلوق مثله يملك العلم والقوة، يكتفي بالعبث، لو قِسْتَ الأمر بزاوية علمية، لقلت أنَّ أدائه وأعوانه أداء ضعيف، وكأنه قد مَلَّ وترك أتباعه يجتهدون، من مثله كان قد جَهَّزَ جيشًا من أعوانهم الجهنميين، ثم انطلق ليغزو عالم البشر ويفنيه ليعود لهم سيادة الأرض.

نظرت له غير مصدق ما يقول، ثم قلت بصوت تعليمي:

- للكون كله قوانينه وقواعده، فحسب شريعتي، أن الشيطان الأكبر عندما عصى.

قاطعني قائلًا :

- والذي كان لفترةٍ ما كبير الملائكة، يقطن الجنة، التي لم تراها عين ولم تسمع عنها أذن، ولا خطرت على قلب بشر.

إنه لاعب ماهر، لا تأتي له كُرَةٌ يعتقد أنها صحيحة حتى يوجهها صوب المرمي، ولأني مللت من عدم الرد عليه فإنني أجبت قائلًا :

- بالنسبة للشيطان فهو أكثر المخلوقات بؤسًا، إنه المخلوق الوحيد بعد الملائكة الذي كان بهذا القرب من الله ثم عاند وعصى، إنه يمر بأكبر تحَدٍّ في التاريخ، البشر يكفرون عن جهل وعدم معرفة، وهو يكفر بعد أن وصل إلى اليقين، إنه أكثر مخلوقات الله الحية يقينًا وإيمانًا بوجود الخالق، وبرغم ذلك غلبته روحه وطبيعته الشيطانية، إنه صاحب الوعد الشبه أبدي، والذي سيظل حيًا حتى تُبعَثُ الخلائق للحساب، وهو برغم كل ما يمتلك من قوة وشر ومعرفة، فهو محدود بقوانين ربانية، تمنعه من الإيذاء المباشر للبشر، وإن كان إيذائه الغير مباشر قد حَوَّلَ الأرض إلى حفرة من الجحيم، بعد أن أفسد الأديان، وقلب القلوب، ولَوَّثَ الأرواح بالمطامع الدنيوية، فكانت الحروب والأمراض، والدماء.

وعندما رُفِعَ إلى السماء بعد حرب الملائكة مع الجن قبل هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، رفع إلى جنة سماوية أخرى، وليست الجنة التي وعد الله بها المتقين كما تلمح .

رد الفعل السخيف المعتاد، كلاعب الطاولة عندما يدرك أنه قد أمسك خصمه خشب قال :

- القرآن لم يذكر جنتان، وذكر أنها مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وعند هذه النقطة ابتسمت، لقد أتيت إلى ملعبي، أنت لم تطلب الآن رأي العلم بل تطلب دليل من ديني، وأنا قد قرأت هذا الموضوع، وبإمكاني أن اتحدث فيه إلى الصباح، أطفئت لفافة تبغي احترامًا لما سأقول، ووجهت حديثي له قائلًا :

- الله سبحانه وتعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بعد قيام القيامة بدار المقامة ولم يُقِم آدم فيها. ووصفها بأنها جنة الخلد ولم يخلد آدم فيها، ووصفها بأنها دار جزاء، ولم يقل إنها دار ابتلاء وقد ابتلى آدم فيها بالمعصية والفتنة.

ووصفها بأنها ليس فيها حزن، وأن الداخلين إليها يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقد حزن فيها آدم، وسماها دار السلام ولم يسلم فيها آدم من الآفات التي تكون في الدنيا.

وسماها دار القرار ولم يستقر فيها آدم. وقال فيمن يدخلها وما هم منها بمخرجين وقد اخرج منها آدم بمعصيته، وقال لا يمسهم فيها نصب، وقد خرج آدم منها هاربًا فارًا عندماأصابته المعصية، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا النَصَبُ بِعَيْنِهِ الذي نفاهُ الله عنها.

وأخبر أنه لا يُسْمَعُ فيها لغو ولا تأثيم، وقد أثم فيها آدم وأسمع فيها ما هو أكبر من اللغو، وهو أنه أمر فيها بمعصية ربه، وقد أسمعه فيها إبليس الكذب وَغَرَّهُ وقاسمه عليه أيضًا بعد أن أسمعه إياه.

وقد شرب آدم من شرابها الذي سماه في كتابه شرابًا طهورًا أي مُطَهّرًا من جميع الآفات المذمومة، وآدم لم يطهر من تلك الآفات.

وسماها الله تعالى مقعد صدق وقد كذب إبليس فيها آدم ومقعد الصدق لا كذب فيه.

وقال إني جاعل في الأرض خليفة ولم يقل إني جاعله في جنة المأوى فقالت الملائكة: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ". والملائكة أتقى لله من أن تقول مالا تعلم وهم القائلون لا علم لنا إلا ما علمتنا، وفي هذا دلالة على أن الله قد كان أعلمهم أن بني آدم سيفسدون في الأرض، وإلا فكيف كانوا يقولون مالا يعلمون، والله تعالى يقول وقوله الحق: "لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون". والملائكة لا تقول ولا تعمل إلا بما تؤمر به لا غير. قال الله تعالى "ويفعلون ما يؤمرون".

والله تعالى أخبرنا أن إبليس قال لادم: "هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى " فإن كان قد أسكنه الله جنة الخلد والملك الذي لا يبلى ولم يخبر الله آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين، ولو كان فيها من الخالدين لما ركن إلى قول إبليس ولا قبل نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غرّهُ بما أطمعه فيه من الخلد فقبل منه.

ولو أخبر الله آدم انه في دار الخلد ثم شك في خبر ربه لسماه كافرًا ولما سماه عاصيًا لأن من شك في خبر الله فهو كافر، ومن فعل غير ما أمره الله به وهو معتقد للتصديق بخبر ربه فهو عاصٍ، وإنما سمى الله آدم عاصيًا ولم يسمه كافرًا، قالوا فإن كان آدم سكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يدخلها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس حتى فتن فيها آدم.

وإبليس فاسق قد فسق عن أمر ربه، وليست جنة الخلد دار الفاسقين ولا يدخلها فاسق البتة إنما هي دار المتقين، وإبليس غير تقي فبعد أن قيل له

"اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها" انفسح له أن يرق إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط والإبعاد له بالعتو والاستكبار.

يقول تعالى : "وقاسمهما" والمقاسمة ليست وسوسة ولكنها مُخاطَبَة ومُشافَهة، ولا تكون إلا من اثنين شاهدين غير غائبين ولا أحدهما.

وفي قول إبليس لهما "ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة" دليل على مشاهدته لهما وللشجرة، ولما كان آدم خارجًا من الجنة وغير ساكن فيها.

قال الله : "ألم أنهكما عن تلكما الشجرة" ولم يقل : "عن هذه الشجرة" كما قال له إبليس، لأن آدم لم يكن حينئذ في الجنة، ولا مُشاهِدًا للشجرة.

ومع قوله عز و جل : "إليه يصعد الكَلِمُ الطيب والعمل الصالح يرفعه " فقد أخبر سبحانه خبرًا مُحْكَمًا غير مُشْتَبَه أنه لا يصعد إليه إلا كَلِمٌ طَيِّب وعمل صالح، وهذا مما قدم ذكره أنه لا يلج المقدس المطهر إلا مقدس مطهر طيب.ومعاذ الله أن تكون وسوسة إبليس مقدسة أو طاهرة أو خيرًا بل هي شر كلها وظلمة وخبث ورجس، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

كما أن أعمال الكافرين لا تلج القدس الطاهر ولا تصل إليه، لأنها خبيثة غير طيبة.كذلك لا تصل ولم تصل وسوسة إبليس ولا ولجت القدس. قال تعالى: "كلا إن كتاب الفجار لفي سجين."

وقد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أن آدم نام في جنته، وجنة الخلد لا نوم فيها بإجماع من المسلمين، لأن النوم وفاة، وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال، ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال، والنائم ميت أو كالميت.

وقد روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال لأم حارثة، لما قالت له: (يا رسول الله إن حارثة قتل معك، فإن كان صار إلى الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان صار إلى ما سوى ذلك رأيت ما أفعل. فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : أَوَجَنَّةٌ واحِدَةٌ هِيَ إنما هي جِنَانٌ كثيرة). فأخبر صلى الله عليه و سلم أن لله جَنَّاتٍ كثيرة فلعل آدم اسكنه الله جنة من جنانه ليست هي جنة الخلد.

وكيف يجوز أن يكون الله أسكن آدم جنة الخلد ليكون فيها من الخالدين وهو قائل للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، وكيف أخبر الملائكة أنه يريد أن يجعل في الأرض خليفة، ثم يُسْكِنَهُ دار الخلود، ودار الخلود لا يدخلها إلا من يخلد فيها .

نظر نحوي مبهوتًا من كَمّ المعلومات الغزيرة الذي هبط على رأسه، قبل أن يقول :

- الحقيقة أن ما يبهرني ليس المعلومات، لو كان هذا ما دار في عقلك، ولكن ما يبهرني، هو قدرتك الفذة على تذكر كل هذه المعلومات، والحقيقة أن كلمة مريب هي أقل ما توصف به.

أصبح هذا اللقاء يروق لي، حتى ذلك الهاتف المُلِحّ أصبح كخلفية موسيقية لم تعد تزعجني، فقلت له :

- لو أردت الخوض في الأمر فإني كفيل بك، أم نعود لقصتنا.

ظهر الصراع جليًا على وجهه، ولكنه قال في النهاية :

- لنعود لقصتك، وقد يكون بيننا حوار حقيقي في النهاية. هل انتهت قصص خالك عند هذه النقطة.

فكرت بعمق ثم تذكرت قصة أخيرة، تاهت من عقلي وسط الأحداث، وقررت أن أخبره بها ،فقلت :

الحقيقة أنك أنت الشخص المريب هنا. أنا أخبرك بم. بد موتك، وأنت تؤجل الحديث المهم للنهاية، وتسجل كل ما أقوله، كأن . وت لا يعنيك.

نظر نحوي بصبرٍ نافذ هذه المرة ،وقال :

الموت يعنيني بالطبع، ولكني لا أخشاه، أنا أتعامل مع خالقي بالمنطق، فلم ازني أو أشرب الخمر أو أقتل، لم أرتكب جريمة حقيقة أحاسب عليها، إنما بعض الذلات التي لا تضر غيري، كالتدخين فدعك مني ، وأكمل قصص خالك.

هززت رأسي بما معناه ألا شأن لي، وقلت :

هذه المرة كان على خالي محمود المجند أن يقطع جزءًا خاليًا من الصحراء، حتى يعود من موقع الخدمة إلى معسكره، الجو كان شتاءًا، والسماء غاضبة، والسيول تنهمر لتحول الصحراء إلى جحيم مائي في هذه البقعة المتطرفة، ومن حظه الحسن حتى الآن، أن قابل مجند آخر يعرفه اسمه محمد.

انطلق الإثنان معًا يقطعان الطريق صوب المعسكر، والذي كان في المعتاد يستغرق منهما نصف ساعة، أو أقل، وتحت هذه السيول، ليس أقل من ساعة، وربما أكثر.

ملاحظات خالي على الطريق كانت غاية في الغرابة، فلم يشعر طوال الطريق بأنه يسير فوق الرمال، بل كان يشعر بأنه يسير فوق طريق مُمَهَّد،

وربما مسفلت كذلك. وأنه قطع المسافة إلى المعسكر في خمس دقائق فقط.

عندما وصل خالي المجند إلى بوابة المعسكر دخل ركضًا، وهو يظن محمد خلفه، وعندما نظر للخلف.لم يجده، فبحث عنه بداخل المعسكر.

ليجده مريضًا فوق فراشه مُصابًا بالحمي، وليخبره زملائه في المعسكر أنه لم يخرج للخدمة اليوم، وهنا أدرك الأمر الذي غاب عنه كثيرًا، هناك من يحميه ويساعده من خارج هذا العالم، وإنها رحمة من الخالق عز وجل.

رمقني نجيب لبرهة، ثم ابتسم من جديد وقد ظهر على وجهه الإرهاق، قبل أن يتوجه نحوي بالحديث قائلًا :

- هناك من يحميه من الجن، ودون سبب ظاهر، ألنت أيضًا لديك من يحميك ؟!

ابتسمت أنا الأخر، وأجبت :

- ومن قبل الميلاد.

نظر لي بتعجب و قال :

- وكيف ذلك ؟!

قلت :

- عندما كانت أمي أطال الله عمرها، تحملني في بطنها، أصيبت بورم ليفي في الرحم، وأخبرها الطبيب، أن الورم سيقتل الطفل، وبالطبع لم تستسلم أمي لكلام الأطباء، فلا أحد يقرر موت مخلوق، إلا مَن خَلَقَه.

ليال طويلة قضتها في الدعاء والصلاة والابتهال إلى الخالق، وعندها تملكتها حالة من السلام الروحي والهدوء النفسي واليقين لم تشعر بها من قبل، قررت أن تعيد كافة الفحوصات والتحاليل ودَعَمَهَا أبي كعادته.

وبالفعل عندما قامت بكل الفحوصات التالية، كان الورم الليفي قد اختفى، رغم ظهوره في الفحوصات السابقة، وكأنه لم يكن.

وعندما تعجب الطبيب، وضرب كفًا على كف، أخبرته أمي، أن هنالك من يحميني، وعندما استفسر أكثر أخبرته :

- إن من بَثَّ فِيَّ الروح، هو من قام بحمايتي.

سَجَّلَ القصة بسرعته الغريبة على اللابتوب، ثم قال :

- قصة طريفة ولكنها لا تمنح أي تفسيرات.

نظرت له لائمًا ثم حركت إصبعي أمام وجهه، وقلت :

- هذا هو الإيمان يا صديقي، الشيء الذي لا يحتاج لعلم أو تجارب، إنه السمو بالروح.

عمل سفلي

ساد الصمت بيننا لدقائق انهمك هو خلالها في تسجيل بعض ملاحظاته ، بينما انهمكت أنا في تدخين بعض لفائف التبغ. حتى تحول صدري لمقبرة تموج بالدخان، ومخلفات احتراق التبغ.

ومع الصمت سافر عقلي لأماكن كثيرة، وطفَت على السطح صورة خطيبتي السابقة، ولوهلة شعرت بحنينٍ خفيٍّ إليها، وشوقٍ مكظوم.

إنها القلوب مصدر الألم والسعادة، والبناء والشقاء، إن هذه القلوب سيئة التوقيت والحظ دائمًا. لا [illegible] الأوان.

لا أعرف لماذا باغتتني صور[illegible] الذي جعل عقل مُنهك كعقلي يستدعي صورتها.

ربما هو حنين إلى عالم مختلف [illegible]كنه ليس تافهًا.

كان عالم رباب بسيطًا، كأحلام طفل لا يأبه من أين يحضر أبويه المال، فقط هو يبحث عن سعادته دون أن يفكر في الثمن.

كانت رباب رقيقة حتى تحولت.

راقية..حتى تبدلت.

معجزة..حتى أدبرت.

كانت حلم خاص، ثم فقد خصوصيته فجأة، وبدأ لا يراني العالم.

الحقيقة أنها أوحشتني.

أن عشق عامان وأكثر، لا يمكن أن يتلاشيا حتى بالفراق.

القلوب لا تنسى ولكنها تتناسى، ويبقى بداخلها من كل ذكرى حلوة. قَبَسٌ من الألم حاضرٌ إلى الأبد.

تذكّرتها وتَذَكّرتُ تلك القصة الشنيعة التي خضناها معًا، وهي قصة جديرة بأن أقصها على نجيب، إنها قصتها وقصتي، بل قصتنا معًا.

افقت من أفكاري على صوته، وإن لم أعرف ماذا قال، فتساءلت :

- ماذا قلت ؟!.

ابتسم ابتسامته المعتادة، قبل أن يقول :

- كنت أريد أن أسمع باقي قصصك، إنها الثامنة والربع، ويبدو أن ما في جعبتك لم ينضب بعد.

قابلت ابتسامته بابتسامة ثم قلت :

- ما زال الثقيل في جعبتي، وأحتفظ به للنهاية.

أشارلي أن أواصل، فقلت له:

- ما سأقصه عليك الآن هي قصة رباب خطيبتي السابقة، وبعدها سأخبرك بثلاث قصص أخرى، وبعدها النهاية.

هَزَّ رأسه بمعنى واصل، فقلت :

- كان هذا منذ عام تقريبًا، وقبل أن أنفصل عن رباب بشهرين، كنت في منزلهم في زيارة أسبوعية معتادة، وكانت الأمور بيننا قد وصلت منطقة حرجة بالفعل، كنا على مشارف النهاية، ولكننا لم نعترف بالأمر.

كيف تنتهي قصص الحب المماثلة؟.

لا أعرف حقًا. فكما بدأت فجأة تنتهي فجأة.

في هذا اليوم الكئيب، كنت أجلس في الصالون، وقد قامت خطيبتي رباب لتحضر لنا كوبين من الشاي كوسيلة منها لوأد شجار مُحتمل.

وعندما كنت أحاول أن أضبط وسادة المقعد، غمرني إحساس الغامض بأن أنقِبُ أسفل الوسادة.

كانت الورقة هناك مطوية بعناية على هيئة مثلث، ومحشورة أسفل ذراع المقعد، ووجودها على هذه الصورة تفضح كونها عملًا ما.

لم يتجه عقلى إلى كونه عمل سُفلي سيء على الفور.

ربما هو حجاب حماية، أو أي شيء من هذا القبيل، كعادة الكثير من الأسر المصرية.

وربما تطوعت الأم بإحضاره بعد أن ظهر التوتر في الأجواء.

فضضت الورقة، والتي كانت مكتوبة باللغة العربية مع بعض الرسوم والأرقام، لأشعر بصدمة مباغتة، لم يكن عمل حماية بل عمل إيذاء، والغرض منه تفريق الأسرة عن بعضها، عمل كراهية قام به قَلْبٌ أسود جاحد يكره هذه الأسرة حد الموت.

أنا خبير بهذه الأمور، وقد رأيتها مرارًا من قبل، وقرأت عنها أكثر.

والذي أثبت لي صدق اعتقادي أن سورة الفاتحة كانت مكتوبة بالمعكوس، بجوار مصفوفة الأرقام، وبدايات سورة البقرة أيضا كتبت بنفس الطريقة ، وهي وسيلة مهينة للنص المقدس، وتستخدم دوما في سحر الكراهية .

لن أخبركم عن شكل رباب عندما عرفت حقيقة العمل الذي تم دَسَّهُ في منزلهم، ولا عن الألفاظ التي تفوَّهت بها.

وفي هذا التوقيت اللعين كانت الكهرباء مقطوعة، فبدأت أعمل على إبطال العمل على ضوء الشموع فلم يكن الأمر مثاليًا.

كنت مُلِمًّا إلى حدٍّ معقول بطريقة إفساد مثل هذه الأعمال السفلية، فطلبت منها أن تحضر كوب ماء غمست فيه الورقة، وقرأت عليه آية الكرسي، وأواخر سورة البقرة، وسورة الجن، وآيه (مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)، ورددت كلمة سيبطله سبع مرات، إلى أن ذابت الورقة في الماء.

ولأنني شخص جدير بما يحدث له، تساقط بعض الماء الذي غمس فيه العمل السفلي على حذائي، دون أن أنتبه، وياليتني انتبهت لكفيت نفسي مئونة ليالي من العذاب والأرق.

.تخلصت من الورقة والماء المُذابَة فيه في مكان بعيد عن المنزل، ثم عدت الى إلى خطيبتي، وأحضرت كوب ماء أخر، وقرأت عليه بعض آيات الحماية، وأخذت أسكب الماء في أرجاء المنزل، قبل أن أنصرف.

قاطعني نجيب قائلًا :

- لو أننا مشينا على قواعد هذا العالم، أستطيع أن أخبرك عما حدث، الجني ترك خطيبتك ومنزلها، واصطحبك لمنزلك يتتبع أثر الماء الموجود فوق حذائك.

لم يكن الأمر يحتاج لذكاء، فلم أناقشه واستكملت حديثي :

- من الليلة الأولى، بل من اللحظة التي غادرت فيها منزل خطيبتي، شعرت ببرودة شديدة تغزو جسدي وأطرافي، وكأنني بقلب القطب الشمالي، رغم

أننا في أكثر ليالي الصيف حرارة، مع شعور عارم بالضيق، وكأنما هناك جبل من ثلج يقبع فوق صدري ضاربًا كالوتد في أعماقي.

ولحسن الحظ كان خالي محمود يزورنا فأخبرته بالقصة كلها، دون أن أعرف قصة الماء الذي سُكِبَ على الحذاء، فوضع يده على رأسي وأخذ يرقيني، ويقرأ عليَّ القرآن، حتى سكن جسدي وهدأ تمامًا وزالت عنه البرودة، وإن ظل الإرهاق جاثمًا على روحي، فاستأذنت منه ثم دخلت غرفتي لأنام.

وعندما رأيت الفراش ألقيت نفسي فوقه بدون أن أبدل ملابسي، فقط نزعت حذائي، وعلى الفور تسرب النوم إلى جسدي المنهك، وبدأ المخ في إفراز مادة DMT المسئولة عن الأحلام.

وعندما ظهرت تلك الشقراء الفاتنة مجسدة ما في عقلي الباطن من رغبات غير بريئة، والتي كانت ترتدي كنساء هاواي، وتهيأت أنا للقائها في عالم الأحلام، شعرت بمن يدفعني بقوة لأسقط من فوق الفراش، لتتلاشى تلك الشقراء التي كانت ستسعد ليلتي ولو كخيال، ولأتلقي بعدها صدمة سقوط عنيفة جعلتني أنتفض واقفًا، وأبحث عن عدو مُحتَمَل قبل أن أستجمع شتات نفسي، وأعرف أين أنا، ومن أين سقطت !.

في المرة الأولى تجاهلت الأمر وعزيته لتقلبي، وعندما أوشك النوم على اصطياد وعيي، اهتز الفراش بعنف مرة أخرى ، وكأنما يضربه زلزال مركزه أسفل الفراش، ضغطت على نفسي ثم قمت من فوقه والغضب يأكلني، وقد أدركت دون شك أن الليلة ليلتهم.

ألا يصبر عليَّ هذا الجني الوغد، حتى أحظى ببضع ساعات من النوم والمتعة.

ساعة كاملة قاومت فيها النوم، ولكني في النهاية نمت بعد أن غلبني الإرهاق، وفي عالم الأحلام، كان ذلك الوغد ينتظرني، وما أن وقعت عيني عليه، حتى تحدث بصوتٍ عميقٍ كريه :

- إنني لن أرحمك.

كان الغضب قد بلغ مني كل مبلغ، حتى في الحلم انتقلت كل مشاعري، لطيفي هناك، فرددت عليه بغضب وقسوة :

- هيا أريني قدراتك، ولتحاول ها أنا ذا أمامك.

اقترب مني، ثم اربدت ملامحه عن تكشيره مقبضة، واحتقنت عيناه فصارتا جمرتان، ولكني لم أبالِ.

أنا أحَصِنُ نفسي يوميًا بالقرآن، وأحافظ على فروضي، فلن يغلبني جن مهما كانت قوته، إنها الزيارة الأولى لأحدهم منذ فترة طويلة، وما لا يعلمه أنني مهيأ لاستقباله على أكمل وجه ، فهو ليس أول من يزورني.

وبالفعل ما أن اقترب مني حتى انقضضت أنا عليه، لأقبض على قفاه، وأوقعته على الأرض، ولدقيقة أو أكثر ظللت جالسًا فوقه، وأخذت أقرأ عليه القرآن، حتى انتفض الجني أسفل مني ودفعني عنه بعيدًا في قوة المتني، فقمت من النوم مفزوعًا، وأنا أستعيذ في سري من همزات الشياطين، واستعذت بربي أن يحضرون.

بالطبع لم ينتهي الأمر مع استيقاظي، بل بدأ نوع أخر من المواجهة، فكنت أرى وجهه الكريه القبيح، في كل ركن مُظلِم بالغرفة يطاردني ويستفزني، وهذا ما جعلني أنتفض من فوق الفراش لأواجهه.

كانت ملامحه شبه بشرية، ولكنها كانت كريهة مشوهة .

ملامح قبيحة، قاسية، ومخيفة.

فشفتاه حادتان، ورفيعتان وكأنه لا يملك شفاة حقيقية، أنيابه حادة كأنياب مصاصي الدماء، جلده سميك وثخين وكأنه جلدٌ مدبوغ، وفي مقدمة الرأس شعر خفيف متناثر، يوجد مثله عند الذقن على شكل سكسوكه، وشعر الذقن أكثر شناعة وكأنه أفاعي صغيرة، واللعاب يسيل عبر شِدقَيه، وكأنه كلب يلهث.

أما عيناه كانتا الجحيم ذاته.

حمراء قانية لا تحتوي على بؤبؤ، دمويتان، وكأن الدم صُبَّ فيهم صبًا.

وعلى عكس ما توقعت لم يهاجمني أو يحاول إيذائي، فقط كان يظهر لي بهيئته البشعة ليحرمني من النوم والراحة محاولًا تدمير أعصابي وإفقادي اتزاني.

لعبة القط والفأر الشهيرة.

لقد تعلم الدرس جيدًا، وأدرك أن المواجهة المباشرة ليست في صالحه، فقد ذاق في عالم الأحلام ساحته المفضلة بأسي وقوتي.

وفي اليوم التالي كنت مرهقًا ومتوترًا، فلم أستطع أن أجمع من رأسي آيات التعذيب والحرق، فاتجهت إلى اللابتوب الخاص بي، وفتحت نسخة من دليل المعالجين بالقرآن الكريم.وبدأت أراجع آيات التعذيب والحرق.

كنت أحفظها جيدًا، إلا أنني احترازيًا راجعت عليها حتى أصبحت أرددها كاسمي، وفي المساء انتظرته فوق الفراش جالسًا كلاعبي اليوجا، متحفزًا كذئب يستعد للانقضاض على فريسته الغافلة.

وقرب منتصف الليل كان قد حضر، وكرسالة ترحيب واستفزاز منه هَزَّ الفراش بعنف شديد كعادته ليعلن وجوده، فابتسمت متحديًا، وبلسانٍ سليط قلت له بسخرية :

- ألا تراني نائمًا بروح أمك، تعال لتذوق ما ترغب في فعله لي.

كانت معركتي، وعليَّ أن أخوضها مُبدِيًا كل ما أملك من شجاعة ووقاحة.

جلست فوق الفراش عاقدًا قدماي، وانطلقت أقرأ الآيات التي حفظتها عن ظهرِ قلب، وكلما قرأت أكثر كلما اهتز الفراش أكثر.

وكلما وصلت لآية (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)كان الفراش يتوقف عن الإهتزاز،وأظل أنا على القراءة حتى ينصرف.

وفي كل ليلة كان يحضر لي، لتدور نفس المعركة بيننا، وأحيانًا، كان يأتي لي أثناء النوم، ليوسوس لي ويَحُضّني على الكفر فكنت أرد عليه بالآية :

- (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

أو الآية :

-(وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ،نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ).

أسبوع كامل مَرَّ عليَّ في هذا الوضع المرير، حتى كادت روحي أن تفارق جسدي، وقد وصل معي العند والغضب، أني لم أخبر أي شخص أخر بما يحدث، حتى خالي محمود ، ثم قررت أن أنتقل للمرحلة الثانية من الصراع، وهي استخدام آيات الحرق.

كنت أعرف مَضارّ وأخطار أن تحرق جنيًا، ستثير غضب قبيلته، وربما المارد الذي كَلَّفَهُ بالأمر، وربما الساحر الذي قدم القربان للمارد كي يكلفه بالعمل لو كان هناك من هو مثله وأشغله لهذه الدرجة.

فلم أكن أعرف ساعتها أنه ينتقم مني لإفسادي عمله في منزل خطيبتي ويتتبع أثر الماء على حذائي، ولكنني كنت في حالة منتهية، من الإرهاق والغضب، وهو جناه على نفسه بتحديه لي.

وفي تلك الليلة أيضًا انتظرته، وعندما ارتعش نور الغرفة، علمت بأنه قد حضر.

وعلى الفور، شرعت في قراءة آيات الحرق، لتدوي صرخته في المكان :

- سأنصرف سأنصرف، ولكن لا تحرقني.

فنظرت له، وهو يرتجف كطفل صغير يوشك على الغرق في ليلة باردة، وقلت له بصوتٍ غاضب صارم :

- أقسم بالله العظيم أنك لو عدت لأحرقتك، دون شفقة أو رحمة.

وبعدها علمت منه سبب تتبعي، قبل أن أصرفه .

وعندما عاد الهدوء للغرفة، قرأت على بعض الماء آيات الحرق، ورششتها في كل مكان في الغرفة، حتى السقف، بل وتوضأت بجزءٍ منها، وما تبقى منها ألقيته على الزرع الموجود في حديقة منزلنا، ومن يومها لم يحضر أو أتعرض لموقف مماثل.

كان نجيب يسجل كل ما يخرج من فمي بسرعة كبيرة، أعجبني جدًا إصراره، وإن لم يبدل فكرتي عن كونه مَيت حي.

ربما لا يؤمن بي، ولا يخاف الموت، ولكنه في النهاية، يعمل حتى آخر لحظة في حياته، وكما أمرنا الإسلام، وكأنه سيحيا إلى الأبد.

انتهى فابتسم لي عندما وجدني أحَدِقُ في وجهه، قبل أن يقول :

- كانت معركة حامية الوطيس، ولكنك انتصرت فيها.

ابتسمت له بخبث، ثم قلت :

- كله بفضل الله.

تجاهل كلماتي ثم قال :

- لم يتبق إلا ساعة ونصف على موعدك وتبقت ثلاث قصص أخرى، فهل سيكفي الوقت ؟.

أشعلت سيجارة جديدة، ثم قلت :

- سيكفي إن شاء الله.

تَبَدَّلَتِ الوجوه بداخل المقهى، وظللنا نحن على هيئتنا التي بدأت منذ أكثر من أربع ساعات، فقط قمت مرة أخرى وأحضرت كوبين جديدين، من النسكافيه اللذيذ.

ومع النسكافيه بدأت في سرد القصة الجديدة، ولكن يبدو أنه كان يحمل في قلبه بعد الاستفسارات، فَصَمَتُّ لِأُفسِحَ له المجال، فتسائل قائلًا:

- بعد هذه الحادثة هل عادت كل الأمور طبيعية ؟!.

كانت إجابة السؤال صعبة، فكلمة طبيعية تختلف من شخص لأخر، ولكنني قررت أن أمنحه إجابة مريحة لي وله فقلت:

- بالنسبة لمواجهات أخرى مع الجن،كانت تتكرر على هيئة زيارات خاطفة دون احتكاك مباشر، وشعرت في كثير من الأحيان بأن هناك من يصاحبني طوال الوقت، والعجيب أنه كان يحثني على فعل الخير على عكس المتوقع، فأيُّ تقاعُسٍ في أداء الصلاة المفروضة، كنت أشعر بأن صدري مُنقَبِض، وروحي، وكأنها ستغادر جسدي، وتنعدم حماستي أو رغبتي لفعل أيِّ شيء، وتتلاشى هذه الحالة، مع عودتي للصلاة، وكأن هناك من كان يريد مني أن أبتعد عن هذه العوالم بحرصي على أداء طقوسي، وكان هذا يثير دهشتي بل وقلقي أيضًا.

لم تصل حالة الحضور معي بالطبع لمرحلة الهلاوس أو الوساوس، ولم تصل إلى درجة الصرع،كان تواجد ناعم يفيد أكثر مما يضر، فزادت حدة قدرتي على تمييز الجن الذي يتجسد على شكل حيوان، كتلك القطة

السوداء التي كانت تتبعني أثناء ذهابي لخطيبتي في وقتٍ تالٍ لحادث العمل، والتي ظلت تنظر في عيني لعشر دقائق كاملة قبل أن تختفي من أمامي، وتلك الأفعى التي كانت تتجسد دوريًا في غرفتي قبل أن تَمِلَّ مِنّي، وكل شيء بعد ذلك كان طبيعيًا.

لمحت في عينه سؤال آخر، وبالفعل ألقاه على مسامعي :

- لقد كررت فيما قصصته علي أن الساحر، لا يتعامل مباشرة مع الجن القائم بالإيذاء، بل يتعامل مع مارد فلماذا ؟!

كان الأمر واضحًا جدًا، ولكني قررت أن أُفصِّلَهُ له أكثر فقلت :

- الساحر كما أقررنا من قبل، كافر يُقَدِّم القرابين لأحد ملوك الجن الكافر مثله، فالساحر يتقرب لملك الجن بكفره، بل ويتذلل ويتوسل له حتى يُسَخِّرَ له خادم.

تسائل دون أن يرفع بصره عن اللابتوب :

- وما هي هذه القرابين ؟!.

أجبته :

- القرابين هي أي شيء يدل على كفر وشرك الساحر، كأن يذبح للشيطان دون الله عز وجل، أو أن يستخدم المصحف بشكل سيء فيبول عليه، أو يلوثه بدم حائض نجس.

ظل على حالته يدون على حاسوبه قبل أن يتسائل:

- وما هي الخطوات التالية ؟!.

نظرت للساعة ثم رددت عليه بسرعة، فالوقت يمضي، وموعدي قد اقترب وقلت :

- من أجل أن يُتِمُّ الساحر سحره، لابد من (أتر) وهو كما تعرف أي شيء يخص الضحية، وكلما كان شيء حميمي كلما كان أفضل، كقطع ملابس داخلية لم تُغسَل، أو خُصلَةَ شَعْرٍ، أو بعض البُصَاق، وبعد أن ينتهي الساحر من طقوسه وتمائمه، يجب دفن العمل في مكان صعب الوصول إليه، كالبحر أو النيل أو الصحراء، أما في حالة عدم وجود أتر فيجب أن يوضع العمل في المكان الذي تسكنه الضحية.

وفي حالة فك هذا السحر، يجب العثور على العمل، بعض المشايخ يستخدمون الجن والسحر في تتبع أثر العمل في حالة وجود أتر، ولكن في حالة عدم وجود أتر، فيضطر الشيخ أو المعالج إلى تعذيب الجني المراوغ والكذوب حتى يعرف موقعه، وبعثوره على العمل يستطيع فك السحر.

وكل شخص يستطيع فك السحر لو امتلك العلم، فالأصل أن يعالج الإنسان نفسه، لكن في حالات الإلتباس المصحوبة بعنف أو هيجان، يحتاج المُصَاب إلى تَدَخُل خارجي لأن الجن يكون مُتَحَكِمًا في الضحية تمامًا، فلو بدأ في قراءة القرآن على نفسه، فإن الجن لن يتركه يهنأ بالقراءة، وربما آذاه بشدة، وقراءة القرآن عامة تداوي من حالات المس الخفيفة دون التقيد بآيات معينة.

نظرت في الساعة مجددًا،لم يكن لديّ وقت فدخلت في تفاصيل القصة الثانية مباشرة :

- القصة التالية لم تحدث لي بل مرت بها صديقة لي عبر الفيس بوك تدعى ريهام، قَصتُها، وجزء من القصة التي تليها ستدور حول احدى الكتب الذي صَدَّعَ رؤوس رواد الفيس بوك والمنتديات .

كانت ريهام رقيقة وهشة، ولكنها كانت عاشقة للتحدي، ولكل ما هو غريب وغامض، وأحد عيوبها الكبيرة أنه يتم استفزازها بسهولة، صفحتها على الفيس بوك غارقة بأشعار درويش، ونزار،وأمل دنقل.

تشترك في معظم جروبات القراءة، ولمستها على الجودريدز مميزة جدًا.

في أحد الأيام الكئيبة التي تشبه معظم أيام الحياة، كانت تتصفح إحدى صفحات الفيس بوك، فلفت نظرها بوست لأحد الشباب يذكر فيه كتاب سحر شهير له أسم رنان، ويتحدث عن أثره وعن ما يوجد بداخله من تعاويذ وسحر، ولأنها لا تؤمن بهذه الأشياء فقد دخلت وَعلَّقت أن كل هذه الأمور زائفة، ومجرد خداع للجهلة.

وكان رد الشاب أن تحداها أن تقرأ في الكتاب، وبالفعل قبلت التحدي، ومع حميتها وعصبيتها، قامت بتحميل نسخة إلكترونية من هذا الكتاب رفعها الشاب بنفسه على صفحته للتحميل، وشرعت في قراءتها على الفور.

وعندما وَصَلَت لصفحة معينة بدأت تشعر بحضور غريب حولها، ثم بدأ يظهر لها أرنب أبيض يتقافز في أنحاء غرفتها، وبدأ من لحظتها يطاردها، فيظهر لها في كل مكان وفي أي وقت، ومع فضولها الشديد وهيئته الغريبة كانت تطارده هي الأخرى حتى يختفي ويتلاشى دون أن يراه غيرها، حتى ظَنَّت بنفسها الظنُون، وتساءلت في يوم من الأيام بينها وبين نفسها :

- هل جُنِنْتُ حقًا ؟!.

لم يكن الأرنب يظهر لها في حالة طبيعية معظم الوقت، بل كان يظهر في حالة شبحية طيفية، وكأنه ظِلٌ منعكس أو أنه صنع من زجاج.

حاولت أن تقنع نفسها أن كل ما تراه ويحدث لها مجرد تهيؤات، وظل ظهور الأرنب يدحض كل شكٍ لها في كونه مجرد وهم.

وفي إحدى الليالي كانت قد تشاجرت من حبيبها وخطيبها المستقبلي كما كانت تأمل، ونامت حزينة ودموعها تغرق وجهها.

وفي عالم الأحلام أتى لها شاب جميل الطلعة، له ابتسامة آسرة، ساحر الحضور ،وأخذها إلى مكان مُذهِل، به ماء وشجر، وفواكه، وطيور صَدَّاحَة، وسماء صافية، وكأنها انتقلت بنومها إلى الجنة.

كان المكان ساحرًا، ارتاحت نفسها لوجودها في هذا المكان، إلا أن روحها أصابها الإختناق من وجود الشاب الدائم والملاصق لها.

هذه كانت المرة الأولى التي ترى فيها الشاب، ورغم حالة الإنقباض التي أصابتها بعدها إلا أنها شعرت أن كل أحزانها تلاشت، ولم يعد هناك تأثير حقيقي لشجارها مع حبيبها، وكأنها لم تُكِنُّ له أي مشاعر من الأساس.

وعندما نامت في اليوم التالي، كان الشاب جميل الطلعة ينتظرها، ولم يكن بمفرده هذه المرة، بل كانت تصحبه زوجته وأمه، وصارحها أمامها بأنه يرغب في الزواج منها.

والغريب أنها لم تُمانِع، بل وذهبت معه ومع زوجته وأمه، إلى أحد مساجد هذا العالم،وتم عقد القران على الفور، ومن ساعتها لم تعد تشعر بالإختناق ، أو انقباضة الصدر، وكأن عقد القران قد أراح روحها القلقة في وجوده.

كانت في كل هذا تعتقد أنه مجرد حلم جميل تعيشه بعيدًا عن واقعها القاسي الممل وتخضع لقواعده وتجاربها.

وفي هذه الأيام كان يتملكها شعور طاغي من الراحة والحرية، وكأنها لا قيود تربطها بجسدها أو العالم.

بل إنها كانت تستيقظ من نومها، ومذاق الفاكهة في فمها، مع إحساس كامل بالشبع.

وفي الأيام التالية عند نومها كانت تشعر بوجود ذلك الشاب بجوارها على الفراش، فلم تنزعج، بل كانت تعامله على أنه زوجها. حتى أنها كانت تُسَلِّمُ جسدها له، ويتم بينهما لقاءات حميمية وجِمَاع كامل كانت تشعر بأثاره، بل إنها كانت تستيقظ من نومها، وهي في حالة نشوة هائلة وإشباع طاغي، وكأنها بالفعل مارست علاقة جنسية كاملة.

ومع بدأ العلاقة الجنسية بينها وبين شاب الأحلام، بدأت ترى طلاسم غريبة، وأختام تظهر وتختفي في أنحاء جسدها.

ظلّت العلاقة بينهم لفترة مُتَوَهِّجَة قبل أن يَفْتُرَ كُلّ شيء من ناحيتها بلا سبب مُعَيَّن، وكعادة كل النساء عندما يصيبها النفور والفتور والضيق حلمت بالتحرر.

وفي هذه المرحلة كان الواقع عندها ممتزجًا بالحلم، ولكنها كانت تتعامل معه بطريقة بشرية للغاية، وفي لحظة ضيق شديد، أسَرَّت لأمها بكل شيء، ليصيبها الانزعاج، وكمبادرة منها أخذت ترقيها، وتُبَخِّرُها، وتقرأ عليها الأدعية والأوراد دون فائدة، ودون حدوث تغيير.

حتى عندما ذهبت بها لأحد معارفها من المشايخ، أخبرها أنه غير عليم بهذه الأمور، فقط عليها كلما اقترب منها أن تقرأ القرآن.

شعرت بأنها وحيدة أمام هذا الاستحواذ المخيف، وقررت أن تلجأ أخيرًا لمن كان من الواجب عليها أن تلجأ له في البداية.

إلى الخالق العظيم.

وظلت في غرفتها عدة أيام تُصَلِّي، وتقرأ القرآن وتبتهل إلى الله بالدعاء.

وكانت على يقين من كون هذا الجِنّي مُسْلِم، وبالتالي هو يعلم أن ما يقوم به خطأ وحرام، وسيتراجع عنه في لحظةٍ ما.

وفي يوم من الأيام ظلَّت ساجدة على سجادتها حتى غلبها النوم، والدموع تُغرِقُ وجهها وملابسها وسجادة الصلاة، وقد نحل جسدها، واسوَدَّ أسفل عيناها، وغارت وجنتاها فأصبحت تشبه المدمنين.

نامت فحلمت بنفس المكان، ونفس الأشخاص.

الجني وأمه وزوجته، أقبلوا عليها جميعًا في محاولة منهم لإقناعها بأن تظل زوجته ، إلا أنها أصرت وتوسلت للإنفصال.

وفي النهاية غادرهم الجني، ثم أخبرتها أمه كيف تُخرجَهُ من جسدها وشرحت لها الطريقة، ثم أتت زوجته بشفرة حادة تشبه الموسي، وجرحتها بها في إبهام قدمها اليمنى، لتخرج مِنْ مكان الجرح دماءًا سوداء غزيرة، صحبها ألم حاد جعلها تستيقظ من نومها.

وعندما استيقظت كان نفس المكان يؤلمها، وعندما نظرت لإبهام قدمها اليمنى، وجدته مُتَضَخِم ومُتَوَرِم، وعلى الفور فهمت الرسالة.

فأحضرت موسي حاد، وفعلت كما فعلت زوجة الجني، وسارت الأحداث على نفس الوتيرة، ألم ودماء سوداء، وساعتها شعرت بالتحرر.

صمتت فرمقني نجيب لبرهة، ثم سأل سؤاله حول القصة :

- هل تعتقد في كتب السحر، والكتب المماثلة له؟.

نظرت له بغموض ثم قلت :

- الاجابة في القصة التالية.

المخطوطة

الساعة الآن التاسعة، لابد أن أنصرف خلال نصف ساعة، أو ساعة إلا ربع على أقصى تقدير لألحق بموعدي، لقد احترقت أوراق شجرة اليوم بسرعة، وأصبحت جلستي مع نجيب أكثر حميمية، وكأنه صديق لي.

لا أعتقد أن موته سيؤثر فيّ إلى درجة البكاء والنحيب، ولكني سأفتقده على كل حال.

الهاتف السخيف يطاردني طول الوقت، وصورة جثته المهشمة تصيبني بالنفور، فأتجاهلهم بالغرق في ذكرياتي الشنيعة التي أصبُّها على أذن نجيب صبًا، والذي قام من مكانه للمرة الثانية، ليحضر قدحين من القهوة بالشيكولاتة، والتي أهيم بها عشقًا.

جلس على مقعده وتَحَفَّزَت أصابعه على لوحة المفاتيح فشرعت في الحديث :

- صديقي عصام من الأصدقاء المقربين لي، الحقيقة أننا لا نلتقي كثيرًا، ولكننا عندما نلتقي تذوب بيننا المسافات والوقت.

في هذا التوقيت كنت قد انفصلت عن رباب لسبب لا أعرفه ولا أفهمه، عندما دارت أحداث هذه القصة المشئومة.

كان عصام في هذا التوقيت طالبًا في كلية العلوم جامعة الأزهر، كما أنه كان من حُفَّاظِ كتاب الله عن ظهر قلب، وكان لديه شغف وولع بتتبع كل ما هو غامض ومجهول، لذا فإنه كان دائم البحث عن هذه الأشياء

الغامضة، وسط تلال الكتب، ويظل يبحث لساعات وساعات، وفي النهاية قد لا يحمل إلا كتاب واحد أثار شغفه، وغزى عنوانه تلك الجذوة التي لا تنطفي بداخله.. الفضول.

كانت متعته الكبرى أن يقطع الوقت وسط تلك الكتب القديمة، والأثرية، التي يفوح عبق الماضي منها، لذا فهو زبون دائم في سور الأزبكية ومتاجر الكتب القديمة والمستعملة.

وفي إحدى غزواته لأحد أكشاك الكتب القديمة، وبعد ساعات من البحث، وقع تحت يده نسخة قديمة جدًا من كتاب سحر قديم وشهير بلا غلاف ، نسخة متربة بهت لون أوراقها، ولكنها توحي بليالٍ مُبهجَةٍ من البحث وسط الغامض والمجهول.

قارن عصام النسخة التي بحوزته بالعديد من النسخ الإلكترونية الموجودة كالسرطان على الشبكة العنكبوتية، واستطاع أن يكتشف الخدعة.

إنك لن تستطيع أن تكتشف العملة المزورة بإتقان، إلا لو وضعتها بجوار عملة أصلية.

هنا فقط تظهر الفروق العديدة، والتي تُغلي من قيمة الأصلية.

كان الكتاب لسوء حظه نسخة أصلية لم تمتد لها يد العبث، أي كان بين يديه كنز حقيقي، وآمال عريضة باختراق المجهول.

بالطبع لم يكن الإختلاف وحده هو ما يشغل بال عصام، بل كان شغفه بالتجريب وخوض المغامرة.

وفي يوم كئيب بدأ عصام تصفح الكتاب وقراءة الموضوعات التي تثير اهتمامه، وابتهج،جدًا عندما وجد أن معظم التعاويذ التي يمكن تطبيقها تعتمد على سحر الحروف والأرقام، التباديل والتوافيق، كاستبدال الأرقام في الجداول بالحروف التي تقابلها أو العكس.

والحقيقية أن الأمر بالنسبة له، كان كله عبثيًا، فقد أخذ يجرب تعاويذه على أصدقائه، وخاصة تعاويذ العاطفة والمحبة، والتي كانت تثبت جدواها طوال الوقت، مع العديد من العلاقات الناجحة بين الشباب من أصحابه وفتيات لم يكونوا يحلموا في يوم من الأيام بمجرد الحديث معهم.

ومع نجاح تجاربه الأولى، أخذ يتعمق في دراسة الكتاب أكثر، وأصبح يمارس سحر الأرقام بسهولة، فالأمر يعتمد على النصوص المقدسة.

فلو أراد أن يقوم بسحر المودة، عليه أن يستخرج النص الذي يوجد فيه ذكر للمودة، ثم يحول الحروف إلى أرقام مُتَّبِعًا ترتيب الأبجدية القديم، أبجد،هوز، حطى، كلمن، وهكذا.

وبعد تحويل حروف النص إلى أرقام يقوم بوضعها في مصفوفة لا توجد إلا في الكتاب، ولن أذكر أي منها منعًا للتجريب، ومن المصفوفة يقوم باستخراج اسم نوع البخور المطلوب، واسم الجن الذي سَيُكَلَّف بالمهمة.

كان الأمر بالنسبة له أشبه بألعاب الذكاء، لذا لم يكن يشعر بكونه حرام شرعًا، أو أنه نوع من السحر المقرون بالكفر.

وعندما يستخرج اسم البخور، واسم الجن المكَلَّف من المصفوفة، وبعد أن يتأكد منهم عدة مرات يبدأ الطقوس ، يقوم بإشعال البخور، ثم يُرَدِد القَسَم الموجود في الكتاب سبع مرات، ليشرع في لَفِّ الورقة التي رسم فوقها المصفوفة على هيئة مخروط أو مثلث، أو على شكل طلسم كما يُحِبُّ أن يطلق عليه.

ظل على تجاربه وممارساته، لا يعكر صفو أيامه أي شيء، فقط مع الوقت بدأ يشعر أن الكتاب أصبح له حضور قوي، وكأن هناك خُدَّام يقومون بحمايته، ولكن هذا الكتاب لم يكن بالقوة المطلوبة، فلم يفتح عليه بوابة جنهم.

أما ما فتحها هو مخطوطة أخرى عثر عليه في إحدى رحلاته، أو غزواته إلى حيث توجد متاجر الكتب القديمة.

كان عنوان المخطوطة (مكائد بني إسرائيل الستة عشر)، وكانت موضوعة بداخل كتاب أخر لا يذكر اسمه، ومن الواضح أنه لم يتم إخفائها بمهارة، فقد تم عمل تمويه بسيط حتى يأتي سيء الحظ الذي سيجدها ويهتم بمحتوياتها، وما تحويه من علوم شريرة.

لم تكن المخطوطة مكتوبة على ورق عادي، وإلا لَمَا أثارت اهتمامه إلى هذه الدرجة، بل كانت مكتوبة على جلد لم يُدبَغ جيدًا، بدماء داكنة، وظلت رغم مرور السنوات عليها تحتفظ برائحتها الكريهة المُنفِرَة، مُدلِلَةً على كونها دماء حيض.

ما جذبه أكثر هو عناوين فصول المخطوطة (الإنتقال من بلد لبلد، التدمير والهدم والخراب، التخفي، تحويل التراب لذهب، الطيران، والمشي على الماء وغيرها).

كانت المخطوطة تَعِدُ بتحقيق المستحيلات.

بالطبع لم تكن هذه المخطوطة هي الشيء الوحيد الذي ابتاعه في هذا اليوم، لذا فإنها ظلّت وسط باقي المقتنيات لعدة أيام، اندمج هو أثنائها في الدراسة، وتحصيل العلم، فقد ألهته تجاربه عن الإستذكار وموعد أحد الإختبارات قد اقترب.

كان لعصام في هذه الفترة جارة عجوز فقيرة ووحيدة، يقع الكشك الذي تتحصل على رزقها منه أمام منزل عصام، بل مُوَاجِه تمامًا لنافذة غرفته، وكانت عيناها حارة، أي أن قدرتها على الحسد كانت قوية ودائمة ومؤثرة.

فلم يغسل سيارته أمامها يومًا، إلا وأصِيبَت في حادث، لدرجة أنها في إحدى المرات عَلِقَت على السيارة وهي واقفة، فأتت شاحنة كبيرة لتسحق مقدمتها في مكان ركنها.

منذ هذه الحادثة أصبح عصام يُكِنُّ لها كراهية عميقة جدًا، ومع منظر السيارة التي تحولت إلى كتلة معجونة من الصاج ، والتي كان يصطبح بها كل يوم عند خروجه، أخذ الغضب يتراكم بداخله، وفي لحظة مشئومة قرر الإنتقام.

كان قد اطلع على المخطوطة وقرأها عدة مرات قبل هذا الحادث، وبداخله تكونت رهبة وخوف من محتواها، فخشى أن يقوم بتفيذ أي من تعاويذها لما تتطلبه من مجهود، وطلبات عجيبة.

ولكن منظر السيارة والتي لن يستطيع تعويضها قريبًا، أشعل جذوة الإنتقام بداخله كما وَضَّحْنَا سلفًا.

وفي المساء كانت المخطوطة و..

تعويذة الخراب والدمار والهدم.

لقد قرر له شيطانه الإنتقام، الأمر الذي لم يكن ليجرؤ على فعله أو التفكير فيه لولا ماحدث لسيارته. آثار عين تلك اللعينة ظلت تقبع أمام المنزل لتذكره طول الوقت بانتقامه.

كانت التعويذة التي انتقاها تتطلب، أشياءًا عجيبة لن أذكر معظمها لأنها أمانة، بالرغم من أنني أتذكرها جميعًا، فقط سأذكر لك بعضًا منها، فقد كانت هذه التعويذة الجهنمية تتطلب أنوع معينة من البخور، ضرس ميت، ودم ضفدعة وليس ضفدع، وقيء كلب، وقيء قطة، بالإضافة لبعض المتطلبات الأخرى المتاحة، يتم خلطها جميعًا، ثم يشعل فيها النار، مع تلاوة القَسَم سبع مرات، قبل أن يشير إلى المكان المراد هدمه، ليتحول إلى كومة من التراب في لمح البصر، كما تخبره المخطوطة.

تمت الخطوات كالتالي :

من محل العطارة اشترى الأشياء المعتادة، وفي الثالثة فجرًا نزل بنفسه لأعماق أحد القبور وانتزع من إحدى الجماجم أحد ضروسها، إنه مجنون حقيقي عندما تتملكه رغبة ما.

الضفدعه كانت أمرًا هينًا. أما الشيء الذي أخذ منه وقت طويل وعدة أيام، هو قيء الكلب والقطة.

وفي هذه النقطة استعان بصديق له يتملك متجرًا للحيوانات الأليفة دون أن يخبره عن السبب، كانت تجربة مُرَوِّعَة، فلك أن تتخيل كيف تُجْبِرُ كلبًا أو قطة على لفظ شيء قاموا بابتلاعه.

المهم أنه في النهاية استطاع الحصول على كل المتطلبات، وبدأ يعد الأمر القيام بالتعويذة والإنتقام من تلك العجوز، التي سحقت عيناها الحارة، سيارته الأثيرة بهدم كشكها وخراب بيتها.

دخل إلى غرفته، أغلق الباب بالمفتاح، وأخرج المخطوطة، ثم فتح نافذة الغرفة، تابع السيدة التي انتهت من صلاتها فوق مقعدها أمام كشكها، والتي لم تكن تُهمِلُ فرضًا من فروضها، وكأن صلتها بالخالق بعيدة عن لعنتها بالحسد. وبداخله تماوج غضبه مع مجموعة من المشاعر المختلفة التي تتدرج بين الإثارة والخوف..

قلّب المزيج كريه الرائحة عدة مرات لتختلط مكوناته جيدًا، ثم أشعل فيه النار لتتصاعد رائحة قاتلة، لا يعرف كيف تحملها، ووقف أمام الشباك المواجه لمنزلها ثم أمسك المخطوطة، وبدأ يردد القسم.

ردد القسم لأول مرة دون أن يتغير شيء.

وعندما ردد القسم للمرة الثانية، بدأ جسده يرتجف وكأن هناك رياح باردة تجتاح المكان.

وفي المرة الثالثة، بدأ يسمع صوت خمش من وراء ظهره، وقريبًا جدًا منه، وكأنه يخرج من وراء الجدار، أو أن هناك من يحفر الجدار ليعبر إلى الغرفة.

وفي المرة الرابعة صدم أذنيه صوت ضجيج عالٍ وارتطام عنيف مع صوت عويل وصراخ، ثم رأى الدولاب الموجود في غرفته، وهو من تلك النوعية من الدواليب القديمة التي لا تستخدم لحفظ الملابس فقط بل يوضع

فيها معظم خزين المنزل، والتي قد يعجز ستة من الرجال عن زحزحته من مكانه.

في تلك اللحظة الكئيبة وجد الدولاب يتحرك من مكانه، وكأن هناك قوة خفية تدفعه ليترك موقعه الذي ظل عليه لسنوات طويلة مع صوت صرير مزعج، وكأن أبواب الجحيم نفسها تفتح ليخرج منها صراخ المعذبين.

قبل أن تبدأ المرحلة الثانية من الهول.

الدولاب يتخلى عن ثباته ووقاره ويطفو بكل محتوياته في فضاء الغرفة، لتتناثر من داخله كافة محتوياته بشكل عشوائي وعنيف لتثير الفوضى في المكان، وسط دخان البخور الذي غَمَرَ كل شبر بالغرفة فبدت وكأنها تحترق.

كاد قلبه أن يتوقف، وشاب شعر رأسه، ودون مبالغة كاد أن يبول على نفسه، وانفجرت قنواته الدمعية.

كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها حضور الخدم، والمرة الأولى التي يرى فيها تأثيرهم المُباشر.

لم تتحمل أعصابه المنظر فتناول من جوار سريره زجاجة المياه، وأطفأ بها البخور، ثم حمل المزيج كله وألقاه خارج المنزل، على أمل أن ينتهي الأمر، وبالفعل تهاوى الدولاب الخشبي مُتَهَشِّمًا لألف قطعة وكأن هناك قوة عظيمة قد سحقته، وأختفى الخدم في قلب العدم ، لتمضي الليلة دون أن يحظى بلحظة واحدة من النوم.

مرت الليلة وبعدها ثلاثة ليال والقلق ينهشه دون أن يحدث أيُ أمرٍ مُريب، وإن ظلت غرفته مغلقة لا يدخلها ولا يجرؤ على التفكير في الأمر.

وفي ليلة غاب عنها القمر، وأثناء جلوسه وحيدًا مع أخيه في المنزل يشاهدون أحد البرامج التلفزيونية، ودون مقدمات انتفض أخاه صارخًا، وهو يشير نحو الرواق المُفضِي إلى الصالة.

فهناك، كان العكاز الذ يستخدمه والده -المسافر دوما -ليساعده في المشي، يتحرك وحده ودون أن يكون هناك من يُحَرِّكَهُ، تبعته إحدى جلابيب والده التي انتفخت وكأن شخصًاما غير مرئي، يرتديها ويتحرك بها خلف العكاز.

لم يكن هناك حل أخر إلا الفِرَار، حُفَاةً خائفين انطلقوا يركضون حتى وصلوا إلى منزل أحد أقاربهم، ومن هناك اتصلوا بوالدهم، وقَصُّوا عليه كل شيء، وأقسموا لأبيهم بأغلظ الأيمان ألا يبيتوا في منزلهم ليلة واحدة.

وفي اليوم التالي تمت إجراءات التهجير القصري، من المنزل، وكانت استجابة والدهم عجيبة لطلبهم هذا، وباتوا ليلتهم التالية في شقة جديدة مستأجرة.

ومع مرو اليوم الثاني على عصام دون أيِّ مُشْكِلَات، ظَنَّ أن الأمور قد عادت لاستقرارها، فأقسم ألا يعود لممارسة تلك الأمور الشيطانية مجددًا.

وبعد يومين تجدد الأمر، ولكن هذه المرة، بشكل مختلف.

فأثناء قيامه بأداء إحدى الصلوات بدأ يشعر بالحضور الطاغي المُقْبِض، ويسمع الوساوس، ومع كل آيه يقرأها كان هذا الجني الملعون يشككه فها، فعندما كان يقول :

- بسم الله الرحمن الرحيم.

كان يسمع صوت الوساوس واضحة في عقله وبشدة والصوت يقول :

- من هو الرحمن الرحيم..لا يوجد من يُدْعَى الرحمن الرحيم.

وعندما يقول :

- الحمد لله رب العالمين.

كان الصوت يرج كيانه متسائلا:

- أحقًا يوجد رب للعالمين.

وأخذ الأمر على هذا المنوال

- مالك يوم الدين.

- أي يوم دين أيها المخبول..ألن تتوقف عن جنونك.

- اهدنا الصراط المستقيم

- هاهاهاها..صراط مستقيم..إذا وجدته فلتأتي لتبصق على قبري.

استغفر الله العظيم، وهكذا في كل الصلوات، وفي الركوع والسجود، حتى كادت رأسه أن تنفجر، وروحه أن تزهق، ولم يتوقف عن الاستغفار، فلا يوجد مسلم يتحمل أن يهان القرآن ولو من جني كافر.

استمر الحال لعشرة أيام، وهو يُخفي الأمر عن والده وأخيه فوالدته قد رحلت عنهم منذ سنوات إلى بارئها،ويحاول أن يصل لحل بنفسه.

فأعاد قراءة كل ما عنده من كتب ومخطوطات دون فائدة.

وكان كلما سمع القرآن يُقرأ في الجِوَار، يَجْتَاحَهُ ضِيقٌ عظيم، ويشعر بشيءٍ ثقيل يُطْبِقُ على صدره، وبأن هناك من يُحَاوِلُ نزع روحه من جسده دون هَوَادَة، فيترك المكان ويفر منه فرار السليم من الطاعون.

ومن فرط يأسه قرر أن ينتحر، ولكن قبلها سيقوم بمحاولة أخيرة.

ذهب في اليوم التالي إلى جامعة الأزهر، مبنى أصول الدعوة، وعلى الباب وجد البواب الذي أوقفه وسأله عن وجهته وعما يريده، فكست الحيرة وجه عصام قبل أن يقول بصوتٍ مُتَضَرِّع :

- أريد أكبر شيخ وأكثرهم علمًا بالمكان.

- أشار له البواب إشارة مبهمة لم يعرف منها شيء، وقال :

- الأستاذ (....) سأذهب معك إليه، ولكن لماذا تريده ؟.

لم يتوقف فضول البواب، الذي لم يتلق أيَّ إجابة مُرِيحَة، وتوارى هو وأسئلته خلف الباب الذي أغلقه عصام خلفه، بعد أن سمح له الشيخ بالدخول، والذي ما أن رآه حتى أربَدَّ وجهه وكساه سواد الغضب قبل أن يقول:

- ما هذا الجحيم الذي فتحت أبوابه، كيف تفعل بنفسك شيئًا مُمَاثِلًا أيها الأحمق..اجلس وقُصَّ عليَّ الحكاية من البداية للنهاية.

بالطبع لن أذكر لك حالة عصام النفسية فلك أن تتخيلها، بعد أن قرأ الشيخ ملامحه وأدرك سر وجيعته بعلمه، ومن بين شفتيه المرتجفتان، وقلبه الواجف، وجسده المرتعش، قَصَّ على الشيخ كل تفاصيل حياته، وكل ما قام به ويخص هذه العوالم المخيفة.

وعندما انتهى كانت نصائح الشيخ مُخبِطَة.

فقد منحه الشيخ أسماء العديد من الكتب، وأخبره أنه سيعثر عليها في مكتبة الجامعة، وبالطبع لم يعثر لأيٍ منها على أثر، كما أنه طلب منه، أن يتمسك بالصلاة، لأنها وسيلة نجاته الأخيرة.

غادر مبنى الكلية واليأس يغمره، فالشيخ كان يملك الفراسة، ولم يكن يملك العلم الذي يساعده به .

فكَّرَ في الانتحار مِرارًا، وداعبت عيناه شلالات السيارات المندفعة عبر الطريق.

ووقف لدقائق يَحُثُّ نفسه على الفعل دون أن يستطع.

وفي النهاية عاد إلى منزله، وقرر طرق الباب الأخير، الباب الذي كان من الواجب عليه، أن يطرقه قبل كل الأبواب.

نزع ملابسه واغتسل غسل الطهارة، ثم توضأ وتهيأ لصلاة الظهر، ثم بدأ مناجاة حقيقة خاشعة مع الخالق، لم تخلو من قنوط فقال :

- يارب العالمين، أُغلِقَت كل الأبواب دوني، ولم يبقى إلا بابك، فإن كنت حقًا موجود، وأنت حق، وأنا أؤمن بك، فساعدني، واجعلني أتمسك بالصلاة، فلو تركتها فإني ضائع لا محالة.

يارب إنها المرة الأخيرة التي أتوجه لك فيها بالصلاة، لو لم تنجدني سأموت.

وبدأ بعدها صراع داخلي رهيب، وكأنه أصيب بحالة فصام.

نصف يَحُثُّهُ على الصلاة، ونصف أخر يَحُثُّهُ على هجرها.

إلا إنه خاض في صلاته، وانتهى منها بعد مشقة، ثم جلس على سجادة الصلاة، وفتح المصحف لتسقط عيناه على آية : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ).

قرأها وظل يبكي ويبكي، حتى غلبه النوم والإجهاد فوق سجادة الصلاة، ولمدة يوم كامل، فنام من عصر اليوم حتى مغرب اليوم التالي.

وعندما استيقظ في فراشه، وجد أخيه يغفو على أحد المقاعد بجواره، وشعر ساعتها بأن الأمور اختلفت وأن الله قد استجاب له، فقام من فوره فأحرق المخطوطة، ثم قام بدفن كتاب السحر الذي بلا غلاف، في مكانٍ بعيد صعب الوصول إليه، فهو قد علم بخبرته أن عليه حارس، كما أن بعض تعاويذه تنشط بالحرق.

ومن يومها وهو يُدَاوِمُ على الصلاة، ويرفض أن يُجِيبَ أي شخص على مكان هذا الكتاب المخيف، كما أن ذاكرته لم تعد على ما يرام فلم يعد يذكر تفاصيل تلك التعاويذ أو الأحداث الشنيعة التي مر بها، ولو لم أكن قريبًا منه، لربما دفنت القصة معه.

انتهيت فنظرت نحو نجيب ونحو الساعة، التاسعة وعشرون دقيقة، قبل أن أسأله :

- هل من استفسارات ؟!.

نظر نحوي ثم قال :

- هل لاحظت أن نهاية قصة صديقك، وصديقتك متشابهتان، وأن الأمور انتهت بسهولة.

لم أستوعب سؤاله لأول وهلة، وعندما هضمته أجبت :

- الأصل كما أخبرتك أن يُداوي الإنسان نفسه ويعالجها من حالات المس والسحر المُشابهة، خاصة لو لم يكن يمارسها عن عمد وعن يقين وكفر.

ولو أخبرتك أن للإيمان تأثير حقيقي فلن أحصل إلا على سخريتك، ففي الحالتين حدث اتصال روحي حقيقي مع الخالق، نوع من الشفافية ساعدت في تفوقهم على المس، وقدرتهم على طرد المُسَبِّبْ برعاية الخالق القادر.

هَزَّ رأسه في فهم، قبل أن يقول [illegible]

- هَلُمَّ لتخبرني بقصتك الأخيرة، قبل [illegible] وعدك.

نظرت في الساعة مرة أخرى بحر[illegible]

- لا تقلق المكان قريب، والوقت المتبقي كافٍ، والقصة القادمة هي الأقوى، والأكثر قربًا من هذا العالم.

شعرت بألم وتنميل في ظهري فَرَدَّدْتُ بعض الادعية، وإن كنت أعرف أن هذه الحالة لن تتلاشى إلا بالصلاة.

إن حديثي عن الجن أصبح يستفزهم، ويجعلهم يعبثون معي، إن الحارس يذكرني، بأن هذه الأمور ليست بعيدة عني، وهذا ما أوقن به، وما أحرص على أن أظل في منأى عنه.

الحقيقة أني لا أعرف حتى هذه اللحظة، إن كنت أملك قدرتي السوداء لأني خضت هذه العوالم، أم أنني خُضْتُ هذه العوالم لأنني أمتلك هذه

القدرة، والحقيقة أن الأمر سواء أكان هذا أو ذاك، فإنه يكسر حواجز كثيرة ما كان لها أن تكسر.

نظرت لنجيب قبل أن أشرع في سرد قصتي الأخيرة، وانقبض قلبي لسببٍ لا أعرفه، وقد خامرني شعور، أن حياته ترتبط بنهاية قصصي، لذا لم أكن مستريحًا، وأنا أهيئ نفسي لقصها عليه.

الإرهاق يظهر على وجهه، الإبتسامة تلاشت، قلق غريب يظهر في اهتزاز شفتيه.

وقبل أن أشرع في حديثي سألني بصوتٍ متوتر:

- هل يسمع المُشرِف على الموت الهاتف بنفسه ؟ إني لا أعرف إن كان ما أسمعه مجرد وهم أم هو صوت حقيقي، ولكني أشعر بأن الموت يدنو مني بالفعل.

وكان سؤاله هذه المرة صادمًا، فلم أشعر حينها بالسعادة لما سببته له من قلق داخلي .

أسير الجن

من قال أن الحياة عادلة ؟!!

لو كانت الحياة عادلة، فلا فائدة بوعد الخالق العظيم، بالجزاء الأعظم في نهاية الرحلة. علينا فقط أن نتحلى بالصبر والإيمان، وأن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبدًا، وأن نعمل لأخرانا كأننا نموت غدًا.

هي حكمة أعيش عليها وأعيش بها، لذلك فالرضا بكل ما يقابلني من عقبات ومشكلات وأحزان وهموم، هو أصل حياتي.

لم أعترض يومًا على كوني أعاني أكثر، أو أتألم أكثر، فعلى قدر الألم، تأتي الخاتمة السعيدة.

وإن كنت لا أعرف يقينًا، هل أستحق فعلا نهاية سعيدة.. الشيء المؤكد بالفعل أنني سأعمل لتكون سعيدة.

كان كل شيء حولنا في المقهى يوحي بالعبثية.

الحياة تمضي، ورواد المقهى كُلٌ منهم يحيا حياته بحلوها ومرها دون أن يلتفت للآخرين، فقط كل منهم يأتي هنا ليحظى بمتعة بسيطة كقدح من القهوة المُنَكَّهَة يُعِينَهُ على حياة تحتاج لقدح من القهوة لا ينتهي ليظل على تركيزه الدائم معها، وليواصل نحت صخورها، لِيُخْرِجَ منها ابتسامة قد لا تدوم طويلًا.

أصبحت الآن أتقبل وجود نجيب كما أتقبل كل شيء آخر في الحياة، فالبوح يكسر كل الحواجز النفسية والاجتماعية ويضع ممارسيه على خط روحي واحد، لتكتمل اللوحة أن الحياة مشاركة ومحبة.

قلق نجيب من مصيره الذي تحدد مُسبقًا، طغى على قناعات كثيرة جدًا لديه، خاصة عندما بدأ عقله الباطن يعابثه.

أنا أعلم يقينًا أن الهاتف موجود، فهو لم ينقطع من رأسي، ولكن أن ينتقل إليه، أعتقد أنها مبالغة من عقله الباطن.

ربما الحديث عن الجن والعوالم الغامضة، وكل تلك النهايات التي ظهرت فيها قدرة الخالق ويده الرحيمة جلية، جعلته يشك في كل معتقداته، وربما كانت روحه أكثر هشاشة مما يَدّعِي ويعتقد.

الخلاصة أنني أخبرته أنها سابقة لم تتكرر بالفعل لو كان يُنصِتُ للهاتف، ربما هو صدى الفكرة داخل عقله، وربما هو تأثير تواجدنا بهذا القرب.

أخبرته ألا يقلق أكثر، فالإنسان منا لا يموت مرتين، إلا لو فقد حب حقيقي، وهو موت معنوي في النهاية.

لم تُقلِّل كلماتي السخيفة من قلقه، ولم تساعده أكثر، فقط بدأت أنا أشعر أن وجودي أصبح حِمْلًا ثقيلًا على روحه، وربما لو أنهيت قصصي وغادرت، سيستعيد توازنه.

ولذلك قررت أن أبدأ في الحكاية الأخيرة، أنا نفسي أريد أن أبوح بها، أن أمنح بعضًا من أحزاني وقلقي لشخص آخر، فقط كي تشعر روحي بالمشاركة، وأتخلص ولو لوقت قصير بإحساسي العارم بالوحدة، ومن عبء كبير أنوء بحمله، فقلت:

- لوليد بطل قصتي الأخيرة شخصية عجيبة ومختلفة، فهو لا يؤمن إلا بالقوة، ويحرص بشدة على أن يحصل عليها، سواء كانت بتضخيم عضلاته في الجيم، أو فرض هذه القوة على الآخرين بالمشاجرات والمنافسات.

شخصيته الأصلية قوية جدًا، لا يمكن أن يفرض عليه شيء أو يُجْبَر على فعل شيء، والخوف كلمة لم توجد في قاموسه.

الحقيقة أن الخلق لو بدأ به، لكانت الحياة سلسلة من الحروب والمآسي التي لا تنتهي، ولا ينطفأ لها نار.

هو مصري الجنسية والروح والفطرة، ولكنه ولد في الكويت، وهو الابن الأكبر لوالديه.

لم تكن الحياة معه رؤوفة أو حانية طوال الوقت، فمات أبيه في بلاد الغربة، بعد أن كان يُمَنِّي نفسه بعودة أخيرة، سبقه الموت لِيُجْهِضَهَا كَحُلْم.

بعد وفاة أبيه، عاد مع أمه وأخوته إلى مصر، كان وقتها في الصف الأول الثانوي، مراهق يمارس كل متع الحياة بنزق، لا ينتظر الغد فهو سيتعامل معه عندما يأتي.

كانت ثقته في نفسه مُفْرِطَة ووسامته طاغية، ليس براد بيت أكثر شعبية ولا وسامة منه.

الحياة بالنسبة له كانت مجموعة من المتع المنتقاة.

لم يكن يصلي أو يمارس أي شعيرة تدل على حقيقة هويته الدينية، ينفق يومه كله ما بين الصالات الرياضية ومرافقة الفتيات والنساء، فَلِقُوَّتِهِ الظاهرة ولوسامته ولباقة لسانه تأثير قوي وحقيقي على الجنس الناعم، وروحه كانت منتشية بهذا التأثير، ولم يكن يترك فرصة ليقتنص ثمرة من بستان الجمال إلا واقتنصها.

هل كان يدخن، يتناول الخمر أو يتعاطى الحشيش ؟!

بالطبع لا.فكل هذه سموم وهو يعشق الحياة، ولن يسيء يومًا لجسده.

انتهت الثانوية العامة، فتقدم للأكاديمة العسكرية بالإسكندرية، وتم قبوله على الفور..

لو لم يُقبل هذا العملاق البشري فمن يُقبل !!.

ألم تكن له عيوب ؟ بالطبع كانت له عيوب، فلا كمال لبشري..

عصبيته وغروره وعشقه لذاته، كانوا نقاط ضعف شخصيته الساحرة، اندفاعه وتهوره كانا نقمة عليه.

في هذه الفترة المتقدمة من عمره كان يقطن في السكن الجامعي، وعلى أثر مشاجرة عنيفة مع أحد زملائه، هَشَّمَ فيها وجهه وحَطَّمَ أنفه، ورَصَّعَ جسده بالكدمات والسحجات تم طرده من السكن.

ولذلك قام باستئجار شقة صغيرة في منطقة شعبية ليقطن بها حتى ينتهي العام الدراسي، أو يجد شقة أفضل.

كانت الشقة عادية جدًا لا شيء يميزها عن باقي شقق العمارة، تتكون من غرفتين وصالة ومطبخ وحمام.

كان في غرفته الخاصة فراش صغير وخِزانَةُ ملابس، وفي الغرفة الأخرى ثلاجة وفراش لفرد واحد، ومائدة متهالكة لتناول الطعام وبعض المقاعد، والصالة كان بها أنتريه حال لونه وتلفاز لا يتابع التطورات التكنولوجية الحديثة في المجال ولكنه كان يؤدي الغرض منه.

وهذه الشقة كانت مسكونة!!.

هل أخبره مالك الشقة بذلك ؟.

بالطبع لا، ولو أخبره ما فرق معه الأمر.

مالك الشقة لم يكن بهذا الشر المطلق، وعلى غير العادة كان يوده ويعشق جرأته ورجولته وكرمه، ولأن ضميره لم يمت تمامًا. فقد كان كثيرًا ما تتكرر هذه المحادثة بينهم كلما التقيا مصادفة أو خلال زيارة قصيرة يقوم بها صاحب الشقة.

صاحب الشقة :

- ما رأيك بالشقة..أكل الأمور تمام ؟.

فيجيب وليد بالرد المعتاد :

- تمام.

كان صاحب الشقة اسمه محمود، ولقب شهرته هو الكويتي لأنه قضى بعض شبابه في الكويت، مصادفة لا معنى لها طبعًا، خاصة عندما تعلم أنه قمحاوي البشرة وله شعر أكرت ومفتول العضلات أيضًا.ويمارس رياضة كمال الأجسام ، كما يفعل وليد.

ظل الكويتي يَودُّ وليد لعدة أيام، ثم قرر أن يتركه لمصيره، فالشقة وعُمّارُها يبدو وأنهم لا يأبهون به.

وبعد عدة أيام بدأت الأمور تأخذ منحى مختلف، عاد وليد في ذلك اليوم قائظ الحرارة من الأكاديمية، كان مرهق بشدة، وعلى مشارف الإصابة ببرد الصيف اللعين،كان يشعر بالعطش.

دخل الغرفة التي توجد بها الثلاجة، ترك مفاتيحه على طاولة الطعام المجاورة لها، وتوجه صوب الثلاجة وفتحها، ليجدها مُعطّله لسبب لا يعلمه، والماء بداخلها فاتر.

تجاهل الأمر وروى عطشه، دخل لينام، فلم يستيقظ إلا صباح اليوم التالي.

نظر في ساعته فوجد أنه تأخر بالفعل، لقد نام نومًا عميقا كنوم أهل الكهف وكأنه تناول مخدر قوي المفعول، فارتدى ثيابه على عجل ليذهب إلى الأكاديمية، وهو يشعر بأنه أفضل حالًا إلى حدٍّ ما، وأن جسده سيهزم بالراحة نزلة البرد المفاجئة، مَطَّ جسده ثم قام ببعض تمرينات إطالة العضلات، وهو ينظر لعظلات جسده المنفوشة في إعجاب.

ارتدى حذائه الرياضي، توجه صوب الغرفة التي بها طاولة الطعام، بحث عن مفاتيحه، والمفاجأة أنه لم يعثر عليها في مكانها.

كان مُوقِنًامن كونه وضعها بيده بالأمس فوق طاولة الطعام، فهو لم يقم بأي عمل بعدها إلا أن فتح الثلاجة وشرب من مائها الفاتر، والمفاتيح بالطبع ليست هناك، فقد بحث بداخلها أيضًا.

وبرغم ذلك قلب المنزل كله عليها، وفي النهاية وجد أنه سيتأخر على موعد محاضراته، فقرر أن يؤجل العثور عليها لوقتٍ لاحق.

وباستخدام سلك معدني وضعه في رزة الباب، صنع قفلَ بدائي ثم غادر، فمحتويات الشقة هزيلة ولا يمكن القلق عليها.

قضى يومه كالمعتاد في الأكاديمية دون مُنغِصَات.. مَرَّ على الصالة الرياضية القريبة مارس تدريباته المعتادة، وأخيرًا عاد لشقته ففض قفلها الهزيل، وعبر إلى داخل المنزل، ليفاجأه عطش شديد وكأنه كان يقطع الصحراء منذ عدة أيام.

دخل الغرفة التي تحتوي على الثلاجة، وكان أول ما وقع بصره عليه هو مائدة الطعام، وفوقها عثر على المفاتيح في نفس الموقع الذي تركه فيها بالأمس، فضرب رأسه بكف يده وحدث نفسه قائلًا :

- ماذا بك يا وليد..هل ستُسْطَل بدون حشيش..

كان مندهشًا من إحساسه العارم بالعطش، وكأن باب الشقة يُطِلُّ على صحراءٍ لاهبة.

توجه صوب الثلاجة، والعجيب أن الماء الموجود بداخلها كان مثلجًا برغم أن الثلاجة لا حياة فيها، وضوئها كان مطفأ.

عَبَّ من الماء حتى ارتوى عطشه وامتلأت معدته، وقال بسذاجة أسطورية:

- أخيرًا عادت للعمل.

أغلق باب الثلاجة، بعد أن ملأ الزجاجة بماء من الصنبور، ووضعها في الفريزر لتبرد أسرع، ثم دخل إلى غرفته، و ارتدى ملابسه المنزلية المريحة.

كان قد تناول طعامه الغداء في مطعم قريب قبل عودته، فقرر أن يشاهد التلفاز، وعندما هَمَّ بالجلوس، شعر بالعطش يحرقه مرة أخرى، فعاد للثلاجة وفتح الفريزر، وكان المشهد الذي شاهده مُذهِلًا.

فالماء الموجود بالزجاجة كان يغلي، حتى أن البخار الحار كان يخرج منه كثيفًا، وكأن الزجاجة موضوعة فوق مرجل مشتعل.

وبكل اريحية أغلق الثلاجة، ثم قال مُحَدِّثًا نفسه :

- لقد خربت مرة أخرى.

وكان المفروض من الثلاجة التي تفسد أن تصبر موقدًا، ليغلي الماء بداخلها حتى يتبخر.

تجاهل الأمر ببساطة عجيبة، فهو لم يكن ليسكن في عقله أو يقينه أن ما يدور حوله يتم بتدخل أيدي خفية، أو مخلوقات من وراء العالم، كل هذه الأشياء خارج دائرة اهتمامه وتوقعه، إنها ثلاجة عتيقة على كل حال.

مرَّ النهار بكآبته ومله، وقطعه هو أمام التلفاز، وعندما أكّدَ الظلام على أحقيته في باقي اليوم، بدأ يشعر بالملل، فأخذ يتحرك في أنحاء الشقة مُفكِّرًا في شيء يقطع به الوقت بعد أن فتح اللابتوب، وجعله يصدح ببعض الأغاني الحديثة.

قادته قدماه للغرفة الأخرى الموجود بها الثلاجة.

وكانما كانت الغرفة المُرِيبَةُ تنتظره، وفور أن دخل إليها حتى بدأ على جدرانها العرض المخيف.

ففوق الجدار المقابل له برز أمام عيناه ظلال وأشباح تتحرك بطريقة مفزعة لتكسو كامل الجدار، الذي تحول إلى ما يشبه شاشة عرض عملاقة، تعرض فيلم رعب رديء في أجواء سيئة الإضاءة.

توقف وليد أمام الجدار يتأمل عرض الأشباح الدائر بعقل غير مستوعب أو واعي لما يحدث أمامه، ودون أن يداخله أي شعور بالخوف أو الإضطراب، وبدون أي ردود فعل بشرية حقيقية، في حين كانت الأطياف في ذروة نشاطها، وتفاعلها، وعبثها.

وكأنها إحدى مسرحيات الخلال، بدأت الأشباح تتخذ أشكالًا غريبة، فبدا وكأن هناك شيطان ذا قرون يهاجمه ثور شيطاني ثائر، وحولهم ما يشبه

نيران جحيم متأججة، وكان أقصى رد فعل له، هو أن قرص نفسه ليتأكد من يقظته ثم قال :

- الوحدة ستصيبك بالخبال حتمًا يا وليد.. لقد بدأ الخرف.

ومع استمرار العرض المخيف، وتحول الظلال إلى أشكال أكثر غرابة مع تلك النظرات المُتوَعِدَة التي يَصُبُّهَا أحد الأرواح الهائمة باتجاهه، بدأ متأخرًا جدًا يشعر بالقلق.

وبقلبٍ قُدَّ من صخر غادر الغرفة، ليتركها لتنعم بأشباحها، ثم أخرج هاتفه من جيبه وطلب أول اسم من أصدقائه ظهر في لائحة جهات الإتصال ليقضي معه الليلة، فجنون الأصدقاء أكثر رحمة من هذا الجنون الدائر في الغرفة المغلقة.

بالفعل لم يكذب صاحبه خبرًا، وأتى له في غضون ساعة بعد أن أملاه وليد عنوان الشقة، مُحَمَّلًا بما لذ وطاب من الطعام والشراب.

جلسوا يتسامرون أمام التلفاز، ويتناولون البيتزا الشهية والمثلجات، ويقطعون الوقت في النميمة، والتحدث عن رياضة كمال الأجسام.

لم يكن صديقه أسامة من المقربين جدًا منه، وهذا كان يناسبه في هذه الليلة العجيبة، هو يحتاج لدفء الصحبة مع شخص متحفظ لا يثير الكثير من الضجيج.

في الساعة الأولى التي قضياها سويًا سار كل شيء طبيعيًا، واكتشف وليد جوانب كثيرة جيدة في أسامة لم يَطَّلِع عليها من قبل، وزال التوتر من أجواء الليلة حتى شعر أسامة بالعطش، فأشار له وليد بكل أريحية أن يذهب إلى الثلاجة ليحضر زجاجة المياه الباردة.

إلى هنا كانت الأمور جيدة والليلة ستطوي سجلها وترحل، لولا أن هناك في قلب الظلام من لا يريدها أن تنتهي على خير.

فبمجرد أن فتح أسامة باب الثلاجة المغلق حتى انقطع التيار الكهربي عن المكان، وغاب الضياء بطريقة مذهلة ، وساد ظلام مُدْلَهِم احتوى الشقة بقاطنيها.

وخارج الغرفة كان رد فعل وليد سريعا، فأشعل هاتفه المحمول ليهتدي على ضوئه، وطفق يبحث في أرجاء الشقة عن بعض الشموع والثقاب.

لحظات ثمنية ضاعت في قلب الظلام، قبل أن تشق صرخة أسامة المكان، لِتَرُجَّ جدران تلك الغرفة العامرة بالأشباح كقذيفة.

هزت الصرخة أعماق وليد من الداخل، ولبرهة تجاهل صرخة صديقه، فقد تكون مجرد مقلب سخيف من مقالبهم المعتادة، وعندما سيهب لنجدته، سيستغل الظلام أسامة، ويغرقه بالماء البارد.

ثوانٍ ثمينة أخرى أضاعها وليد في التردد، استغلتها أشباح الغرفة أفضل استغلال.

فبداخل الغرفة المظلمة كان أسامة واقعًا في أسرقبضةٍ مِخْلَبِيَّةٍ مجهولة تعتصر قدمه اليسرى، وَيُقَاتِلُ هو بكل ما بداخله من رغبة في الحياة ليتحرر منها، ومع الألم الشديد الذي كان يشعربه والضغط الهائل لتلك الأصابع العظمية القوية، بدا من الواضح أنه سيفشل وستجذبه تلك المخالب ليغوص معها إلى باطن الأرض.

مرت نصف دقيقة أخرى، قبل أن يشعر وليد بقلقٍ كافٍ ليتحرك صوب الغرفة، التي لم تنقطع منها الصرخات.

في نفس الوقت الذي كان فيه أسامه يُجَاهِدُ كي يتحرر من ذلك الفخ العظمي القابض على ساقه.

ومع تدفق الأدرينالين في عروقه بعد أن يأس من الحصول على مساعدة خارجية من وليد، بدأ يحرك ساقه حركات عنيفه عشوائية ساعدته لينتزع قدمه المتألمة من تلك القبضة الجهنمية بقوة لم يشعر بها من قبل، لينجو أخيرًا من ذلك الفخ العظمي الرهيب بعد عدة محاولات فاشلة، ليسقط بعدها أرضًا وسط الظلام موقنًا بأن قدمه قد شُلَّت.

في نفس اللحظة عبر وليد مدخل الغرفة مهتديًا إلى صديقه على ضوء هاتفه المحمول، الذي لم يعد له فائدة بعد أن عاد التيار الكهربي، وعادت الحياة لمصابيح الشقة.

حمل وليد صديقه أسامة من أسفل إبطيه، وساعده على النهوض، مستفسرًا منه عن سبب صرخاته.

وجاته الرد هلعًا وسُبَابًا، وأسامة يكشف له عن أثار تلك القبضة المخلبية المخيفة التي كادت تمزق ساقه، والتي تركت مكانها كدمات داكنة، لن تزول بسهولة.

وما أن تمالك أسامه نفسه، واستعادت ساقه القدرة على الحركة حتى خرج راكضًا من الشقة، ليتعثر ألف مرة قبل أن يغادر البناية فالمنطقة كلها إلى حيث الأمان، وهو لم ينفك يصرخ، أن الشقة ملعونة.

شعر وليد بقلق حقيقي جراء تلك الحادثة العجيبة وهو قلق متأخر جدًا، وإن أتى رد فعله هذه المرة أيضًا على غير قوة الحدث، فلم يغادر المكان كأسامة، بل ظل على عناده، ولم يستسلم لألاعيب الشقة، فقط ما كان

يضايقه هو وجوده وحده في المكان والليل مازال في أوله، وهداه شيطانه لطلب سمر صديقته الحميمة لتمضي معه ما تبقى من الليلة.

طلبها فلم تُمَانِع.

ومن هي لِتُمَانِع أو تترك فرصة تضيع من يدها لا تنهل فيها من رجولة ووسامة وليد، وهو أيضًا لم يكن يفهم معنى الرفض.

ساعة ونصف مرت حتى سمع الطرقات على باب الشقة، لم تكن المرة الأولى التي تأتي فيها سمر لشقته، لذلك كانت تعرف العنوان جيدًا، وتعرف كيف تأتي دون أن تلفت الأنظار.

فتح الباب وبابتسامة واسعة استقبل صديقته الفاتنة، وهو يتطلع إلى جسدها المشدود وملامحها المثيرة التي فجرتها الأصباغ أكثر، ومع ابتسامتها، نسى الأشباح والدنيا كلها، فلا توجد وسيلة أفضل من أحضان دافئة تمحو البرودة والقلق الذي غَلَّفَ المكان.

وما أن دخلت سمر إلى الشقة مُمَنِّية نفسها بليلة خاصة تمضيها في جنة وليد، حتى توتر جسدها، وتيبست قدماها وتقلصت ملامحها، وغابت ابتسامتها، وقالت بصوتٍ كارهٍ وقَلِق:

- ما هذه الرائحة الكريهة يا وليد.. أشعر أن روحي ستغادرني.. لا يمكن أن أبقى ثانية إضافية في هذا المكان.

تشمم وليد الهواء دون أن يعرف عن أيِّ رائحة تتحدث، وبكل خشونة جذبها من ذراعها في عبث.

وأتى رد فعلها عنيفًا، فنزعت سمر يدها من قبضته بكل قوة وهي ترتجف، قبل أن تحتوي عيناها عيناه لتقول :

- سامحني يا وليد لن أستطيع.. لن أستطيع..إن هذه الشقة مُخِيفَة، ماذا فعلت بها ؟!.

ولم تنتظر رده، فاستدارت وغادرت المكان تتعثر في خطواتها، وكأنها تنجو بحياتها من خطر مُحَقَّق.

شعر وليد بضق رهيب من فساد ليلته، فقرر أن يخلد للنوم كي ينتهي هذا اليوم ثقيل الظل.

ذهب إلى غرفته وتمدد فوق الفراش يستجدي النوم دون فائدة، فقرر أن يعود إلى الصالة مرة أخرى.

وهناك كان الظل ينتظره، نصفه ظاهر للعين ونصف مختفي.

كان ظل لسيدة مُسِنَّة غير واضحة الملامح، كانت تشير نحو الغرفة الموجود بداخلها الثلاجة، وكان إصبعها يتحرك بما معناه، لا.

تحذير مُخِيف بعدم الولوج إلى الغرفة.

تحذير كاف لهرع أشجع الرجال خارج المكان الملعون لينجو بنفسه، لكن وليد لم يكن ساعتها قد وضع النقاط الحائرة فوق الحروف المخيفة بعد، وبالتالي كان حديثه إلى نفسه غير منطقي ويوحي ببعض الجهل أو الحماقة:

- الوحدة ستصيبني بالجنون..ستصيبني به حتمًا.

وبرغم إنكاره إلا أنه بالفعل أنصت للتحذير، وطوال يومان كاملان لم يدخل الغرفة نهائيًا، وإن كان طوال الوقت يشعر بضيق واختناق، وفي النهاية بدأ يشعر بأن الأمر غير طبيعي.

متأخر جدًا يا وليد.

ولكن هذه هي طبيعة وليد المغرورة، وأخيرًا شعر بأنه بحاجة لما يشرح صدره ويزيل ضيقه، فقام إلى اللابتوب، وجعله يصدح بآيات من الذكر الحكيم التي انقطع عنها منذ مدة طويلة، وبصوت الرائع محمد رفعت.

وهنا بدأ الأمر يدخل في حَيِّز الجد.

فكلما علا صوت المقريء بآيات الذكر الحكيم، يظهر طيف شفاف غير محدد الملامح يدخل ويخرج من الغرفة، بسرعة رهيبة جدًا تخطف الأبصار.

وقبل أن يفيق وليد من الصدمة، بدأت بعض المقاعد تتحرك لتتصادم في عنف في حين أخذ البعض الأخر يرتفع عن الأرض، قبل أن يهوي بسرعة لينسحق عند اصطدامه بالأرض، ليتبعهم تحرك مائدة الطعام، وهي تحتك ببلاط الأرضية ليصدر عنها ضجيج يكاد يمزق الأذان.

ووسط صدمته شعر بمن يدفعه نحو اللابتوب، ليضغط زر إغلاق برنامج الصوت، ليتوقف القاريء عن قراءته للقرآن، ليسود بعدها الهدوء أرجاء الشقة التي عَمَّتها الفوضى، وكأنما ضربها إعصار.

ومن هذه اللحظة، بدأ الخوف يتمكن من قلب وليد، ومع تلك السيطرة الكبيرة على عقله وروحه من قبل عُمَّار المكان، كان يقضي معظم يومه خارج الشقة، ولا يعودلها إلا وقت النوم.

وخلال اليومين التاليين لم يحدث ما يمكن أن يثير قلقه في الشقة، إلا أن الضيق و الإختناق ظلا جاثمين على روحه لم يُغَادِرَانه.

وبداخل غرفته التي أغلق بابها بإحكام، قرر أن يشغل اللابتوب على القرآن بصوتٍ خافت، هو بحاجة ماسة لتلك اللمسة الروحية بعد أن صرع القلق توازنه وسلامه النفسي.

وما أن صدح صوت الشيخ الرخيم في الغرفة، حتى انقطعت الكهرباء عن البناية كلها، وانطفأ اللابتوب برغم كون بطاريته مشحونة، وعلى طرف السرير ظهر شبح تلك السيدة العجوز، وكأنها برزت من قلب العدم.

كانت عجوز جدًا، تشبه جذع نخلة يابس مجدور، كان مظهرها مُرَوِّعًا أكثر من أي شبح أو زومبي رآه في حياته.

نظرت له السيدة بنظرة لائمة غاضبة، قبل أن تقول :

- أأنت بهذا الحمق..ألا تخشى على حياتك ؟!.

نظر نحوها في ذهول قبل أن يتساءل في دهشة :

- هل تحدثينني أنا ؟.

منحته نظرة نارية، قبل أن تقول :

- نعم أحدثك أنت..هل ترى غيرنا في المكان..ألا تخشى على روحك..لقد منعت عنك أذىً كبير، ولن يظل الأمر إلى الأبد.

صمت وهو غير مُصَدِّق ما يسمعه أو يراه، فأشارت بأصابعها المخلبية نحو الغرفة التي تحتوي على الثلاجة، وقالت بصوتٍ قاسٍ وصارم :

- هذه الغرفة مُحَرَّمَةٌ عليك..لا تدخلها كي لا تثير غضبهم..قرآنك يُزهِقُ أرواحهم فلا تجعله يقرأ هنا، وإن واصلت حماقتك ودخلتها فلا تلومن إلا نفسك، وما سيحدث لك سيكون مسئوليتك وحدك..لن أكون في صفك بعد هذا التحذير.

انتهت كلماتها فاختفت وعاد الضوء ليغمر الغرفة، وعادت الحياة للابتوب، دون أن يعلو صوت القرآن.

جلس صامتًا لدقيقة ثم هَزَّ رأسه بحركته المعتادة، قبل أن يُحَدِّث نفسه قائلًا :

- إنه الجنون بعينه.. لقد جُنِنْتُ رسميًا.

هنا قاطعني نجيب قائلًا :

- الشيء الأكثر غرابة من أحداث القصة، هو رد فعل صديقك هذا، كيف يواجه كل هذا الهول، بهذا الهدوء والبرود.

نظرت إلى ساعتي، ثم قلت :

- إن لدى وليد غرور طاغي، وثقة في نفسه لا مثيل لها، كما أنه في هذه الفترة لم يكن يرى الأمر إلا على ضوء الجنون، فعالم الجن وما يحيط به بعيد عنه إلى درجة كبيرة، فلا يمكن أن يخاف مما لا يؤمن بأذاه أو تأثيره، كما أن غروره أوهمه بأنه قادر على مواجهة أيِّ شيء مهما كان غموضه، إنه تحَدٍّ جديد، وهو حريص على كسبه.

هز رأسه في تفهم، ثم أشار لي أن أكمل فقلت :

- لم يستوعب عقل وليد ما يحدث، ليس الجميع مهتم بهذه العوالم، أو يجعلها شمَّاعةً يُعَلِّقُ عليها كل غموض، يجب أن تفرض عليه هذه العوالم خوفها قبل أن تفرض إرادتها، وكان هو يؤمن أن كل ما يحدث له هلاوس نتيجة وحدته، ولذلك كان ما قام به وليد في الدقيقة التي تلك هذا الأمر مفاجئًا.

فما أن اختفى طيف المرأة العجوز من أمامه حتى اندفع نحو باب غرفته وقام بفتحه، ثم اندفع نحو الغرفة المحرمة التي تحتوي على الأشباح.

كان منزعجًا ولكنه لم يكن خائفًا.

دخل إلى الغرفة، ثم وقف في منتصفها بتحدٍ وقال :

- إن كان هناك شيء حقًا فليخرج لي.

ولم يكمل الجملة.

ففي اللحظة التالية، لمح الظل الذي انقض عليه وامتزج بجسده، ليشعر بحرارة عاتية تجتاح كيانه، وبدمائه تغلي في عروقه، مع ألم عاتي في كل خلايا جسده. لتحمله بعدها بقوة خفية فترفع جسده ليطفو في فضاء الغرفة، قبل أن تقذف به ليندفع نحو الحائط في عنف، لتفاجئه الام مُبرحة، وكأن كل عظمة في جسده تهشمت.

وعندما حاول أن ينهض مجددًا، تكرر الأمر، واندفع جسده في عنف نحو الحائط، حتى شعر بأن عظام صدره قد تحطمت، وبأن كتفه قد خُلِع.

هل تعلم الدرس ؟!

بالطبع لا، حاول النهوض للمرة الثالثة.

وهذه المرة قذفته القوى الغامضة، صوب الفراش الصغير، ليستقر فوقه صارخًا، بعد أن تلقى لطمة شديدة على صدره، جعلت عيناه تدوران في مِحْجَرَيْهِمَا، ليعجز بعدها عن التنفس لفترة طويلة.

وعندما استعاد أنفاسه وبعض قوته وفتح عيناه، وجد وجه السيدة العجوز أمامه مباشرة، لدرجة أنه شعر بلفح أنفاسها الكريهة يضرب وجهه، وعلى وجهها المخيف، ارتسمت أعتى علامات الغضب والضيق.

أما ما أثار رعبه، فقد كان من يقفان ورائها.

لم يكونا بشريين بأيِ حالٍ من الأحوال.

لا يمكن أن تكون هذه البشرة الصفراء الفاقعة بشرة بشري، ولا يمكن أن يكون هذا الجلد السميك ينتمي لإنسان، العيون صفراء دموية مشقوقة بالطول، والأنياب الرباعية مدببة بطريقة مُرَوِّعَة.

لم تتحدث المرأة العجوز هذه المرة بل منحته نظرة لائمة، تراجعت بعدها إلى الخلف خطوتين، لتفسح المجال ليتقدم العملاقان المُخِيْفَانِ صوبه، وليجروه جرًا عبر الدرج إلى خارج البناية.

هل كانت الأبواب تفتح لهم من تلقاء نفسها، ربما، الموقف أكبر من أن ينتبه لتلك التفاصيل التافهة.

تطلع نحو الشارع بهلع، وقلبه الذي لم يعرف طعم الخوف من قبل يتذوقه الآن علقمًا، وأعصابه التي لم تهتز يومًا، تكاد تنهار من فرط الخوف.

سحبه الرجلان في غلظة وعنف عبر الشارع الذي تغيرت بعض معالمه، وهو غير مُصَدِّق لما يراه..

إنه يحيا كابوس حقيقي، فالمباني من حوله تشبه إلى حد كبير المباني المعتادة في الشارع الذي تقع فيه شقته، إلا أن هناك اختلافًا جذريًا في هيئتها لم يستطع من هول الموقف تحديده.

كان الشارع أكثر إظلاما، ولا توجد إلا إضاءة ضعيفة تنبعث من بعض الأعمدة، وقد صارت إضاءتها أكثر شحوبًا من المعتاد، وكأنما يغمرها ضباب باهت.

الشارع نفسه خلا من البشر نهائيًا، وَحَلَّ محلهم مخلوقات شبيهة بالبشر، ولكنهم أقصر قامة، وبشرتهم كانت صفراء فاقعة، وأنيابهم حادة، وعيونهم صفراء دموية مشقوقة طوليًا، كهيئة محتجزيه تمامًا.

أما الشيء الذي جعل قلبه ينقبض، كانت السماء !!.

بساط داكن، مظلم، لا نهائي يغلف هذا العالم، ويحيط به كذنب عظيم، لانجوم، ولا قمر، وكأنما تم طمسها أو لم تخلق من الأساس، فلم تعرف هذه السماء الضوء قط.

وأثناء سيره مندهشًا في تلك الطُرُقات الشاحبة،كانت المخلوقات الصفراء التي تقطع المكان في رحلتها اليومية المعتادة تُبَادِلَهُ نفس الدهشة..

هذه العيون المشقوقة طوليًا، تندهش..أيُ هولٍ هذا.

تبادل معهم النظرات دون أن يجرؤ على النطق، أو يجرؤ أيًا منهم على اعتراض الموكب.

كانت نظراتهم له تشبه نظرات زائر لحديقة الحيوان، فوجيء لأول مرة بوجود ديناصور قادم من أعماق التاريخ.

حاول أن يتكلم، أن يصرخ، أن يقاوم، أن يطلب النجدة دون جدوى، وكأن جسده قد فقد كل اتصال له بعقله فلم يعد قادرًا على الاستجابة، لتلك الإشارات العصبية الملهوفة.

لم يكن يملك رفاهية الاستجابة ليقاوم أو ليستسلم، فقط كان يشاهد ما يحدث له وكأنه يحدث لشخص أخر، حتى وصل به مختطفوه إلى منزل أخر لا يبعد عن مكان شقته كثيرًا في ذلك الشارع الذي يشبه شارعه، أو ربما هو في بُعْدٍ مختلف، وبداخل إحدى غرفه التي لا تختلف عن غرفنا العادية، تم احتجازه.

مرت عليه عدة ساعات وهو على حالته منذ ولجها متكور في أحد جوانبها مسلوب الارادة، لا يعرف الخطوة التالية ولا يقدر عليها، إلى أن انفتح بابها.

ليظهر العملاقان اللذان احتجزاه، وقد حمل أحدهم صحفة مليئة بالطعام.

طعام عادي كطعامنا معظمه من الفاكهة الطازجة، وليس عظام وروث وشعر كطعام الجن المعتاد.

نظر للطعام بتعجب، قبل أن يَنقَضَّ عليه، وعقله يقارن بين الطريقة العنيفة التي انتهجوها لإحضاره إلى المكان، وعدم وقوع أي أذى أو إساءة جسدية له، وإحضارهم الطعام.

وقَدَّرَ أن ما يحدث معه هي ممارسات استضافة وليس اختطاف، ومع ذلك كان يشعر بأنه مسجون، وسيبقى في هذا المكان المشنوم إلى الأبد.

انتهى من الطعام، فجاءوا لاصطحابه إلى غرفة أخرى، عبارة عن كتل من الجدران المصمتة، كانت تشبه الزنزانة ولكنها بلا نوافذ، ولا يوجد بداخلها من الأثاث إلا فراش صغير يقع في منتصف الغرفة تمامًا، والضوء الوحيد الذي كان ينفذ للغرفة كان عبر نافذة الباب، التي كانت تمتلك خواص الزجاج ولكن لا تشبهه.

وجود الفراش في هذه اللحظة كان طوق النجاة الذي أُلقِيَ لوليد، وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة منذ سنوات، ألقى جسده المُجْهَد على الفراش، وراح في سُبَاتٍ عميق وهو يفكر، أن النوم وحده هو ما سيثبت له إن كان ما يمر به حقيقة أم كابوس..

لذلك نام بعمق نوم دُب قطبي اشتاق لسُبَاتٍ أبديّ.

نام فلم يشعر بشيء أو يأبه بشيء، لو كانت هذه نهايته فلتأتي وهو نائم، هكذا أفضل وأقل ألمًا.

كان نومه غير مريحًا برغم عمقه، فكان يمر بتلك الحالة المبهمة من النوم المتناقض التي لا تمثل له نومًا ولا يقظة، فيشعر أحيانًا بكيانه يتجسد في تلك الشقة المستأجرة في الإسكندرية، فيبذل كل جهده للتمسك بذلك الواقع البعيد، وسرعان ما كان يشعر بلطمة هائلة على صدره ترجه رجًا، وعندما يستفيق منها،كان يجد نفسه مازال أسيرًا بين محتجزيه من الجن ، ومازال بداخل الغرفة الأخرى في عالم الجن.

ثلاثة أيام تكرر فيها الأمر مئات المرات، وكأن روحه القلقة ترفض الخضوع لمختطفيها، حتى كادت أن تزهق ويقضي إرهاقًا.

والمصيبة أنه كان قد ترك هاتفه المحمول مُعَلَّقًا في شاحنه، فظل يستقبل اتصالات والدته المُلتاعَة التي لا إجابة عليها، والتي سكن يقينها أنها فقدت ابنها إلى الأبد.

وككل أم غاب عنها فلذة كبدها قلبت الدنيا رأسًا على عقب، فهاتفت الأكاديمية، ومنها حصلت على رقم أسامة، صديق ولدها والذي لم يتخطى بعد ذلك الموقف الشنيع الذي حدث له في شقة وليد، والذي لم يره أو يقابله من يومها.

وبرغم خوفه الشديد، وقراره السابق بقطع كل علاقته بوليد، إلا أنه وعد أمه الملتاعة أن يذهب إلى شقة ابنها المستأجرة، ليتأكد من كونه هناك أم غادرها لأيّ سبب، فصوتها المنكسر قهر بداخله كل خوف واستفز مروءته.

وهذه المرة لم يذهب وحده إلى الشقة، فهو لم يكن ليجرؤ على ذلك فاصطحب معه الشِلَّة كاملة، وبعض المتطوعين،والمهتمين بأمر وليد.

كان باب الشقة الخارجي مُغلَقًا من الداخل فَهَشَّمُوا الرتاج، وكل منهم يتوقع مصيبة مروعة.

وبداخل غرفة النوم كان وليد المحتضر مُمدًا فوق فراشه غارقًا في عرقه، وكان هناك من صَبَّ عليه عدة دِلاءٍ من الماء الساخن.

أما ما أثار فزعهم فكان منظر ملاءة الفراش التي فُرشت تحته.

كانت سوداء كالفحم، وكأنها احترقت من قبل، أو قام شخص مجنون بتنظيف مدخنة مصنع طوب بها.

وبعد إسعافات أولية سريعة قام بها أحدهم عاد وليد لوعيه، دون أن ينطق بحرف واحد، وكأنما أصابه الخرس، فأعادوه من فوره إلى منزله بالقاهرة، وكنت أنا في هذه الأثناء دائم السؤال عليه بعد اختفائه الغامض.

وعندما أخبرتني أمه أنهم عثروا عليه، وأنه على وشك الوصول للمنزل، لم أكذب خبرًا، وكنت هناك في التو واللحظة، وقلبي يخفق من القلق.

وصلت إلى منزله في وقتٍ قياسي بسيارتي، تقريبًا في نفس لحظة وصوله، وقبل أن يدخل المنزل، وعندما رأيته كاد قلبي أن ينخلع من صدري.

لم يكن هذا وليد الذي أعرفه.

لم يكن هو أبدًا.

عصف بروحي رؤية وليد في هذه الحالة المزرية، وليد الذي رأيته في ذلك اليوم لم يكن يشبه وليد الذي عرفته طوال حياتي.

كان قدفقد جزءًا كبيرًا من وزنه، ونحل جسده، وإن لم يُصِبهُ الهُزَال بالطبع، وكان وجهه شاحبًا مُصفرًا، وكأنه مصاب بمرض الصفرة.

من يرى وجه أمه يعرف في هذه اللحظة معنى كلمة ضنى.

كنت أعتقد أن قلبها سيتوقف من الخوف على صغيرها، فقد غاب عن وجهها الدم بعد أن رأته على هذه الحالة السيئة، لقد ضَمَّتهُ إلى صدرها حتى دخلت به إلى غرفته التي أعدتها لاستقباله، وهو على صمته لم يتزحزح، ومددته وحدها فوق الفراش بثيابه التي لم يبدلها منذ عدة أيام، ولَفَّتهُ بالأغطية كأنه طفل صغير دون أن يعترض، ثم خرجت لتشكرنا.

من الأحمق الذي أخرج الملاءة، ولماذا أحضرها معه من الأسكندرية أصلًا؟

لو رأيتم الرعب الذي ارتسم على وجه أمه عندما وقع بصرها على الملاءة، لظل يزوركم هذا الوجه المسكين لشهور طويلة في أحلامكم.

نام وليد ليوم كامل دون أن يشعر بمن حوله، وأثناء نومه كانت أمه قد نَظَّفَت جسده وألبسته ثيابًا نظيفة، وعندما استفاق، طلبني على هاتفه المحمول، فكنت هناك كالريح.

وعندما دخلت عليه غرفته لم يلتفت لي، أو تتحرك خلية في جسده.

الآن ينظر إلى ركن معين في الغرفة بتركيز شديد، وكأنه لا شيء يلفت انتباهه في العالم كله، إلا هذا الركن المظلم.

لم أكن أعلم ما مر به، لذا اعتقدت أن الأمر ناتج تأثير تناوله الخمر أو المخدرات، أو كلاهما، برغم يقيني أنه لم يقربهما طوال حياته، ولكن هناك دومًا مرة أولى لكل شيء.

وضعت يدي على كتفه، وقلت :

- لابد وأنك أفرطت فيما كنت تمارسه..لقد خربتها تمامًا.

ظل على صمته لدقيقة كاملة أو يزيد قبل أن يتلجلج في الكلام، وكأنما يرغب في الحديث وهناك ما يمنعه، أو يحول دون خروج الكلمات من بين شفتيه، ليشهق في عنف، ويقول بعدها بصوتٍ منكسر مرهق :

- أنا لست في حالتي الطبيعية الآن يا أحمد، ولن أستطع الحديث معك، والأفضل لنا جميعًا أن تنصرف.

قالها ثم عاد يتمدد فوق الفراش مُنهيًا أيّ مجالٍ للحوار.

فقلت له في دهشة :

- أنصرف لقد قَدِمْتُ بِنَاءًا على طلبك، هل تخفي عني شيئا، بماذا تشعر إنني قلق عليك، ماذا يحدث لك ؟!!.

أغمض عينيه، وترك صدى الصوت ليخبرني أنه لن يتحدث معي في حالته هذه.

وفي لحظةٍ ما تَوَتَّرَ جسدي، وارتفعت حرارته، وبحاستي المعتادة أيقنت أن الأمر لا دخل له بالخمور أو المخدرات، وأن ما يطاردني طوال عمري، قد وقع وليد في فخه.

غادرته وقلبي منقبض، وممتلىء بقلقٍ عاصف عليه، ولا توجد في رأسي إلا فكرة واحدة.

لابد أن أستشير خالي محمود، فهو أكثر خبرة ودراية مني بهذه الأمور ليهديني إلى الخطوة التالية لأنقذ صديق عمري، وعندما قابلته وشرحت له كل شيء، وحَدَّثْتُهُ عن الحالة التي وُجِدَ عليها، ووجهه الأصفر والملابس السوداء..

أخبرني بقلق ودون تردد بأن أبتعد عن وليد، لأنه دون شك ملبوس من جن قوي وقادر، وأن نجمي خفيف، وقد أتأثر به.

سألته كيف أساعده، فأخبرني أن المساعدة الوحيدة التي يجب أن يحصل عليها وليد أن يتم عرضه وبأقصى سرعة على شيخ متخصص في مثل هذه الحالات، فهو قد أنهى كل اتصال له بهذه العوالم منذ وقت طويل، ولا يرغب في استعادة أيًا من ذكرياته معها.

بالطبع لم أستطع أن أمتثل لنصيحته بالإبتعاد عن صديقي وأتركه وحيدًا في محنته، وكنت يوميًا أذهب لأطمئن عليه، وبالطبع في هذه الأيام أضفت لطقوس الصلاة، وقراءة القرآن، أيات التحصين وأدعيتها.

ومنذ بدأت هذه الطقوس، كلما رآني وليد، أصابه الكَدَر، وسادت تكشيرة عنيفة وجهه، قبل أن يتركني ويغادر، وكأنه يفر من الطاعون.

ومن هذه اللحظة بدأ الشك الذي داخلني يتحول إلى يقين تام، وأدركت كم كان خالي بعيد النظر، خاصة وأن تصرفات وليد الغريبة، لم تقتصر عليَّ وحدي، بل تكررت مع أناس أخرين.

براهم، فيكفهر وجهه وتكسو ملامحه التكشيرة، وأحيانًا الغضب، ثم يفر من أمامهم كما يحدث معي، ومعظم هؤلاء الأشخاص، كانوا ممن يواظبون على أداء عبادتهم، واشتهروا بقربهم من الله.

ومنا تأكدت أن عليه جن.

بل وجن كافر أيضًا.

ما أثار قلقي أكثر أن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، بل بدأت تتطور من نفور وهروب، إلى اشتباك بالألفاظ والأيدي مع القريب والغريب، وبشكل هيستيري مخيف، وربما بدون سبب محدد.

وفي مساء أحد الأيام، وفي أثناء زيارتي لمنزله لاحظت أن أمه قد أصابها الغم والنكد على ابنها بالمرض، فهزلت ونحلت، وكأنها هي من تخوض هذه التجربة المُرَوِّعَة، فجلست معها، وَهَوَّنتُ عليها قليلًا.

وساعتها قررت أن التزام الصمت لم يعد ذا جدوى، وأن الوضع بهذا الشكل سينتقل من سيء إلى أسوأ، وواجبي على صديقي أن أخرجه مما هو فيه، ولذلك كانت المواجهة حتمية وواجبة..

وبدون تأخير دخلت غرفته، وأغلقت بابها خلفي، كان الظلام قد حَلّ، فصبغ الدنيا بلونه الأسود، وساد الهدوء الشارع إلى حَدٍّ ما، وكان هو جالسًا جلسته المعتادة التي تفطر القلوب فوق الفراش، فبادرته قائلًا :

- ألن تحكي لي ما مررت به ؟!

نظري لي بعجز ثم قال :

- هي لا تريدني أن أحكي لك أيّ شيء !!.

حاولت أن أُهَوِّنَ الأمر فقلت بسخرية :

- لماذا أهي خائفة مني ؟.

وفي هذه اللحظة، وجدت الطاولة التي وضع فوقها الكمبيوتر المنزلي،تهتز في عنف شديد، وكأن شخصًا غير مرئي يحاول أن يحطمها، وهنا نظرت له بإشفاق وقلت :

- إذًا ما أخبرني به خالي صحيح، أنت ملبوس !!.

نظر لي نظرة زجاجية خاوية، ثم قال :

- خالك محمود أليس كذلك ؟.

صرخت بهلع متسائلًا :

- أهي من أخبرتك ؟!.

رمقني باستسلام عجيب ، وأجاب :

- إنك تحت نظرها منذ زمن طويل.

سَرَت في جسدي قشعريرة رعب باردة مع تصريحه، شعرت معها بالإختناق، وبأن الغرفة قد ضاقت عليَّ بما رحبت،فعرضت عليه راجيًا :

- هلم لنخرج إلى الخارج كي نتمشى قليلًا.

لم يمانع أو يعترض مما أثار دهشتي، بل وخرج معي بكل بساطة وعلى وجهه نظرة منكسرة لم أتخيل يومًا أن أراها على وجهه، من رأى وليد قبل عدة أسابيع بكل قوته وحيويته، كان سيشفق عليه كثيرًا لو رآه في هذا التوقيت وهذه الحالة.

تركنا المنزل خلفنا تُشيّعنا نظرات الأم القلقة، وبعد أن عبرنا الشارع في صمتٍ تام، وقف وليد أمام أحد المنازل الحديثة متسمرًا لدقيقة كاملة.

كان المنزل يقع في الحي الأول في العبور تحديدًا محلية 12 في الشارع الأيمن بعد المخبز البلدي، وهو الثالث من على اليسار، وتم دهانه بمزيج من اللونين الأخضر الزرعي والأبيض، وهو منزل مكون من أربعة طوابق.

وأخيرًا تنفس في عمق، ليزوغ بصره قليلًا قبل أن يقول :

- أنا أرى هذا البيت منذ كان صحراء جرداء ولا يوجد بموقعه إلا الرمال، أرى أيضًا مالك الأرض والمهندسين والعمال، وأعرف أنه تم بنائه في عام 2002م، ولا أذكر إن كان أخبرني باسم مالكه أم لا.

طفق بعدها يصف مراحل البناء، مرحلة مرحلة، ليتحرك بعدها مارًا بجوار المنازل التالية وهو يضحك، ليخبرني بتاريخ كل منزل على حده، ثم تعدى الوصف التاريخي ليخبرني بما يقوم به أهل كل منزل في الوقت الحالي، أو الموضوع الذي يتناقشون فيه.

قبل أن يستدير نحوي لِيَقُصَّ على مسامعي أسرار عائلية و شخصية تخصني، وبعضها لا يعلمها ولم يعاصرها غيري.

بل أخبرني بما كان يدور بيني وبين تلك الفتاة التي كانت قد حازت على قلبي وقتها .. نورهان، والتي هجرتني هي الأخرى بعدها، مما أشعرني بالفزع.

هنا قاطعني نجيب المنهمك في الكتابة على اللاب توب الخاص به ليتسائل:

- اتريد أن تخبرني أنه كان مستبصر، ويعلم الغيب مثلك ؟.

كنت أريد أن أنهي القصة لألحق بموعدي، لذا أجبته بسرعة :

- لا أحد يعلم الغيب إلا الله، ما أملكه أنا هبة من الخالق، أما ما كان يخبرني به، كانت تخبره به تلك الشيطانة التي لازمته في حينها، وأما

المعلومات عني، فقد كانت من القرين الذي يلازمني. فتلك الماردة التي كانت تسيطر عليه كانت قوية إلى درجة لا تصدق.

هَزَّ رأسه متفهمًا ، فأكملت :

- غاب عني بعدها وليد لعدة أيام، فقد ذهب فيها إلى عزاء ابن عَمٍّ له كان قد مات شابًا، وكان له موقف مؤسف هناك حكته لي أمه بعد عودتهم.

أخبرتني أمه أنه ظل على حالة من الصمت المطبق طوال الطريق، ولم تفلح معه كل محاولاتها لدفعه للحديث، كل ما كانت ترغب فيه وقتها، حسب قولها أن تشعر ولو لدقائق بأنه بخير، ولكنه أفشل كل محاولاتها.

وما أن توقفت السيارة المستأجرة التي استقلوها أمام منزل عائلة المتوفي، حتى هبطوا منها جميعًا، وما أن عبروا عتبة المنزل والذي كان القرآن يصدح بداخله، حتى سقط وليد مرتطمًا بالأرض في قوة، يتلوى جسده ممسكًا رأسه وكأنه سينفجر.

وكلما حاولوا أن يقيموه من [illegible] كان [illegible] ويسقط مجددًا وسط فزع الجميع.

وفي النهاية قام من تلقاء نفسه [illegible] صوب المقابر حتى وصل إلى قبر ابن عمه، دون أن يرشده أحد إليه.

وأمام القبر المغلق على ساكنيه، وقف يصف حالة جثة ابن عمه، وكيف لُفَّ في كفنه، وكيف وضعوه بداخل قبره، وكأن جدران القبر من زجاج شفاف وليست من قرميد.

وهنا قاطعني نجيب للمرة الثانية بسؤال عجيب :

- هل رآه والملائكة تحاسبه ؟!.

ابتسمت هذه المرة من أعماق قلبي، وكدت أطلق ضحكة عالية، منعتها من الخروج بصعوبة، إنه أخر سؤال من الممكن أن يخرج من فم لاديني، لايؤمن بكل هذه الأشياء..إنه ميراث التدين القديم دون شك والذي ما زال يشوش تفكيره واعتقاده، لذا فإنني أجبته بما لديَّ من علم وقلت:

- الملائكة كما وصل له علمي تَبُثُّ حولها أشعة فوق بنفسجية، لذا ليس لديه القدرة على رؤيتهم، على عكس الجن الذي كان يراه بسهولة وَيَبُثُّ حوله الأشعة تحت الحمراء.

أشار لي أن أكمل، وقد كان من الواضح أن إجابتي لم ترق له، فقلت :

- لقد أخبرني هو في حديثٍ تالٍ إنه كان يرى الجن على هيئة قط، أو على شكل إنسان قاسي الملامح، كما كان يرى تلك الماردة التي استعبدته، وكان يجلس ليتحدث معها كثيرا، وقد أخبرته الكثير من الأشياء عن حقائق الكون وأشياء وقعت ما قبل التاريخ المكتوب، وعن المخلوقات التي تسكن الكون حولنا، بعد أن قَطَعَت عليه قَسَمٌ غليظ، وَعَهْدَ طاعة، بألا يقص منها أي شيء لأي مخلوق، وإلا أصابه ضرر عظيم، وهو التزم بهذا القسم ولم يحنث به قط.

ما أذهلني وأثار فضولي هو دِقَّتَهُ في قَصِّ تاريخ الأماكن، فهذا كان بحر، وهنا كانت صحراء، وفي هذه البقعة كانت واحة ينعاء، وبئر ماء، هذا غير قدرته على تتبعها عبر الزمن فيحكي عن عُمَّارِهَا، حتى يصل بتاريخ المكان للوقت الحاضر، لقد جاب التاريخ كله، ولكنه لم يخبرني بما أردت أن أسمعه منه، فالأمر لم يكن بالبساطة التي نحكي بها هنا، ففي كثير من الأحيان كانت تجتاح جسده آلامًا عظيمة، وفي معظم المرات كان الدم ينزف من أنفه، وكلما طال الوقت طال الألم، وشعر بجسده يستنزف.

أما ما صدمني وعلمته فيما بعد ولم يستطع وليد أن يخفيه عني أن هذه المأردة لم تكن باللطف المتوقع، فقد كان جسده ممتلىء بآثار ضرب عنيف، وأثار تعذيب من كدمات وسحجات وندوب. فطبيعته المتمردة قد تغلبت على سيطرتها فلم يكن يطيعها طوال الوقت. فكانت تعاقبه بقسوة محاولة محو شخصيته، وتحويله لتابع لا إرادة له.

ورغم حالته لم يستسلم لها وليد في هذه المرحلة على الأقل ، فالعند معه لم يولد إلا العند ، حتى ولو كان ثمن هذا العند الضرب الوحشي .

ما لا يخفى عليك أني ضغطت عليه كثيرًا ليحكي لي ما يعرفه من أسرار كونية وتاريخ وصل إلينا مشوشًا أو مكان بعض الكنوز. ولكنه رفض أن يقص علي شيء ذو قيمة : أكثر مما قصصته عليك من تاريخ بعض الأماكن غير المهمة، وكان قلقه في هذه اللحظات ينبئ بمدى قوة وسيطرة المأردة عليه.

فهذه المأردة كانت قادرة على فعل الكثير ، فهي موجودة على قيد الحياة من قبل طوفان نوح عليه السلام بفترة طويلة كما أخبرني. وتحوز من العلم والمعارف ما لا يمكن حصره.

أما ما أثار قلقي بعدها فهو التطور المفاجيء الذي حدث لحالته. فور عودته من عزاء ابن عمه.

فبعدها أصبح أكثر نشاطًا وحركة، ولم يعد يعود لغرفته إلا في وقت النوم، وصار نهمًا وشغوفًا بكل ما يتعلق بعوالم الجن والأرواح.

وكانت أولى تجاربه في هذه العوالم هي المدرسة الإعدادية التي درسنا فيها. وكانت تدعى مدرسة مبارك، وتبدل اسمها بعد الثورة للشهداء، وكانت تقع في آخر محلية 12 بالعبور.

كنا قد سمعنا قصة قديمة عن أن المدرسة مسكونة، لأن هناك من قتل ودفن تحت أرضها، وأراد هو أن يتأكد من الأمر.

وبالفعل وفي منتصف ليل أحد الأيام، عبر سورها قفزًا، وهناك التقى بالروح الموجودة بالمدرسة وتحداها، وقهرها وطردها من هناك، وبالطبع كانت هذه الروح هي القرين الجني الذي كان يلازم القتيل، والذي لم يغادر مسرح الجريمة.

رفض بالطبع أن يخبرني بالتفاصيل، ولكنه أخبرني أن الماردة التي تصحبه كانت قوية ومرهوبة الجانب، فكان يفر من أمامها أيًا من الجن العادي، وهذا ما فعله القرين في النهاية.

بل وكان يتفاخر بأنه قادر على الحديث مع أي جِنّي وَرَدْعَه، حتى أنه قد زار في العبور ستة منازل مسكونة، وأخرج الجن منها مدحورًا بفضل قوة الماردة وصلته بالشيطان، وهي الصلة التي لم أفهمها إلا متأخرًا.

ظل على هذا الوضع لمدة شهرين، يرفض أن نُقَدِّمَ له المساعدة أو نذهب معه لزيارة أيًا من المشايخ.

ولم يكن هذا بإيعاز من الماردة بالطبع لأنها لم تكن تلازمه طوال الوقت، بل كان إعجابًا وانبهارًا بالقوى المُتَعَدِّدَة التي كان يحصل عليها من تلك العلاقة التي نشأت بينه وبين الماردة، لقد أتقنت لعبتها أخيرًا، وعرفت الباب الذي تستحوذ عليه منه، ولم تكن هي تبخل عليه بما يطمح له، فقد وصل به الحال إلى أنه كان يعرف ما تفكر فيه لحظيًا، بل وما تخفيه في أعماق روحك من معلومات وأسرار.

ولم يكن هذا دون ثمن، بل كان بثمن فادح.

فقد أعلن كفره الصريح.

وكان يُسَبِّحُ للماردة بما عَلَّمته من تعاويذ آناء الليل وأطراف النهار، بما كان يشبه الصلوات، سرًا وجهرًا.

وفي هذا التوقيت لم أستطع أن أستمر بجواره لأسباب متعددة، فقررت أن أُقلِّلَ زياراتي له وتواجدي معه.

كنت أخشى على نفسي من الفتنة والإنجراف معه، فوجودي بجواره أصبح مُزهِقًا وغير مريح لي أبدًا.

فكنت أضطر أيامها كي لا يعود لسلوكه العنيف معي للإنقطاع عن طقوسي اليومية من صلاة وذكر، وفي الأيام التي كنت ألازمه فيها كان يصيبني الوهن والمرض وأحيانًا الحُمّى.

كما أنني كنت أشعر طوال الوقت بأن هناك من يراقبني ويُحصِي عليَّ أنفاسي، وكان هذا الأمر يدفعني للجنون، فلم أكن أدرى متى ستغضب عليَّ هذه الماردة، وتقرر أن تَصُبُّ فوق رأسي جامٌ غضبها وأذاها.

وعندما بدأ يتوجه بالتعاويذ والصلوات للشيطان الرجيم نفسه، كانت هذه هي القشة التي قسمت ظهر تحملي واستمراري بالقرب منه، وكان قراري الذي لا رجعة فيه بالابتعاد عن طريقه.

وقبل أن أبتعد عنه حاولت بخبث أن أعرف اسم الماردة التي تُلازِمَهُ، ولكنه رفض لأن الاسم أهم جزء في استدعاء الماردة، ومن الممكن استخدامه في استحضارها، والقضاء عليها.

انقطعت عنه فانقطعت عني معظم أخباره.

وفي هذه الفترة عاشت أمه معه أيام أسود من قلب كافر، حتى شاب شعرها، وهزل جسدها، وتحولت لشبه جثة تنتظر فقط أمر الله لتغادر هذه الدنيا.

فعندما يَجِنُّ عليهم الليل يبدأ الهول، فينطلق وليد في التأوه والتألم والصراخ، وكأن هناك من يُمَزِّق أطرافه حيًا، كما أنها كانت تسمع صُرَاخَهُ مُمتزجًا مع صراخ أخر مجهول كان يُدَمِّرُ أعصابها، ورؤيتها لآثار الضرب العنيف على جسده كانت تزيدها مرضًا فوق مرضها.

طرقت أمه بهلعها كل الأبواب الممكنة طلبًا للمساعدة، واستعانت في رحلتها بكل أقاربها ومعارفها.

وبدأت الأمور تأخذ منحى مختلف عندما وصلت حقيقة ما يعانيه إلى عمه متأخرًا، وهو من الأشخاص أصحاب الشخصيات الكاسحة . والذي يُرْهِب جانبه كل أفراد عائلته، ولم يرفض له وليد أمرًا أبدًا.

أخذ عَمُّهُ على عاتقه مهمة علاج ابن أخيه الراحل، فأجبره على زيارة العديد من المشايخ المشهورين،الذين اتضح لهم في وقت لاحق كونهم نصابون ودجالون.

فما أن يقع بصر أحدهم على عيناه الغائرتين ويرون بريقهما المُخيف حتى يولون فرارًا، وكأنما رأوا الشيطان مُغلِبِيْنَ عجزهم عن علاجه، فالماردة كانت تتمسك بعلاقتهم وتحارب من أجلها.

وعندما سألته في إحدى لقاءاتنا عن طبيعة العلاقة بينه وبين تلك الماردة، هل هي علاقة عادية أم جنسية ؟ وهل هي تَهِيمُ به حُبًّا كمعظم القصص المماثلة، أم أن الأمر مختلف؟.

وساعتها ابتسم وأخبرني أن الماردة التي تُصَاحِبَهُ عجوزة جدًا، فقط هي ترغب في صحبته وتُعَوِّضَهُ بتلك القُدُرَاتِ الخارقَة، والمخيف أنه عندما لم يكن يطيعها، كانت تعتدي عليه بالضرب المُبَرح دون شفقة أو رحمة، وآثار الضرب هذه رأيتها بعيني، وكأن هناك من كان يضربه بمقامع من حديد، فأماكن الضرب كانت غائرة، ومليئة بالكدمات السوداء والزرقاء.

بالطبع لم يتوقف عمه عن المحاولة، فلا أب هناك ليتحمل المسئولية، وفي النهاية أجبره على الذهاب إلى الشيخ أشرف بإمبابة، وهو شيخ مشهور والكل يعرفه هناك.

وبمجرد أن وقع بصر الشيخ أشرف عليه، أخبره أن ابن أخيه ملبوس، ليس فقط من الماردة التي بدأت معه القصة كما عرفنا سلفًا، بل بكل جنيّ طارده، أو تحاور معه، وكأنه قد تحول لمخزن للجن، أو لمحطة استجمام لهم، وأن حالته قد تأخرت كثيرًا، وأنها تمثل له تحدي سيخوضه بأمر الله.

وعلى الفور تحرك الشيخ أشرف فأمرهم أن يغادروا المكان، وأمر مساعده أن يصطحبهم إلى شقة مجاورة لينتظروا فيها، وألغى كل مواعيده لهذا اليوم، وبدأ جلسة سرية بدأت من الثانية عشر ظهرًا، حتى الثانية عشر مساءًا دون انقطاع.

وطوال الإثنى عشر ساعة التي حدثت فيها الجلسة، ظل وليد فاقد الوعي بتأثير ما قرأه عليه الشيخ من قرآن كما اعتقدوا في البداية.

وما عرفته بعدها أن الشيخ لم يكن يستخدم القرآن فقط للعلاج، بل كان يستخدم جزء من السحر، وكان هناك خُدّام أقوياء من الجن، يقومون بمساعدته.

وفي النهاية تحرر وليد، ولكنه فقد جزء كبير من ذاكرته، ونسي اسم هذه الماردة المُخِيفَة، ومعظم الأحداث التي قَصَّهَا عليَّ والتي لم يَقْصُصْهَا، وعاد ليمارس حياته الطبيعية، ولممارسة طقوسه دينه من صلاة وصوم وقراءة القرآن، بعد أن هجرهم لفترة طويلة.

شفيَ وليد من المَسّ الذي أصابه، ولكنه بالطبع أصِيبَ بشرخٍ كبير في نفسيته، وفي ثقته في ذاته، وفي كل من حوله، وينتظر رحمة من الله ليستعيد حياته السابقة دون أن يعصاه.

***

انهيت من قصة وليد قبل موعدي المرتقب بثلث الساعة، وهو وقت كافٍ لألحق به، وإن كنت من داخلي أتمنى أن يتجمد الزمن ولا يتحرك، فحاستي تخبرني أن هناك كارثة تنتظرني.

وعندما هممت بوداع نجيب، ألقى على مسامعي سؤال أخير، بعد أن منحني كارت وَرَقِي يحتوي عنوانه وأرقام هواتفه، فقال بقلق :

- أما زال الهاتف يتردد في ذهنك ؟!.

لم أعرف لماذا كذبت عليه هذه المرة، وأخبرته أنه توقف، ونصحته بتوبة نهائية، فما زال أمامه فرصة، ولن يخسر شيئًا، لو أدّى طُقُوس وفرائض شرعها الله لعباده ،حتى ولو لم يكن مُقْتنِعًا بها.

فقط ليجد حجة عند الخالق، لو قابله قريبًا.

لا أعرف ماذا قرر بداخله، ولكني كنت متأكدًا من كونه قد اهتز من أعماقه بما سمع من قصص، أنقذ الخالق سبحانه وتعالي ضحايا لجأوا إليه في وقت شدتهم.

غادرت المكان الذي أصبح يحمل لي ذكرى سيئة، وسرحت أثناء قيادتي السيارة في حقيقة كل هذه الأمور المذهلة، فمشكلة الخوض في عوالم ما وراء الطبيعة، وعوالم الجن الغامضة، أن النتائج الملموسة لا تظل نتائج ملموسة طوال الوقت.

معظم هذه النتائج تتلاشى مع مرور الزمن، ومع غياب السبب الذي أدى للنتيجة.أو رفض من غَاصَ في هذا المستنقع ممارسة عادة البوح أو الفضفضة. لعهدٍ قطعه، أو لخوفٍ كامن.

والخلاصة أن كل هذه التجارب تُنَافِي التناغم البشري والفطرة السوية. إنها صخرة تعترض مجرى النهر الطبيعي، فإما أن يقوى عليها ويعبرها، أو تظل إلى الأبد هناك تُشَوّشُ مساره، وتُجْبِرَهُ على اتخاذ طرق أخرى غير ما رسم له مسبقًا.

ولكل تغير يحدث حكمة. ولكل نفس نتنفسه مدلول ومردود على حياتنا وحياة الآخرين. لم يخلق الله الكون عبثًا، ورحلتنا في هذه الحياة، كلمسة ريشة من فنان تكمل جمال اللوحة.

كنت أعرف أن هناك هدف أكبر وأعمق، من أن يكون هذا اللقاء مجرد لقاء عابر.

هناك حكمة دائمة موجودة في كل شيء، حتى في تساقط أوراق الشجر، ربما نغفل عنها ولكنها موجودة.

ربما لم أستطع أن أقنع نجيب بمنطقي، وربما تنتهي حياته في رحلة البحث دون أن يصل لشاطيء حقيقي ترسو فيه سفينته الحائرة، ولكنه لن ينكر أن الخالق العظيم، قد بعث له من ينذره، ومن حاول أن يريه أن في نهاية النفق ضوء.

ربما لم يكن من الموتى الأحياء، بقدر ما كان من الأحياء الموتى.

ربما.

والآن عليّ أن ألحق بموعدي، فهل أنتم مستعدون لمرافقتي ؟.

البرزخ

الرسالة

كنت في أسوأ حال، أحترق مثل لفافة التبغ التي في يدي، قلبي ينبض في قوة، وكأنه دخل سباق محموم مع موتور السيارة الذي يهدر بكل حماس، بعد ساعات من الموت الميكانيكي المؤقت.

عقلي يكاد يحترق من كل تلك السيناريوهات الفاشلة التي رسمتها في ذهني لطبيعة اللقاء، ولِمَن أرسَلَ ذلك المظروف الأسود المطلسم.

حاولت أن أصنع قائمة بخمسة أشخاص من الممكن أن يكون أيًا منهم قد أرسل لي هذه الرسالة.. خَفَّضْتُ العدد بالقائمة لتضم ثلاثة أشخاص، وأخيرًا لقائمة تضم شخصًا واحدًا.. دون أن ينجح عقلي المجهد في هذا الإختبار.

أقود سيارتي بذهن شارد، متمنيًا أن يأتي قضاء الله على شكل حادث لأتخلص من هذا الموقف العَصيب.

أنعطف لأدخل ذلك الشارع الذي وصفته الرسالة.. أشاهد على البعد شيخ وقور يشبه أبي، جعلني أتذكر أهلي الذين سأجلب لهم البلاء، لو خطوت إلى منزلي المُحَرَّم دون أن أقابل ذلك المجهول.

صورتي في مرآة السيارة تخبرني أني بحالتي المزرية هذه مُقبِل على كارثة، والحقيقة أنه ليس من الذكاء أبدًا أن أكون على هذه الدرجة من الإرهاق، وأخوض في هذا الأمر.

لابد أن أكون بكامل نشاطي ووعي، فاحتمالات الخداع كبيرة وواعدة، كما أن الغموض يحتاج لذهن مُتَّقِد ليتفاعل معه.

على كل حال لقد دارت الدائرة، وسبق السيف العذل، والسيارة قد وصلت إلى العنوان المشنوم.

حمدت الله أن المكان مجرد بناية أخرى من بنايات المعادي، وليس مكانًا مسحورًا مثل الرصيف تسعة وثلاثة أرباع الذي يقود إلى مدرسة السحر هوجورونس، فيجب عليَّ أن أعبر من خلال جدار لا يراه غير المختارون ، ليصلوا إلى القطار الذي سيقودهم صوب هدفهم النهائي.

ما أعتقده في هذا اللقاء المريب أن الجدار سيكون موجودًا لِيُحَطِّمَ رأسي، وقطار القدر لن يوصلني إلا إلى مصيبة. فثلاثة أيام من عدم النوم، ولقاء مع ملحد أو لاديني على وشك الموت، ومظروف أسود يحتوي على عنوان غامض كُتِبَ بالدم، وقصص مفزعة عن الجن والمردة. ذلك لَعَمْري يومٌ لا يتكرر، ولو انتهى بكارثة واحدة فأنا أكثر وغد محظوظ في هذه الدنيا..

ركنت السيارة بجوار الرصيف في مكانٍ خالٍ. بدا وكأنه حُفِظَ خِصِّيصًالها، خاصة وأن هناك سيارات تركن صف ثاني.

هبطت من سيارتي بسيقان متيبسة، وجسد مُرهَق، وذهن مكدود، فارتجف جسدي مع لسعة البرد ، التي أعلنت أخيرًا أنه فصل الشتاء.

انتزعت معطفي من المقعد الخلفي وارتديته على عجل، أغلقت باب السيارة ، واجهت الشارع بقلقي، فاستقبلني بظلامه وهدوءه.

وقبل أن أخطو خطوة واحدة، شَقَّ قلب الظلام نحوي، كتلة سوداء من الفراء تتوسطها أعين زمردية مُشِعَّة وشعر منفوش ومتوتر، سَدَّت عليَّ الطريق، وهي تُطلِقُ مُوَاءًا يشبه العويل.

كانت قطة سمينة متوترة، بدا وكأنها تدافع عن منطقة نفوذها، وذكرتني على الفور بتلك القطة السوداء، التي دأبت على ملاحقتي في تلك الفترة التي انغمست فيها حتى عنقي في صراعي مع الجني الذي تبعني من منزل خطيبتي.

انتابني شعور سيء حيالها، وسَرَت بجسدي رعدة باردة وتوترت أعصابي، كانت بداية سيئة، ولكنها لم تتخطاها لتكون شيئًا أكبر، فحاستي المشئومة أخبرتني أن القطة طبيعية ولم تكن ممسوسة، كما أنها لم تكن تَجَسُّد لِجِنِّي وغد آخر.

فقط كانت القطة تمتلك تلك الحاسة الفطرية، التي تدفع الفئران لمغادرة السفينة التي على وشك الغرق، وتدفع الكلاب للتوتر والعواء قبل ثورات البراكين وهَزَّاتِ الزلال المدمرة، حاسة الشعور بالخطر التي يتجاهلها أحمق مثلي أعماه الغرور.

كانت نذير يخبرني بطبيعة ما أنا مُقبِلٌ عليه، وأنني سائر إلى حتفي بحماقة أبطال الأساطير الاغريقية.

تركت القطة خلفي بعد أن شَيَّعتُها بنظرة لا معنى، ووقفت أرمق تلك البناية الأنيقة، والتي تتشابه كثيرًا مع مثيلاتها في ذلك الشارع الخالي من المارة من شوارع المعادي.

فحصت البناية ببصري متوقعًا أن أرى أيّ علامة تحذيرية أخرى، كبعض الوطاويط أو بومة سوداء، أو غراب ينعق بالخراب، أو ربما كائنات قصيرة القامة بأعين مشقوقة، وجلود مدبوغة، وذيول تتلوى كالأفاعي يتوعدون بخراب بيتي لو ولجت لداخل البناية. دون أن يلفت نظري أيّ شيءٍ غير طبيعي.

مجرد بناية أخرى. ما جعلها مميزة عن العشرات غيرها، مظروف أسود يحمل عنوانها الذي تسلمته في ظروف غامضة.

والآن ألملم روحي المبعثرة وأمسح عرقًا باردًا قد تجمع على جبهتي، وأعبر البوابة المعدنية الأنيقة التي أصبحت أهابها كبوابة جهنم.

البواب غير موجود في موقعه المعتاد، وهو شيء جيد فمظهري المتوتر سيثير الشكوك حتمًا، إن وجهي إعلان لجريمة ستحدث خلال دقائق. قد أكون فيها القاتل أو القتيل، وفي كلتا الحالتين أدرك جيدًا أني سأزعج البواب وأثير حفيظته.

المدخل تضيئة ثُريًا عملاقة مُشِعّة بالضياء، تزيد المكان أناقة ورهبة.

رخام المدخل يعبق برائحة الديتول والنظافة. وهي رائحة مُنفِرة تُذكِّرني بجو التعقيم في المستشفيات، وهو شعور غير حميمي بالطبع، خاصة وأني قد زرت المشرحة من قبل، وكادت تصرعني قوة الرائحة.

قطعت عدة خطوات صوب المصعد، وأنا أتلفت حولي كاللصوص، وهو توتر مُبالَغ فيه مع جهلي بما ينتظرني.

إن جسدي يتشرب بجشع تلك الطاقة السلبية التي تُفعِمُ المكان.

وأمام المصعد كان ينتظرني هناك قِطٌّ آخر، بصحبة طفل نحيل سَمج، له نظرة باردة أكثر من اللازم جعلتني أكرهه على الفور، وأتردد في التقدم.

تبادلنا النظرات الكارهة لبرهة، وبمعجزة تغلبت على نفوري وحثثت قدماي المتخشبتان على التقدم صوب باب المصعد، الذي ما أن وصلت إليه حتى سمعت الرنة المميزة لوصوله الطابق الأرضي، لينفتح الباب تلقائيا، وكأنه كان ينتظر وصولي.

سبقني الطفل السَمج وتبعه قطه الشيرازي إلى الداخل، وقبل أن أضغط على زر الطابق السابع مَدَّ الطفل أصابعه الصغيرة، وابتسم ابتسامة لزجة وهو يضغط زر الطابق المطلوب في سماجة، ليبتدرني قائلًا :

- عمو إنت طالع عند طنط انتصار.

تردد الاسم في عقلي دون أن يجد له أيَّ صدى في ذاكرتي، إلا خبر قرأته في إحدى الجرائد ذات يوم، عن زوجة جزار، تزوج زوجها عليها، فقتلته وأكلت كبده، وأحرقت قلبه قبل أن تصل لها الشرطة. وبالطبع لم أنتظر استطراده فقلت وباب المصعد ينغلق خلفي تلقائيًا:

- أنا لا أعرف أي طنط انتصار أيها الصغير؟!.

منحني ابتسامة خبيثة لو رأيتها لَكَرِهتَ كل الأطفال، ولامتنعت عن الإنجاب، هذا لو قررت الزواج من الأساس. قبل أن يقول :

- ولكنها تعرفك، ولذلك أنتظرك هنا مع قطي فارس.

تطلعت حولي بحثًا عن القط الضخم الذي أختفى من المصعد دون أن يترك خلفه أدنى أثر، وقبل أن أعلن دهشتي، أعلن القط مرة أخرى عن

وجوده بمواء يشبه العواء وهو يتجسد بين ذراعيه ذلك الطفل المقيت، وكأنما نبت من العدم، بطريقة أجفلتني وروعتني وجعلتني ألعن فيها اللحظة التي دلفت فيها إلى المصعد، الذي أخذيضيق على روحي .

ومع ابتسامته السمجة، التي كادت تدفعني لسحق رأسه لأتخلص منها، أيقنت أن القط والطفل يهزآن بي.

وأنا لا أستحق السخرية فقط، بل أستحق الصفع، فأنا من زججت بنفسي في هذا الفخ المعدني المغلق.

وبكل ما يداخلني من قلق أطلقت زفرة حارة، وتابعت ببصري المصعد الذي كان يقطع الأدورار السبعة صعودًا بأزيزه الرتيب الممل، فبدا وكأنه يحتاج لألف عام ليصل، قبل أن يقطع الصمت صوت ذلك الطفل المُقرِف قائلًا :

- أخبرتني طنط انتصار أنك مُخيف، وأنا أحب الأشياء المخيفة، فهل تحبها مثلي؟.

استدرت لأجيبه في نفس اللحظة التي أعلن فيها المصعد برنته المميزة عن وصوله للطابق السابع، وعندها وقف شعر جسدي وتوترت غددي الدمعية وكنت على وشك البكاء، عندما وجدت نفسي وحيدًا بقلب المصعد، الذي خلا من البشر والحيوانات، مواجهًا لمرآته الداخلية التي لم تعكس إلا وجهي المتقع وخيبتي الثقيلة.

ولا أعرف لماذا تذكرت وجه نجيب الشاحب وهو يسألني عن الهاتف في هذه اللحظة، وصوت الطفل الرفيع يتردد بداخل رأسي :

- وأنا أحب الأشياء المخيفة، فهل تحبها مثلي ؟

وقفت مشتتًا للحظات كاد فيها باب المصعد أن ينغلق ليعاود هبوطه، فاندفعت نحوه متفاديًا حافته التي تشبه المِقْصلَة، وعبرته قبل أن يحشرني بين دفتيه، وهرعت صوب الردهة التي تقود إلى أبواب الشقق المختلفة، وأمام الباب الذي حمل رقم غريب، تسعة وثلاثة أرباع – هل أنا أهلوس - وجدت الطفل ومعه قطه الشيرازي ينتظراني قبل أن يقول بسماجة:

- سبقتك ياعمو، أليس مخيفًا أن يسبق طفل مثلي شخص بالغ مثلك؟!.

راجعت كل قواميس السباب بداخلي، محاولًا أن أنتقي منها، ما يمكن أن يصيب طفلًا مثله بسكتة قلبية، ورغبتي في مغادرة المكان تصل لأعلى منحنى لها.

لقد أفزعني هذا الطفل السمج إلى درجة لم أختبرها من قبل، لقد أصبح لوجوده رهبة ووقع شديدين على نفسي، وأيقنت بما لا يدعُ أيّ مجال للشك، أن هذه البناية يسكنها ساحر قدير، أو لنقل ساحرة، ولها اسم سخيف وهو انتصار، ولديها ابن أخت مخيف أكثر من الأشياء المخيفة التي يحبها.

قشعريرة باردة أخرى سَمَّمَت جسدي، صَخَبٌ ودَوِيٌّ بداخل عقلي يكسران جمود الصورة التي بدأت تتكون أمامي.

الموقف الآن مُعقد ومُرهَق، فهناك باب غامض مغلق، طفل مخيف، قط يدعى فارس يرمقني في شهوة وكأنه على وشك التحرش بي، مظروف أسود عجيب يسكن في جيب بنطالي الخلفي، أدركت الآن فقط أن الحبر الأحمر الذي كتبت به كلماته هي دماء، وربما تكون بشرية أيضًا.

وبقلب واجف ومضطرب كان عليّ اتخاذ القرار، أو لأحذف النقطة وليكن الفرار.

واجتاحتني حالة من الدوار وعدم الاتزان، ظهرت جلية في حديثي الصامت مع نفسي.

كم أنت أحمق يا أحمد، هل صَدَّقتَ فعلًا أن صلتك بهذه العوالم انتهت، وأن أذاها وخطرها بعيدان عنك.

كفاك حماقة لا تكن مثل من يؤلف كذبة ثم يصدقها، هل تظن حقًا أنك تركت تلك العوالم منذ عام كامل، واكتفيت منها فقط بالآثار الجانبية كالتنبؤ بالموت.

الحقيقة جلية كالشمس، فلا تحاول طمسها بكل حماقة، أنت غارق حتى أذنيك في ذلك المستنقع الأسن، وتحتاج لمعجزة حقيقية تنتشلك من هذا الكرب.

وإلا أخبرني حقًا..ما الذي يدفعك الآن لخوض مغامرة مماثلة لو كنت مُوقِن أنك نجوت من شِرَاكِهَا ؟!

ماذا عن تلك الرؤى المزعجة التي أصبحت تزورك في نومك ويقظتك، وتلك العجوز قبيحة الشكل التي لم تنفك تظهر لك آناء الليل وأطراف النهار، والتي تُغفِلُ ذكرها دائمًا، وكأن عدم ذكرها سينفي حقيقة وجودها.

ماذا عن تلك الأفعى التي تأتي كل مساء بعد زيارة العجوز لتتلوى وتلتف حول نفسها، وترسم بجسدها ما يشبه حبل المشنقة، أم هو حبل المشنقة بالفعل الذي سنتزع روحك من جسدك.

هل قادك لخوف من عقاب محتمل لو تجاهلت الدعوة لهنا، أم هو الفضول ؟

لماذا أخفيت تفاصيل كثيرة من قصتك عن نجيب ؟ ولماذا من الأساس قابلت من هو مثله ؟.

الحياة لا تخضع للمصادفات مهما كانت عشوائية. الحياة لعبة بازل كبيرة ولكنها تحتوي على ملايين الصور، متى أكملت إحداها كَشَفَت لك جزءًا من اللغز، وفتح لك باب للمعرفة. فهل كل الأبواب آمنة ؟.

بدا لي أني سأظل في مكاني إلى الأبد أُحَدِّثُ نفسي مستهلكًا المزيد من الوقت، متجاهلًا نظرات الطفل الباردة، مثبتًا بصري على الباب المغلق المريب.

حين سمعت الصرير.

صَوَّبتُ بصري نحو الباب الذي انفتح على مصراعيه. لا يمكن لباب مماثل أن يُصْدِرَ هذا الصوت المزعج.

ربما هي حيلة أخرى لإثارة ذعري، وكأني على هذا القدر من الأهمية!!.

الحقيقة الآن أني أشبه السوستة المعدنية المضغوطة، لو زاد الضغط قليلًا لانفجرت في كل شيء. لا أحتاج لأي إضافات أو مؤثرات لأظهر أسوأ مما أنا فيه.

شقَّ الصرير من جديد المكان.

لفح وجهي تيار من الهواء البارد كاد يجمد بشرتي.

وظهرت هي ككارثة محققة، بملابسها السوداء الطويلة، وأصباغها الداكنة التي منحتها مسحة قوطية مخيفة، وكأنها حاصدة أرواح.

كانت ثقيلة الحضور، ذات مهابة، ولها كاريزما مخيفة، وكأنني في حضرة ملك الموت ذاته.

وكالمُغَيَّبِ أخذت أتفرس في وجهها الغريب الذي لا تستطيع أن تحتوي ملامحه القوطية بسهولة.

أسرتني نظرتها المغناطيسية الثقيلة، فتلاحقت أنفاسي، وكأن مجرد النظر إليها يحتاج لبذل مجهود خُرَافي.

أنفاسي تتلاحق.. نبضي يتسارع.. عيناها تغوصان بداخلي لِتُكَبِّلَني.

وساعتها فقط أدركت أن الطفل السمج يحمل نفس عيناها.

وأن تلك العينان مخيفتان جدًا.

وأن وقت حذف النقطة قد حان.

وأن الفرار برغم يقيني هو أسلم قرار، فهذا الوجه وهذه الملامح لن تحمل إلا الشر.

أبواب

- في موعدك تمامًا كما توقعت، كم أعشق الرجل الذي يحافظ على مواعيده، فهذا النوع من الرجال تستطيع أن تثق به وتسلمه نفسك دون تردد.

نظرت لها بدهشة، وأنا أحاول هضم كلماتها، متجاهلًا ذلك التحرش اللفظي في عبارتها، قبل أن أقول:

- من أنتِ ولماذا تنتظريني، ومن أين تعرفيني من الأساس، ولماذا كل هذه الألعاب الشيطانية السخيفة ؟!

انطلقت ضحكتها مجلجلة، ليتردد صداها في المكان قبل أن تقول :

- وهل تصلح مثل هذه الأحاديث على الأبواب، تفضل بكامل إرادتك واعبر بابي، وَصَدِّقْنِي ستجد بالداخل إجابات شافية ووافية لكل ما أزعجك.

بان على ملامحي الهلع والتردد، فاستطردت قائلة :

- هل ستدخل أم ستظل على قرارك وتحذف النقطة.

يا إلهي إنها تقرأ أفكاري،

كان الأمر فوق الإحتمال بالفعل، وإن كان متوقعًا فأنا في حضرة ساحرة أريبة، كل الشواهد تدل على ذلك، تجسيد كامل للشر الواثق من نفسه وقدراته، الشر الخام المستهتر الذي لا تضمن معه دقيقة تمر عليك.

وقفت أمامها أرتجف، فَحُسْنُهَا كان من ذلك النوع المرعب الذي يثير جنون الرجال، فهي جميلة إلى درجة تجلب الذعر، مثيرة إلى درجة الهلع، آسرة كالموت، ومخيفة كأيامي القادمة.

أما ما كاد يوقف قلبي عن النبض، فهو ذلك الضوء الأحمر المُشِعّ الذي تسلل عبر الباب، ليتبعه ضباب داكن تحمله ريح باردة ليغزو الممر من داخل الشقة ويسري إلى عمق المكان، في نفس التوقيت الذي أنهت فيه جملتها السابقة، وكأن هناك مُخْرِج عبقري يُخرِج المشهد ويُتقِن فن المؤثرات البصرية.

أطلقت شهقة مكتومة، وأنا أتراجع خطوتين للخلف كي لا يبتلعني الضباب الذي استحال كله إلى اللون الأحمر، وأنا غير مصدق ما أمر به، فكل هذا حدث وأنا لم أعبر الباب بعد، فماذا لو عبرته ؟!

وهنا أتت الإجابة الصادمة من شفتيها :

- لن تعرف الإجابة إلا لو عبرت، ولو عبرت لاحترقت بنار المعرفة، ولن يظل بابي مفتوحًا للصباح، إنني امرأة وحيدة وأحب أنا أحافظ على سمعتي، وأكره إزعاج جيراني.

قالتها بصوتها العابث الماجن، وهي تُطلِق ضحكتها المثيرة، التي أثارتني من الداخل، وحولتني لمراهق من جديد، لتستدير هي بعدها وتخطو داخل الشقة بعد أن منحتني نظرة لا يخفى معناها عن شاب مثلي، ليتبعها الطفل ومعه القط الشيرازي الذي رمقني هو الآخر بشهوة غريبة.

ووراءهم انسحب الضباب الأحمر، وكأنما هناك مضخة عملاقة تسحبه، وتجبره على العودة إلى داخل الشقة.

لو كان ما أخوضه الآن هي مشاهد من فيلم رعب واقعي، لَصَفَّقتُ للمخرج حتى تورمت أصابعي وَكَلَّت يدي.

إن قلبي يكاد يتوقف بالفعل.

غابت تلك الحسناء المخيفة، ومعها غاب عن روحي تأثيرها وسحرها. وتركتني وحيدًا خلفها أسب وألعن حماقتي، وأنظر إلى الباب الموارب برعب.

الباب الذي أعرف جيدًا أني أملك من الحماقة ما يكفي لعبوره.

غَلَّفَ الصمت المكان، وبداخلي كان هناك ضجيج هائل من تصادم الأفكار، ومخلفات احتراقها.

ولدقيقة كاملة وازنت الأمر في رأسي، وأيقنت أن كل ما يحدث عبث.. بل عبثٌ مُكَثَّف، وعليّ الآن أن أتخذ قرارًا حقيقيًا..فرار أم بقاء.

وهنا دَوَّت الفكرة المُرعِبَة في رأسي بعد أن اكتسبت الأمور منطق كاف، فمن يستطع أن يصل لغرفة نومي ويضع مظروف الدعوة، ويقدر على إخفاء طفل من قلب مصعد مغلق وإظهاره في طابق أعلى، وقراءة أفكاري ببساطة، كما تحمل شقته رقمًا سخيفًا كان كامنًا بين تلافيف عقلي، ويعبث بالضباب والضياء بهذه المهارة، هو شخص قادر على فعل كل شيء، والخطر لن ينقشع بالهروب منه. لأن من يملك هذه القدرات قادر دون شك على ايجادك، ولو عدت مجرد نطفة في رحم أمك.

القرار الصحيح هو خوض التجربة، وتجاهل كل هذه الألعاب الصبيانة التي لا تمثل إلا وسيلة ساذجة لفرض السيطرة.

كان منطقي يلتهم بعضه، ولكني كنت قد اتخذت القرار بالفعل، فسحبت نَفَسًا عميقًا أطلقته في ضيق..

نظرت لرقم الباب الغريب، وإلى الباب الموارب، دفعته ودخلت وقلبي يكاد يثب من حلقي، ليصدمني الظلام الدامس للحظة، قبل أن ينفجر في وجهي شلال من الضياء.

وهنا خفق قلبي بشدة، واعتصرت عقلي قبضة يابسة، فأمامي ظهر باب الشقة الذي عبرته منذ لحظات، وكان يحمل الرقم الموجود في الرسالة، الرقم ستة وسبعون.

هل يعني مجموع الرقمين شيئا ؟!.

ليكن، لا أعتقد أن الأمور ستسوء أكثر مما هي عليه.

دفعت الباب ودخلت، وليتني ما فعلت.

***

هذه المرة انفتح الباب الثاني تلقائيًا - أم نقول الباب الأول وأضع كل ما مر بي منذ ولجت إلى هذه البناية في سَلّةِ الأوهام لحين انكشاف الأمور- لن أقرر الآن على كل حال.

المهم أن الباب الثاني انفتح على مصراعيه دون أن يظهر على عتبته أي شخص، وكانت كل الإحتمالات تثير الهلع.

لو كان المكان مهجورًا وقاطنيه من الأشباح أو الجن فهذا مُخيف طبعًا، أما لو كان هناك من يتوارى في الداخل ويراقب عبر كاميرات مُخفَاة بمهارة فهذا يثير القلق من نواياه، بينما لو كان كل ما يحدث وهم وأنا فوق

فراشي نائمًا يعابثني قريني، فلن تكون سابقة أولى، وستكون أقل وطأة على روحي.

كل الاحتمالات كانت مطروحة، ولهذا لم يدهشني رد فعلي، عندما دخلت دون تردد، كان الحرف كاملًا بنقطتيه.

قاف وليس فاء.. القرار وليس الفرار..

عبرت الرواق إلى صالة مضاءة بضوء أزرق مريح، الصمت التام يغلف كل شيء، لا أثر لقاطنيه كما أخبرتكم.

الفحص الأولي للمكان أراح قلبي إلى حَدٍّ ما، فهي مجرد شقة عادية أنيقة بها أثاثٌ راقٍ موزع بحرفية ليحافظ على المساحات الفارغة في تناغم مع الإضاءة الرقراقة.

كوب من سائل رائق أزرق موضوع بأناقة على منضدة في مواجهة الداخل يدعوني لتناوله في لمسه حميمية.

فهل أجسر؟

قدماي تتحركان عبر الردهة والصالة وغرفة الإستقبال، عيناي تمسحان كل شيء كعينا مخبر متشكك..

المكان مُعْتَنَى به جيدًا وصالح للسكن، والنظام ينفي وجود أيِّ أطفالِ صِغار، فأين ذهب الطفل السمج وعمته الفاتنة اللعوب ؟.

لا شيء غريب إلا عدة تفاصيل لم أكن لأعطيها أي أهمية في ظروف مختلفة.

ففي صدر غرفة الاستقبال كان يقبع مقعد ملكي عملاق يشبه العرش حفرت مقابض أذرعه على شكل جماجم ذات أنياب حادة، وَزُيِّنَ مَسنده بنقشٍ مُمَاثِل لجمجمة ضخمة ذات مِحجرَيْنِ فارغين ينبضان بالحياة بطريقة مُنَفِّرَة.

ساعة الحائط الأثرية التي تشبه القلعة متوقفة عند العاشرة مساءًا، وهو توقيت حضوري، وربما لهذا أيضًا مغزى لم يصل له عقلي بعد.

ستائر ثقيلة قديمة الطراز تحجب أي مصدر خارجي للضياء، لا أعرف إن كان خلفها نوافذ أم لا!.

المرآة الكبيرة في الصالة تبدو كلوحة لمرآة أكثر منها مرآة حقيقية، فلا يعكس سطحها أيًا من تفاصيل المكان، فقط تتألق كنهر من الفضة الرقراق ذاتي الإضاءة.

وأيضًا هناك ساعة رملية بداخلها رمال داكنة مُشِعَّة، موضوعة باهتمام فوق منضدة زجاجية، وضوئها يخطف البصر..

المكان برغم أناقته وطرازه الحديث، يمتاز بلمسة قوطية مُخِيفَة، تشي بطبيعة قاطنيه أو ثقافتهم، وهذا شيء لا يدعو للتفاؤل قطعًا.

وأخيرا الصمت المُقبِض، الذي لا يقطعه إلا صوت تنفسي وكأنني أضع على أذناي كاتمان للصوت، مع شعور عارم بالغثيان، وكأنني أركب البساط الطائر في الملاهي، للحظة شعرت بالحيرة، وأنا أقاوم هذا الغثيان، لم أكن أعرف إن كنت أملك الحق في التجول في المكان أم لا !!

لذا جلست كطالب قَلِقْ فوق المقعد المواجه للرواق الذي يفضي لباقي غرف الشقة، فتعلق بصري بالجمجمة رائعة التصميم المنقوشة على ظهر مسند العرش، ولفت نظري دقة صُنْعِهَا وفكرت :

هل ستكون جمجمتي بهذه الروعة بعد موتي القريب؟

لا أحتاج لهاتف يخبرني بموعد موتي، فالمكان مُشبَّع برائحة الموت، وهي رائحة لا تخطئها أنفٌ خبيرة كأنفي..

أن مصيري محتوم فالعبث مع الجن، لن تكون له نهاية مختلفة.

الدقائق تمضي.

توتري يزيد، ومعه عطشي، وجفاف حلقي..

ذهني شارد دون تفاصيل، والمكان يزداد برودة.

دقائق أخرى يلتهمها عقربا الزمن.

شعور رهيب بالعطش، يتبعه إحساس عارم بالإرتواء.

كأس المشروب الأزرق المريب فارغ في يدي !!.

متى أجهزت على ذلك المشروب الأزرق ؟!

لا أعرف !!.

كل ما أذكره، هو تلك النكهة التي هي مزيج من الريحان والزنجبيل، مع مرارة عجيبة كالعلقم تعبق فمي.

حالة عجيبة من الخِدرِ تغزو أطرافي، وسحابة من الوهن تلف عقلي.

هل سأستسلم لإرهاقي، وأنام في هذا المكان الغريب ؟.

المزيد من الدقائق والخِدْر.

أيُّ حماقةٍ أجبرتني على احتساء ذلك المشروب ؟.

لا طاقة بداخلي الآن لاقتحام المكان وتفتيشه. فالمشروب يسيطر على كل حواسي.

ومع هذا الصمت القاتل أدركت أنني الوحيد الموجود في هذا المكان المريب.

وربما القاتل المُحتَرِف المكلف باغتيالي، سيأتي بعد دقائق عبر الباب، أو النافذة، ليُتِمَّ مهمته، ويرسل روحي إلى الجحيم، وكل ما أرجوه ألا يتأخر.

الضوء الأزرق مريح، ولكن التفكير ليس كذلك. عقلي لم يتوقف لحظة عن التفكير ومُقَاوَمَةِ الخِدْر..

وكنوع من التسلية بحثت ببصري عن وسيلة خفية، أو آلية كهربية تساعد مَن بالداخل على التحكم في فتح وإغلاق الباب، ثم تَفَحَّصتُ السقف بحثًا عن كاميرات كامنة أو ظاهرة دون جدوى.

ناديت على انتصار وابن أخيها بل وعلى القِطّ المُريب فارس.

وأخيرًا أخرجت المظروف من جيبي، وتصفحت محتوياته.

الأمر حقيقي إذن، الدعوة والمكان، ووجودي هنا.

فمتى يكشف المكان عن أسراره ؟.

المارِدة العجوز

متى بدأت الأمور تسوء ؟!

بالطبع عندما صعقت أذناي تلك الكلمة التي ترددت عبر كل شيء في المكان، فنبعت من الهواء، والجدران، والأثاث، والساعة الرملية، والجماجم، ومن داخلي كذلك. وكأنها صدى لشيء عظيم، أبدي، سرمدي، خارق، لا يمكن عصيانه أو مماطلته.

- اركع.

دَوّت الكلمة في المكان بقوة أكبر فصَنَعَت بداخلي شرخًا نفسيًا كبيرًا، وكأن هناك من شطرني نصفين بنصلٍ بارد، ليترك على روحي أثر مؤلم كحرق كيميائي لا يمكن معادلته.

وبدون إرادة مني وجدت جسدي يرتجف، وينتفض ،ويسيل عرقه، قبل أن يطوي الوقت، والمكان، ليتجسد راكعًا أمام العرش ذو الجماجم بوسيلة مجهولة.

رنوت نحو العرش بأعينٍ تكاد تقفز من مِخجَرَيها دهشة، وأنا أشاهد تلك السحابة الكثيفة من الدخان الأسود تخرج عبر لُجَيْنِ المرآة، التي تماوجت بداخلها شرارات زرقاء عجيبة، مع ضجيج هائل وحرارة مرتفعة، شعرت معها بأن المكان كله يحترق، وبأن بشرتي على وشك الإنصهار.

بصري يكاد يضيع من دوامة الأضواء الدخانية، التي أجبرتني على غلق عيناي بكفَّاي.

المكان من حولي تنهار تفاصيله، وتتبدل، وتتغير بسرعة تُدِيرُ الرؤوس، وكأنني بداخل أحداث فيلم (Inception) للعبقري كريستوفر نولان، إلا أن تبدل المشاهد هنا كان عنيفًا وعشوائيًا.

لم أفهم ما يحدث.

لقد اعتقدت للحظة أن كل شيء كان يخرج من قلب المرآة، ثم انتبهت إلى أن المرآة كانت تسحب بداخلها كل محتويات المكان، كثقبٍ أسود جشع.

فقدت اتزاني للحظة مع عنف الاهتزاز ،وكاد جسدي يُسْحَق بفعل موجات الضغط العاتية، ومع غياب الهواء شعرت بروحي تُزْهَق.

استمر الأمر لدقيقة كاملة بدت لي كالأبد.

غاب وعيي لوقتٍ غير معلوم شعرت معه بأن جسدي يتفكك إلى ذرات ملتهبة تسبح عبر الأثير وتتخطفها مخالب حادة، قبل أن يسحق وتضغط جزيئاته ليعود بعدها إلى سيرته الأولى، مانحًا لروحي ألمًا لا يطاق.

وعندما استقر الوضع قليلًا، شعرت بالاختناق، فشهقت بقوة لأجبر رئتاي على العمل، وعندما استجابتا لمحاولاتي، انطلقتُ أعُبُّ الهواءَ البارد إلى أن ملأت به صدري، وقد نشبت في جسدي رماح الخوف والألم.

غلف الصمت المكان من حولي، فشعرت بقلبي ينقبض.

فتحت عيناي على المكان الذي كان منذ لحظات شقة أنيقة في أحد البنايات بأحد أحياء المعادي، لأجد نفسي بقلب قبوٍ كئيبٍ مُظلِمٍ تضيئه شمعدانات مخيفة على شكل جماجم معلقة في فضاء المكان، يتوسطه العرش الذي غرق وسط أعصار من الدخان الأسود.

وقبل أن أستوعب ما يحدث، هاجمتني عشرات من المخالب المنتهكة التي أجبرتني على المزيد من الإنحناء أمام العرش.

شعرت بِخِدْرٍ وضعف، وتلك المخالب الحادة تعتصر جسدي وتمتص قوته. وبأعماقي دَوَّى همس ثقيل بلغة لا أعرفها، ولكني أفهمها جيدًا:

- اركع أيها العبد.

ومع تدفق الأدرينالين في جسدي، شعرت بأن عروقي ستنفجر، وهطلت دموعي بغزارة رُغمًا عني، لتمحو قليلًا من جفاف عيني.

شهقت فتسرّبت الأدخنة الخانقة لرئتي، وأدركت أن الموت قاب قوسين أو أدنى مني.

والغريب أن كل ما كان يشغل عقلي هو تساؤل واحد:

لماذا بذل من يريد قتلي كل هذا المجهود لإتمام الأمر؟.

لو صدمني بسيارة أو قطع تيل الفرامل، أو طعنني بسكين أمام منزلي لما تكبد كل هذا العناء الذي لا أستحقه، ولما ترك خلفه أدنى أثر.

دقيقة كاملة من المعاناة مَرّت كألف عام قبل أن يتلاشى الدخان والحرارة والضجيج وتلك المخالب المُكَبِّلَة لحركتي، لأجد نفسي مازلت راكعًا متكورًا على نفسي أمام تلك المومياء الحية، التي ظهرت من قلب الظلام لتستوي بكل غرور، فوق العرش العملاق الذي احتوى جسدها النحيل، حاجبة عن عيني مشهد الجمجمة، الذي يعتبر شكلها فاتنًا مقارنة بما أراه الآن.

رفعت رأسي نحوها بصعوبة، وذلك الخِدْرُ مازال يُكَبِّلُني.

اصطدم بصري بحذائها الجلدي اللامع، وأطراف ردائها الأزرق الطويل، قبل أن أرفع بصري عبر الخِصْرِ النحيل إلى الصدر الضامر. فالوجه المُجَعَّد شديد القُبح.

تجسيد كامل للبشاعة والقبح في شكل أنثى، النقيض التام لانتصار الفاتنة التي قابلتني منذ دقائق تبدو كالدهر على الباب رقم تسعة وثلاثة أرباع، والتي لو قابلتها في ظروف أخرى لَهِمْتُ بها عشقًا.

وجه هَرِم قبيح مُتَغَضِّن لعجوز، ربما تركها ملك الموت لأن الموت لن يجد فيها ما يحصده، كانت تشبه جثة مُجَفَّفَة، بشعرها الليفي ووجهها المجدور وعيناها المشقوقتان طوليًا كالأفاعي، والشيء الأغرب أنها كانت تضع ما يشبه تقويمًا صناعيًا للأسنان بين شفتيها الضامرتين.

شعرت بالخوف والحيرة معًا، فالأعين المشقوقة للجن، بينما تقويم الأسنان للبشر، وهذا المزيج المُنَفِّر يعجز العقل عن استيعابه.

لو رَكَنَت للتقويم فهي ساحرة بشرية تضع عدسات زائفة أيضًا، لِتُكمِلَ مسرحيتها، وتأثيرها النفسي المخيف.

حاولت أن أرفع جسدي لينتصب، ولكنه أبى برغم شعوري بالتحرر الجزئي من تلك المخالب التي جعلته يركع، ولم يستجب لي إلا عندما رَفَعَت إصبعًا مخلبيًا مُزَيَّنًا بطلاء أظافر أزرق داكن إلى أعلى.

ماسر اللون الأزرق في ثوبها، وأظافرها، وفي إضاءة الشقة التي تركتها خلفي؟

لا أعرف، وربما أيضًا لن أعرف أبدًا، فمع كل ما يحدث أعتقد وبدون شك أني أعيش لحظاتي الأخيرة.

فلا شيء مما يحدث حولي يوحي بمصير مختلف، ولقائي هذا هو لقائي مع الموت أو مَن سيأخذني إلى هناك قريبًا. لقد قضى علي فضولي وخوفي، وهي نهاية مُتوَقَّعَة على كل حال.

الظلام من حولي مُريع، ومشهد الجماجم مع الرائحة النفَّاذة الواخزة، وتلك العجوز المُقرِفَة، يؤكد لي أن قواعد اللعبة ستختلف هذه المرة نهائيًا.

حاولت أن أتكلم فتلجم لساني ولم يتحرك، وإن عملت أذناي بشكل أكثر جِدَّة، وأنصتت للصوت المُخيف، ذي اللكنة غير الواضحة :

- لا يوجد عبد يتحدث أمام ملكته، إلا بعد أن تأذن له.

كان فمها يتحرك، ومع مشهد أسنانها [illegible] شعرت بالغثيان بعود أقوى وأشنع.

هل هو مُقوِّم أسنان بالفعل ؟!.

لماذا إذن يتغير شكله من لحظة لأخرى ؟.

عُصَارَةُ معدتي تتصاعد دون رأفة [illegible]

نظرت نحوها بغير فهم، فحَرَّكت إصبعها المخلبي، وقالت :

- الآن أمنحك إذن الكلام، ولكن لا أمنحك الأمان، فالكلمة تعني الموت أو الحياة، فلا تُهدِرْهَا.

شعرت بعجزٍ وقتيّ عن الكلام، وبخوف غريزي، مع تجمُّد كامل وكُلّي لقدرتي على الرد أو اتخاذ أي قرار.

شيءٌ ما خَفِيٌّ كان يُكَبِّلني، شيئًا لم أعهده من قبل !!.

إن ما أختبره هنا يختلف عن كل ما مر بي من قبل، أنا هنا طالب فاشل خذله علمه وحدسه، وغاص في مستنقع الجهل حتى الثمالة.

طال صمتي، فعاد صوتها ليرج المكان كرنين أجراس الكنائس:

- أنت هنا بالطبع لسبب، وهو سبب وجيه جدًا، وكَبَّدَني المَشَقَّةَ والعمل، وعندما تعمل المَلِكَة، لا تتوقع إلا أن تحوذ المكسب المناسب، والذي يرضيها.

مع آخر كلمة ألقتها شعرت بالتحرر من القبضة التي تكبلني ، وبأني استعدت السيطرة على روحي، وجسدي، ولساني، وقدرتي على الرد فقلت :

- لو كنت ستستخدمينني كقربان لأيٍّ من تعاويذك الدموية، فَهَلُمّي بنصلك وجِزّي عُنُقي، إن حياتي أتفه من أن أخوض قتال جديد من أجلها، قتال أعرف أن في نهايته نهايتي، فَخَلِّصيني منها.

اتسعت ابتسامتها لتكشف عن مُقَوِّمِ الأسنان المَقيتِ، الذي بدأ يتحرك ويتدلى من بين شفتيها في مشهد مُقَزِّز، قبل أن تقول بصوتٍ بشري خالص، وبنبرات هادئة :

- دومًا ما يختار البشر أمثالك أسوأ الكلمات للتعبير، تذكر أيها الأحمق أن الفرصة الثانية ليست خيارًا دنيويًا.

عندما تتيقن بأنه ليس لديك ما تخسره تمتلك بعض الشجاعة التي قد تصل إلى حد الحماقة والتهور، وهذا هو ما حدث معي في تلك الليلة، فمع ذلك المنحنى الذي اتخذته الأمور، وتلك المواجهة التي تختلف عن كل ما

مررت به من قبل من مواجهات مع عالم الجن والمحظور، كان عليّ أن أروي فضولي، وأعرف السبب المشئوم وراء هذا اللقاء الغامض، ووراء تلك الأساليب الجهنمية التي واجهتها منذ وطأت قدماي هذه البناية الملعونة، لذلك كان ردّي على تهديدها شديد الحماقة :

- انظري لي أيتها الساحرة، هل هذا منظر إنسان يبحث عن فرصة ثانية ويخيفه التهديد، إن الموت راحة، وهو أقصى ما يمكن أن تصلي له معي، فهَلُمّ وأفصحي عما تريديه مني، فقد سَئِمْتُ كل هذه الأمور وهذه القيود.

ساد الصمت للحظات، تَفَحَّصَتْني خلالها عيناها المشقوقتان طوليًا من رأسي حتى إخمص قدمي ، قبل أن يأتيني صوتها القبيح الصارم :

- ربما لا يخيفك الموت أيها العبد، ولكن ما ستراه قبل أن تموت سيجعل الموت في عينيك أشهى من الحياة. أنت لست بالأهمية ولا بالخطورة التي تعتقدها في ذاتك لتتحدث عن أمور غيبية وعن مصيرك بهذه الثقة، إن أهميتك الوحيدة سيمنحها لك وجودك المؤقت بقربي، بعدها أنت لاشيء، مجرد شاه تم إعدادها طوال سنوات ليتم التضحية بها في الوقت المناسب، الوقت الذي أحدده ويناسبني أنا، لذا فعليك أن تمتلك فضيلة الإنصات، والأكثر منها فضيلة الطاعة، لأن القادم لا سلطة لك عليه، القادم أشنع وأكثر ألمًا.

علمتني الحياة دومًا أن أشتري من مُحَدِّثي ما دامت له اليد الطولى مبدئيًا، أن أتركه يقود الدفة حتى توشك سفينته على الغرق، وبعدها بكل ما عرفته من معلومات عبر شفتيه أتحكم في دَفَّةِ الأمور، وهذا ما قررته، خاصة وأنا لا أملك القوة أو المعرفة، فقط مجرد خبرات أصبحت باهتة عندما واجهتُ الخطر وجهًا لوجه، والآن عليّ أن أعرف أكثر، ليس لِأُنقِذ

عُنُقي، ولكن لأروي فضولي وأكشف ما يغيب عني، فمن الواضح أنني منذ قررت إتمام هذا اللقاء المريب، وقد حصلت على اللقب المُخيف : الميت.

وبكل ما يعتمل بداخلي من توتر قلت :

- الآن يا سيدتي ما هو المطلوب مني لينتهي هذا الأمر ؟

أعجبها تَمَلُّقِي، وَظَنَّت أنها حازت على نصرها من توقيري لها، فلانت ملامحها الجافة قليلًا، مما زادها بشاعة وهي تقول :

- هل تعتقد أن وجودك هنا عشوائي، لو كنت تعتقد ذلك فأنت أحمق، أما لو كنت تعتقد أن ما مررت به خلال السنوات الماضية هو مجرد مصادفات، وأن امتلاكك تلك القدرات الغيبية مجرد مصادفة أخرى، ففأر الحقل أذكي وأكثر نباهة منك.

أنصت لي جيدًا فالمعرفة التي سأمنحها لك، هو عطف الملكة على عبدها، ولا فضل لك فيها، ولتعرف جيدًا أن كل ما حُزتُهُ من قدرات كانت بفضل وجودي في حياتك، ولأسباب تَخُصُّني وحدي، أنت هنا وفق مشيئتي، وكل ما خُضتُهُ من أهوال كان مُقدَّرًا، لتصل لهذه اللحظة التي تركع فيها أمامي، وتُعلِنُ ولائك، وتُتِمّ مهمتك.

كنتُ أعرف أن قصة الولاء هذه هي أصل المشكلة، فأنا أجاريها فقط لأكشف الحُجُبَ عمَّا غاب عني، وعمَّا أجهله من أحداث ومعلومات، لذا عليَّ أن أتعامل مع حالة البارانويا التي تعيشها تلك الساحرة بحرص، فقاطعتها قائلًا :

- وما هي مهمتي يا مليكتي ؟.

لمحت نار الغضب تستعر في عينيها، وأدركت أنني أخطأت بمقاطعتها، عندما شعرت بتلك القبضات المِخْلَبِيَّة تعتَصِرُ عُنُقِي، مع صوتها الغاضب:

- لا أحد يقاطع ملكته أيها العبد المارق، هذه المرة سأكتفي بالألم، المرة القادمة ستفقد أحد أعضائك.

صرختُ مع اشتداد ضغط المخالب الخَفِيَّةِ على عُنُقِي، وسال عرق بارد على جبيني، وعندما بدأت المرئيات تزوغ في عيني، شعرت بالقبضة الساحقة تخف، وبجسدي يتحول لهُلَام فسقطت أرضًا تحت قدميها، وأنا أرتجف وأعُبُّ من الهواء في جشع، قبل أن أعود لأُنصِتَ لصوتها، وفكرة فقدي لأحد أطرافي تُزَلْزِلُني من الداخل:

- إن مهمتك أيها الفاني أن تظل بجواري، ثم تخبرني بموعد موتي قبل أن يفاجئني ملك الموت بقدومه، وبعدها قد أكافئك بالراحة الأبدية.

توترت أعصابي أكثر، وكادت الكلمات تقفز من بين شفتي، لولا أن تراءت لي مشاهد لجسدي في حلة مزرية، مرة وأنا بذراع واحد أو قدم واحدة، ومرة وأنا أعور أشاهد العالم بعينٍ واحدة، ولأنها كانت تراقبني عن كَثَب فقالت:

- الآن يمكنك الحديث، وحَذَارِ أن تُثِيرَ غضبي عليك.

وكالقذيفة قلت:

- وبماذا سيفيدك الأمر، وهل يستحق كل هذا العناء؟

منحتني نظرة باردة تعبر عن حماقة سؤالي، قبل أن تجيب:

- لأهرب من الموت أيها الأحمق، ألا يستحق الأمر بعض العناء!.

تحدَثتُ بحذر بعد أن ساء مزاجها، وقلت :

- لا أحد يستطيع كسر ناموس الطبيعة الثابت هذا، لا أحد يهرب من الموت.

هزّت رأسها الشبيه بخوخة مُجَفّفَة، قبل أن تقول في نفاذ صبر وقد أعياها سوء تقديري، وضعف نظرتي للأمور :

- في السابق لم يكن أحد يتنبأ بالموت غير من يُطلَقُ عليهم الأنبياء، وبعض الصالحين، وأصحاب القدرات الخاصة، والآن أنت بفضلي تتنبأ به، وغدًا أهزمُ أنا الموت، وأهرُبُ منه.

نظرتُ نحوها مُتَهَيِّبًا، ولكني أدركت أن الكلام مسموح به، بشرط ألا يكون بالحماقة الكافية، لِيُفْقِدَني بعض أطرافي فقلت بحذر:

- لم ينجح أحد عبر التاريخ كله في الفرار من الموت، وكل ما ذُكِرَ عن الخلود من أول حجر الفلاسفة، وأكسير الخلود، إلى تعاويذ المجوس والسحرة الهود، لم ينجح بأكثر من منح صاحبه بعض القوة الجسدية الإضافية وبعض الشباب، ولم ينتزع أحد ولو ثانية إضافية ليضيفها لرصيد عمره، هزيمة الموت لم تحدث أبدًا منذ بدء الخليقة، إنه القائد المنتصر دائمًا في كل معاركه، الخلود الوحيد القائم أن تكوني شخصية في رواية لمصاصي الدماء، وساعتها سيكون الخلود مجرد تعبير أدبي وليس أكثر.

لا أعرف كيف تبتسم خوخة مجففة، ولكني برغم ذلك شاهدت ابتسامتها، بل وسمعت صرير مُقَزّز يشبه احتكاك المعدن ببعضه، وهذا الصّرير كان صوت ضحكتها المَقِيتَة، قبل أن يعلو صوتها قائلًا :

- إن أسوأ الأجناس التي خُلِقت عبر الكون هم بني البشر، جهل مُدقع، وذكاء محدود، وبرغم ذلك لا يتوقفون عن الجدال وادعاء المعرفة.

صَمَتَت للحظة، ثم استطردت :

- هل لك أن تخبرني لماذا يموت البشر ؟

- ليست محتاجة لذرة تفكير واحدة يا سيدتي، فقط لأن أجلهم قد حان.

- ماذا لو لم يحن أجلهم أيها العبد، ماذا لو توقف الزمن بالنسبة لشخص ما عند لحظة معينة ؟.

- في هذه الحالة المستحيلة، أعتقد أنه لن يلتقي بملك الموت، وبالتالي لن يموت، وسيكون هذا نوع من الخلود المؤقت حتى زوال المُسَبِّب، وساعتها سيقتنصه الموت بكل بساطة.

كانت ابتسامتها تتسع، لذا فإنني أردت وأدها لأن مظهرها بهذه الابتسامة كان شنيعًا، فقلت :

- ولكن ما فائدة أن يحيا المرء في لحظة واحدة وأبدية مهما كانت بهجتها أو قيمتها ؟

انحسرت ابتسامتها ولكن ظَلّ مُقَوَّمُ الأسنانِ ظاهرًا لعيني مُثيرًا لقرفي واشمئزازي، فبدأت أشُكُّ أنه نوعًا ما يمتلك حياة خاصة مع تكتله على شدقيها، وذلك الزّبَد الذي أخذ يتساقط من بين شفتيها المُتَغضّنَتَيْنِ من حوله، وهي تقول :

- أنت لم تدرك معنى الحياة وسرها، ولم تمت من قبل لتدرك كم هي عبثية تلك الحياة بكل دقائقها وتفاصيلها !.

رمقتها بنظرة جانبية قبل أن أشيحَ عنها ببصري لأخفي ابتسامتي، فهي بالفعل تشبه جثة عائدة من الموت، ولكن هذا لن يقنعني بعبثية أن هناك من مات ثم عاد بالحكمة الخالصة وأسرار الغيب، لذا فإنني قلت بلهجة أردتها بعيدة عن التهكم، وأظن أني فشلت :

- لا أعتقد أن ملك الموت زاركِ من قبل، وإلا لانتهت قصتنا هنا !.

نظرت لي بيأس كما تنظر مُدَرِّسَة مُجِدَّة لطالب أحمق، وقالت :

- أعتقد أن عقلك القاصر هذا لن يستوعب النتائج والنهايات، لابد من العودة للبداية، البداية التي استغرقت مني ما يفوق الألف عام.

شهقت عندما سمعت الرقم، ألف عام، وقلت :

- كيف لبشري أن يحظى بعمرٍ مماثل، نبي الله نوح نفسه أطول البشر عمرًا لم يحظ بالألف كاملة !.

أتت الإجابة الصادمة من شفتيها على هيئة كلمات :

- ولكنه لم يكن وحده من حَظِيَ بهذا العمر، لم يكن الأول أو الأخير بين البشر، وإن حظت به مخلوقات أخرى كثيرة تجوب الكون منذ بدء الخليقة.

تضاربت التساؤلات في عقلي، وعجزت أنا عن استيعاب الألف عام، والذي يشبه في فهمي للخلود، ألف عام .. عشرة أجيال بشرية كاملة، تاريخ كامل من التطور والصراعات والأحداث والفقد والألم والتعايش، وهي قدرة بعيدة عن إدراكي كبشري، لذا فإنني انتزعت أحد الأسئلة التي تعصف في رأسي، وألقيتها في وجهها :

- أخبريني في البداية لماذا يرغب شخص كابَدَ الحياة لألفِ عامٍ في الخلود، لماذا يرغب في المزيد، لماذا يبحث عن الحياة إلى الأبد، ما هو الشيء المثير في هذه الحياة الكئيبة ليتمسك به المرء، عِوَضًا عن القتال والمعاناة من أجله ؟

كان يثير حفيظتها نحوي مقدار حماقتي وجهلي وتسرعي، لذا فإنها عَبَّرَت عن ذلك قائلة :

- لقد بدأت تثير مللي وضيقي، بحماقتك وضيق أفقك، وبرغم ذلك سأجيبك لِتَكُفَّ عن غباءك الذي لا مُبَرِّرَ له، فأنا أرى فيك نموذجًا مكررًا لجنسك الأحمق الذي لو امتلك يومًا كل معارف الكون، لابتكر بعدها من التساؤلات ما يجعل انقراضه خدمة لهذا الكون الفسيح.

هناك أجوبة تقليدية كثيرة لبحث شخصٍ ما عن الخلود، كالحب مثلًا، أن تظل بجوار حبيبك إلى الأبد، ربما هي إجابة حمقاء تشبهك، ولكن هناك من يؤمنون بها وأعدادهم لن تصدقها.

أما الإجابة الأعظم فهي المعرفة، أن تكتشف سر الكون الأزلي، وتعاصر كل التحولات من لحظة خلقك إلى لحظة النهاية وقرب النهاية.

أن تحظى بالايمان واليقين، فعمر واحد غير كافي لتعتنق، ما ستُحَاسَبُ عليه بجحيم أبدي أو نعيم لا ينتهي.

لابد أن تفهم وتعقل وتَعِي، وتُحَلِّل المعطيات وتصل للنتائج، فتحظى بالنعيم الذي ستقودك إليه المعرفة، أو لتحترق وأنت مُدرِك عن يقين تام أن هذا هو جزاءك الحق، أو لتصل للحظة اللانهاية المُطلَقَة فتدرك الحقيقة الغائبة عن الجميع أن الرحلة لم تكن من أجل هذا ولا ذاك، وأن السر الأعظم قد تَكَشَّفَ لك بعيدًا عن الترغيب والترهيب، فقط بأن تصل إلى اليقين.

الكون برغم كل شيء مازال سرًا مُسْتَغْلِقًا. كل الرسل والحكماء والمفكرين وأصحاب الرسائل الأخلاقية والمباديء، جميعهم منحونا مالم يتفق عليه طائفة واحدة في العالمين حتى أصحاب الملة الواحدة، كل المعارف انتقلت إلينا عبر الزمن والقرون مُشَوَّهَة من خلال أتباع وكهنة وعلماء قاصرون، بَدَّلُوا في الجوهر، وأعلوا قيمة القشور، وتعصبوا لأفكارهم، مُزَيِّفِينَ المنهج والتاريخ والنص، فظهرت لنا علوم قاصرة وحقائق مُشَوَّهَة مطموسة. فضاع الهدف وتلاشى اليقين، وصار على المرء أن يقاتل فقط كي يثبت أن لهذه الحياة هدف أسمى وأعلى، وأن الكون لم يُخلَق عبثًا أو صدفة، أو عشوائيًا.

ولكي تصل لليقين لابد أن ترى بعينك، وتُعَايِشَ بنفسك، وتُقَيِّم وتُوَاجِه، وتحترق، وأن تستخلص الحقائق وحدها، لتستعد للقاء خارق لا يُقَدِّرَهُ البشر حق قَدْرِهِ.

فالمعرفة والإيمان تراكميان، ووحدهم، يستطيعان قهر تلك الأسئلة التي تَهُزُّ أعماق وجودنا، فهل فهمت مغزى حديثي ؟

وبكل حماقة وغباء، رددت :

- هل أنتِ الأخرى مُلْحِدَة ؟.

وما أن أنهيت تساؤلي حتى كان جسدي يرتفع في فضاء ذلك القبو المظلم، ليندفع ساعتها بسرعة رهيبة نحو جدار غير محدد المعالم، لكنه محسوس ومؤلم، لقد انتهت الهدنة، وفاقت حماقتي هذه المرة كل تحمل لهذه العجوز القبيحة، وكان الألم الذي شعرت به في كل عظامي مُسْتَحَق، ومن بين سحابات الغضب سمعت صوتها الناقم يقول :

- أحمق أنت، وأحمق كل من هو مثلك ويشبهك، للأسف لم تكن اختياري ولكنك قدري، فمن دون كل بشر هذا الكون، أنت من حُزْتَ قدرة التنبوء

بالموت باقترانك بأحد أقوى سحرة وحكماء الجن، سيدي ومُعلِّمي يوناس، .كنت أنت من أنقذه مؤقتًا بتواجدك في المكان المناسب، وسمح له ضعفك ليتلبسك وهو في حالة سحرية خاصة كنا نعمل عليها معًا، ففني بعدها لتحوز أنت على قدرة لم يحلم أحدكما بامتلاكها ذات يوم، نتيجة هذا الاتصال.

صَمَتَت للحظات، وكأنها تلوم نفسها على حماقاتي قبل أن تُكمِلَ حديثها، في الوقت الذي كان ألمي من اصطدامي بالحائط يتلاشى ببطء:

- إنقاذك المؤقت لمعلمي يوناس جعل لك الحق في الحماية، ومع ظهور قدرتك أصبحت أكثر أهمية لي ووسيلة كي لا يضيع كل جهدي ومعارفي سُدَى، ولن أخفيَ عليك لقد تفاجأت بما حُزْتَهُ من قدرات، وأدركت معها أن هناك قوة خفية تساعدني كي أصل لهدفي، وكانت هذه خطوة فارقة في رحلتي نحو اليقين والإيمان.

صمتت للحظة ثم استطردت، وكأنما لم يعجبها أن تكشف كل هذه الأوراق:

- كان عليك أن تكون أقوى وأكثر حنكة وذكاءً وطاعة، ومع احتكاكك بهذه العوالم تتطور قدرتك، ولكنك قاومت بشدة، وهربت بنفسك وروحك من استحواذ واجب..لم يكن مُقدَّرًا لنا أن نلتقي، ولكنك أصبحت أكثر هشاشة ورُعُونَة مما توقعت، ولا يمكن أن أُضيِّعَ فرصة كهذه لن تتكرر مرتين عبر التاريخ.

وهنا نظرت لِمُقَوِّم الأسنان الذي بدأتُ أدرك عن يقين أنه كائن طُفَيلي لامع يسكن في فمها، ويتغذي منها بطريقة ما لا يمكن أن تتوفر لبشر طبيعي كان أوغير طبيعي، وذكريات ذلك الحادث القديم تموجُ بعقلي، ولأنني لم

أكن في حالتي الطبيعية تحت تأثير ذلك المشروب الأزرق، فإنني تماديت في حماقتي متسائلًا :

- هل أنتِ بشرية ؟!

اشتعلت عيناها بالغضب، وتَغَضَّنَت ملامحها أكثر كورقة تم سحقها ألف مرة، وأيقنت لحظتها أن هناك طرف من أطرافي سيسبقني إلى الموت، إلا أن ماحدث كان أكثر غرابة، لقد دارت الجماجم المُشتَعِلَةُ في أرجاء المكان، وتناثر منها الشَرَرُ فتحول المكان لجحيم مستعر، حتى أن إحدى الشرارات اللاهبة أحرقت جزءًا من شعري، قبل أن تتحول النيران لضياء باهر كسا المكان كله وجعل المكان كساحة تغمرها شمس الصباح ، ليقع بصري على تلك العجوز الجالسة فوق ذلك العرش والتي برزت أنيابها، واشتعلت عيناها المشقوقة طوليًا بلون أحمر قاني لأحصل على إجابتي.

ولأسمع بعدها دوي انفجار، وعلى إثرِهِ شعرت بجسدي يتحلل مُجَدَّدًا، ليجتاحني ألم يفوق الألم السابق ألف مرة، قبل أن يندفع جسدي في ممر ضوئي غامض، ليتجسد بعدها، في مكان مُخيف ومُظلِم أكثر من قلب ثقب أسود.

كادت روحي تختنق من عتمة المكان، فظننت للحظة أنها نَفَّذَت تهديدها وأفقدتني بصري، لولا أن تَماوَجَ الظلام لتظهر أمامي تلك العجوز على عرشها، فَتُصَفِّقُ بيدها المِخلَبِيَّة لينهار الظلام من حولنا، وليسطع الضوء، ويعود المكان لسابق عهدة مجرد شقة أخرى مضاءة بإضاءة زرقاء مريحة، والإضافة الوحيدة لكل ما عاصرته فيها هو تشقق تلك المرآة اللامعة، والتي استنتجت أنها وسيلة ما للإنتقال عبر الأبعاد.

وكان هذا لا يُبَشِرُ بخيرٍ أبدًا.

الصراع

نظرت حولي إلى المكان الذي تبدل تمامًا، وإلى المرأة التي أصبحت تُمثِّل هاجس مستمر لعقلي، وإلى تلك العجوز التي غابت أنيابها وعادت عيناها بشرية سوداء، وأيقنت أن هناك شيئًا خاطئًا يقع.

وأن عودتنا إلى شقة المعادي كانت رُغمًا عنها، وأنها تُصارع قوة مجهولة لا أراها، وأن أطرافي نجت مؤقتًا، فحاولت أن أكون غير مرئيًا بصمتي، وتابعتها وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة لها وقع مُرَوِّع، حتى انتهت وهدأت ملامحها وغزاها شعور بالظفر، لتأتيني إجابة سؤالي مباشرة :

- هل أنتِ بشرية ؟ سؤال غبي مثلك. لا أعرف إلى متى سأحتمل هذا الفيض من حماقاتك وأسئلتك السخيفة، هل تعتقد أن المعرفة تخص البشر وحدهم، هل تعتقد أن النعيم والجحيم أُعِدَّا لهم وحدهم، لم يفهم البشر بعد مغزى الحياة ليرثو الأرض وحدهم، هناك من يحملون معهم الحمل الثقيل، هناك عبر العوالم والأبعاد من أرهقهم التعصب والنمطية والعلم والإيمان المعلبان اللذان لا يجيبا على الأسئلة أكثر مما يُحَرِّمُونَهَا، فاتخذوا كل الطرق والدروب الممكنة ليصلوا إلى نقطة التنوير، إلى لحظة المعرفة المطلقة، وأنا منهم، وأنت كنت أحد وسائلي أنت وأصدقائك ، الذين تتشدق بحكايتهم لتثبت لنفسك كم أنت خبير وعليم، بعوالم لا تدري ولا تفقه عنها شيء سوى قشور سطحية.

ظهر الذهول على وجهي وأنا أقول :

- أنا وأصدقائي ، كيف يمكن هذا ؟!

أكملَت وهي تتجاهل ردود فعلي وكلماتي وقالت :

- كل ما واجهته وواجهه أصدقائك، كل الخبرات المفزعة التي مررتم بها، كل المعاناة والألم والمعرفة، كانت مجرد عملية صُقِلَ لكم، بعضها نجح وبعضها فشل، ولكن الغرض النهائي قد تحقق.

لقد تشابكت خيوط حياتكم ومصائركم، وبرغم أن كل منكم واجه اختباره معظم الوقت وحيدًا، فقط في مرحلة التصفية والحصاد، كنت أنت المُمَيَّز. فيك شيء يجعل قربك من هذه العوالم منطقيًا، شيئًا ما يخبرني دومًا أن هناك من يتحكم في الأمور من خلف الحُجُب، شيئًا ما يجعلني أركن للجانب الذي لا يمكن قياسه، قبل أن أحوذ العلم الذي يُثْبِتُه، شيئًا ما يقود للايمان بما لم يثبت ولا يوجد عليه دليل مادي واحد، شيئًا يُخَالِف منهجي العلمي ومنهج مُعَلِّمي يوناس، وهو ضعف كبير لا يجب أن يحدث، ولكنه يحدث ووقعه أكبر عليَّ.

كدت أنطق عندما شعرت بلساني يتلجم، وصوتها يرن في أعماقي :

- لا يوجد إجابة لسؤالك التالي، لن أستسلم لمجرد شعور وقرائن أكثر منها أدلة، لقد اخترت الطريق الصعب، لقد اخترت العلم، كما اختار نجيب العلم، وكما اختار ملايين غيره العلم، الجميع خاضوا غمار الدرب، ولكن هزمهم الوقت كما هزم نجيب.

زاغت عيناي مع الخبر، والذي اعتبرته نذير بموتي أنا، فتساءلت في ذعر:

- هل مات نجيب ؟

دَوَى صوتها كئيبًا في المكان الذي بدأت تغزوه البرودة، برغم حميميته عن أجواء القبو المُظْلِمَة :

- هل تشعر بالفخر الآن، لأن ملك الموت أثبت ما تحوذه من قدرة مؤقتًا ؟

نظرت لها في غير فهمٍ للحظات، قبل أن أعبّر حالة الذهول، لأسئلها بدون وعي :

- وعلى أيّ يقينٍ مات ؟!.

منحتني نظرة عميقة هَزّت أعماقي، قبل أن تقول :

- ماذا تتوقع أيها الغِرُّ الساذج، هل تتوقع أن بضعة ساعات قضيتها مع رجل يبحث منذ سنوات عن إجابة محددة ستُغيّر مُعتقداته. لقد مات وهو يبحث عن اليقين. مات وهو يبذل الجهد، ولكنه للأسف مات خائفًا. لقد تركت تأثيرك السلبي عليه، ربما لم تهدم صرحه العقلي، ولكنت زلزلته بجهلك، إنه يعرف الإجابة الآن، وللأسف لن يمنحها لغيره. لقد حظى بالراحة الأخيرة، وبقي عليه أن يواجه بيقينه ما ينتظره، لو كان هناك من ينتظره بالفعل.

لا أعرف لماذا سيطر عليّ الحزن لهذه الدرجة عندما أيقنت بموته، فلم أعرف نجيب سوى لبضع ساعات.

وبداخلي تسائلت عن أهمية نجيب في حياتي، أو موقعه ليحوز مني على حُزنٍ مُمَاثِل.

هل كان اللقاء مجرد تمهيد لي للقاء هذه الماردة العجوز، مجرد وسيلة لإعدادي لأتقبل حكايتها ومنطقها، وشكّها.

الأمر لن يكون أوضح من هذا الآن، لقد أدّى نجيب مهمته، ثم غادر أرضنا، وتركني أحمل ذنبه هو الآخر.

لماذا أشعر بيني، وبين نفسي بشعور القاتل ؟

لماذا صرت أهاب هذه الماردة العجوز التي غاصت، وستأخذني معها إلى مستنقع التساؤلات المُحَرَّمَةُ المُخِيْفَة ؟.

أين يقيني الذي كنت أتحدث به مع نجيب ؟

أين العلم الذي جادلت به وعِشت عليه ؟

هل كون مخلوقة تملك من العمر ما يفوق الألف عام، ولم تصل لشاطيء الأمان والايمان، يهز ثوابتي إلى هذه الدرجة ؟.

هل كانت بالفعل تتحكم بي، وبأصدقائي لهذا السبب بالفعل ؟.

أين اليقين في كل ما يحدث ؟

لم تتركني هي لصمتي، ولا لطوفان أسئلتي المطروحة، فعادت لتُكمِل :

- هناك شيء يميز بني البشر عن غيرهم من مخلوقات الكون العاقلة، أنهم لا يستسلمون أبدًا، ولا يتركون غامض إلا وسعوا خلفه، ويومًا ما سيقلبون كل أحجار الكون، وعندما ينتهون سينتهي معهم الكون بعد أن يصلوا لليقين، ربما بعضهم أحمق مثلك، ولكنك لست سوى دليل وأداة في رحلة طويلة، بدأت منذ لحظة التلبس الأولى، وتطورت مع مراقبتي لك.

متى ينضب معيني من الأسئلة الغبية، لا أعرف ولكن السؤال طرأ على رأسي فألقيته علي مسامعها، وأنا أشعر أن تَيَبُّس قدماي قد انتقلتا لعقلي، ولساني الذي نطق السؤال بِثِقَل :

- هل كنتِ تراقبينني ؟!

وجاءت الإجابة باردة :

عيناي كانتا تتبعانك طوال الوقت وترعاك، هل تذكر الطائر الأسود الضخم الذي واجهته في رحلتك للتخَيُّم، هل مازلت تشعر بذلك الحارس الخفي الذي سبغ حمايته عليك لسنوات، والذي كان يدعوك لتتمسك بيقينك وطقوسك لِيُبْعِدُكَ عن الأذى، ذاكرتك التي تطورت وأصبحت أكثر قدرة على حفظ العلوم والمعلومات، الأفعى والعجوز التي كانت تترائى لك، أنت لم تكن وحدك أيها الأحمق، وإلا لهلكت منذ زمنٍ بعيد.

شعرت بالوهن والتعب، وبدأتُ أفقد تركيزي، فمنذ بدأت هذه المحادثة المشئومة، وأنا أقف على قدماي كعبدٍ حقيقيّ بين يدي سيدته.

كما كان يثير رعبي تلك الكلمات الغامضة، التي كانت تتمتم بها على فترات وكأنها تخوض صراعًا مجهولًا لا أفهمه، مع عدو خفيّ لا يراه غيرها.

هذا بالطبع غير ذلك الكائن الطُفَيْليّ المقزز الذي يمرح بين شفتيها وأسنانها فيثبت ليصبح شبهًا بمُقوّم الأسنان حينًا، وحينًا أخر يتحول إلى مايشبه الطفيليات الدقيقة أو الطفح الجلدي، في النهاية كان رد فعلي حماقة أسطورية، وما جري على لساني كان يعني أن عقلي لم يستوعب أيّ شيء مما أخبرتني به، فَدَوّت كلماتي ترجُّ المكان متسائلًا:

- حتى الآن لم تُجِبِيِي أيًا من أسئلتي، هلا كففتِ عن اللفِّ والدوران وأخبرتني، هل أنتِ ماردة،وهل أنت مُلحِدة، كيف ستهزمين الموت، ولماذا ظهرتي الآن، ولماذا هيئتك بشرية إلى هذا الحد؟!.

هل تعلمون معنى جملة أن يصل لأعتى درجات الغضب، هذا هو الشعور الذي كَلَّلَ وجهها، حتى أنها صمتت لدقيقة كاملة وكأنها تُوَازِنُ بين جدوى

الحديث وحماقتي، وبين أن تقوم بعقابي وإجابتي، وفي النهاية، تقيأت كلماتها الثقيلة في وجهي دون عقاب، لا بد أن منظري المُزري قد حرَّك بقلبها بعض الشفقة، ولكنها رغم ذلك بدأت حديثها مُهَدِّدَة :

- سأجيبك الآن بطريقة أوضح، كي لا يمنحني ضيق أفقك سببًا إضافيًا يجعلني أحولك لتمثال حجري صامت.

تجاهلت التهديد وأنا أفكر في طبيعة تلك النقطة السوداء التي بدأت تظهر على الجدار خلف العرش، وبدأت في النمو، والتمدد، والانتشار، لِتُشَوِّهَ صَبْغَةَ الجدار، وإن جعلت أذناي مُتحَفِزَتَانِ لكل كلمة تقولها.

- هل تذكر تلك الماردة التي كانت السبب في احتجاز صديقك وليد في عالم الجن لعدة أيام، والتي منحته من القوة والمعرفة المؤقتة ما لم يحصل عليه بشري من قبله، لقد أخبرك صديقك بعمرها، وأخبرك بما تملك من معارف.

وهنا فَقَدَت تلك البقعة السوداء أهميتها بالنسبة لي، وعاد بصري ليتعلق بالوجه المُتَغَضِّن المُخِيف، وقلت مُقَاطِعًا حديثها :

- هي أنت إذًا، كيف أصبحتُ بهذه الحماقة فلم أستنتج شيئًا بسيطًا كهذا الأمر، كيف لم أربط الأمور ببعضها برغم وضوحها، ثم أخبريني هنا، لماذا خَظِيَ هو بزيارة لعالم الجن، ولم أحظَ أنا رُغْمَ تميزي بمثيلها.

أجابت قائلة :

- الأحمق الآخر أغضبني في البداية بلا مبالاته، ثم بقدرته المُخِيفَة على جذب الجن إليه، كان مغرورًا بقوته عاشقًا لها، فلم يكن الجن هو الذي يتلبسه، بل كان بحماقته يسجنهم بداخله، فحدث له إيذاءٌ عظيم.كان

لابد من تداركه عن طريق حجزه في البرزخ تحت عناية بعض رجال مُعلّمي يوناس. لقد جازفت بكل شيء، عندما نقلته بنفسي هناك بعد أن سكنه من كاد يلتهم قلبه، شيطان من أدنس ما خُلق على الأرض ، كان لابد من تطهيره منه، دون أن يفقد حياته.

ولولا أنهم استعانوا بالساحر الأريب الذي استطاع بعلوم هجينة ومعاونين من العالمَين أن يقطع كل صلة بيني وبينه، وحرر من داخله كل الجن المحتبس، حتى خادمي الذي لازمه من أول لقاء بيننا. لكان هو رجلي الأول في عالم البشر، لكن كل شيء يمكن تداركه عندما تملك الوقت. كما أن لباقي أصدقائك أدوار لن يكشف عنها إلا الزمن.

تمددت تلك البقعة السوداء أكثر، وبدأت تظهر بداخلها العديد من الشقوق، وكأن هناك من يسعى لتدمير هذا الجانب من الجدار، وهذه جعلني أتوتر أكثر وأتحفز وأنا أديرُ كلماتها في رأسي قبل أن أجرؤ على الجلوس أرضًا، لأقول:

- هناك شيء غير منطقي في هذه الأحداث، لا أعتقد أن الأمور قد مرّت بهذه السلاسة، ولا أن سبب فشلك مع أصدقائي كان بسبب إخفاقٍ منهم، أو عيبًا ما في شخصياتهم وميولهم، هناك سبب آخر أقوى وأخطر.

صمتت لبرهة وكأن على رأسها الطير، قبل أن تعود لتتمتم بتلك العبارات الغامضة التي أصبحت غاضبة وعنيفة، ولتتبعها برفع أحد أصابعها المخلبية، لتشير بها نحو البقعة التي تفاقمت في الجدار خلفها، ليصدر صوت انفجار محدود مع عويل مكتوم، امتد صداه لثوانٍ معدودة قبل أن يعود الجدار لسيرته الأولى دون أن تتحرك من مكانها،ليعود صوتها البارد ليغمر المكان:

- هل تدرك أيها الأحمق، أن الذكاء الشديد كالحماقة وكلاهما مُهلكان.

كان صوت العويل مازال يتردد في أعماقي، ومشهد الجدار الذي عاد لسيرته الأولى يضغط على أعصابي بشدة، مع تساؤل عميق عن حقيقة وجود تهديد خارجي يحاول تشويشي واقتحام المكان، تساؤل كظمته بداخلي برغم ما يسببه لي من إزعاج فإجابته لا تحتاج لطرحه، ولكنه يكاد يمزق عقلي الذي يشتاق لقدح من القهوة، متى كنت في المقهى إذن، يبدو حدثًا بعيدًا جدًا، وكأنه وقع منذ عام كامل لا عدة ساعات، لقد ختم الظلام على روحي.

كانت تلك الماردة العجوز قد بدأت تقص قصة مختلفة، وكان عقلي مشوشًا ولكنني أجبرته على التركيز، وبدأت أنصت للهول القادم:

- سأخبرك الآن أحد أشد أسرار العالم الذي أحياه سوادًا، فأنصِت جيدًا فلن أُكرِّر كلامي فلا وقت هناك، ففي فترةٍ ما من رحلتي الطويلة أجبرتني الظروف على أن تتلطخ يداي بالدماء، وكان من الممكن أن يمر الأمر دون ضجيجٍ كاف، لولا أن من قتلته كان أحد أمراء هذا العالم المُتَواري خلف الحُجُب، وكما هو موجود في عالمكم البشري، لن يمر قتل شخصية بهذا الثقل، وتلك المكانة مرور الكرام، فأصبحتُ مُطَارَدَة ومطلوبة، ورأسي من أثمن الرؤوس التي يرغب في حصدها ذرية الأمير، وأتباعه، وصائدي الجوائز.

لذلك كان عليَّ بجوار رحلة بحثي أن أقوم برحلة هروب طويلة ومُرْهِقَة، وباستخدام قدرتي الطبيعية للتجسد على شكل بشري، استطعت النجاة لقرونٍ طويلة مع حرصي على التنقل الدائم، وزيادة في الحِيطَة والحَذَر جعلت هذا التجسد شبه دائم باستخدام سحر بشري مُوغِل في القِدَم

تحرم قوانين الجن استخدامه، ولم يكن الأمر بهذه البساطة، فقد أفقدني التجسد الدائم في هيئة بشرية قدرات كثيرة كنت أحوذها في عالمي، وأيضًا في البرزخ الذي يقود إلى عالمك، ولهذا أبدو لك بشرية أكثر من اللازم.

كان ثمنًا فادحًا، ولكنه كان عادلًا على كل حال فمنحني ما أحتاجه من وقتٍ ومن حماية.

في عالمي لم يكن لي أيّ نشاط سياسي كما تُطلقُونَ عليه هنا، لم أكن طالبة سلطة بل كنت طالبة علم.

والعلم الحقيقي في عالمي ليس مُتاح بسهولة، ونوع العلم الذي أبحث عنه كان يرقد هناك في أحد تلك الكتب المُقَدَّسَة التي لا يعلم بوجودها إلا عدد محدود في الكون كله، كتاب يخص ابن الشيطان الأكبر ومستشاره المُقرَّب، الشيطان نفسه لا يعلم بوجوده برغم قدراته التي لا مثيل لها، كان أعظم أسرار الابن، وفيه دَوَّنَ توصيات والده وعلومه السرية، والتاريخ الذي لم يعاصره غيره منذ بدء الخليقة، وقبل هبوط آدم للأرض.

كان رأسي يدور من هول ما أسمع، ومع شعوري العارم بالإرهاق لم أستطع التعليق، خاصة وأن الأمور أخذت منحى رهيب، فمنذ لحظات كنت متورطًا مع ماردة عجوز تشغلها أسئلة كونية تُحَيِّرُ ملايين البشر، وتسعى لهدف جنوني وشبه مستحيل، وأنا وسيلتها لتحقيق هذا الأمر.

وسيلة ستنتهي منها وتنتهي حياتها، ماردة لا تحمل وجه ولا هيئة عالِم، ولكنها تحمل روحه، والآن تحمل لعنته.

لقد قتَلَت أحد أمراء الجحيم، ويطاردها زبانيته، وتملك كتاب مُخِيف لن يسمح لها باقتنائه، أو نشر ما فيه، وأنا الآن معها في نفس القارب نسبح

فوق نيران نهر الجحيم. وكانت أفضل الفروض قبل أن أعرف كل هذه المعلومات، هو الموت السريع. ولكن ماذا لو نجوت ووقعت بين أيدي مُطَارِدِيهَا. مصير بشع لن أُفكِّرَ فيه، كي لا يتوقف قلبي من القلق.

عليَّ أن أنصت وأتابع. فربما كان هناك باب للنجاة لم تذكره بعد تلك الشيطانة. الذي انخفضت جِدَّةُ صوتها، وهي تستطرد:

- عندما سرقت الكتاب، وقتلت الأمير كان عليَّ أن أهرب من عالمي دون تأخير وإلا ضاع كل جهدي وتضحيتي سُدَى، ولم أكن أملك مع الحِصَار الذي ضُرِبَ فور موت الأمير على كل الجُزُر والممالك، والطِّلَسْم السحري الذي أحاطه به حراس هذا العالم كل بوابات العبور؛ غير مُعَلِّمِي يوناس ليساعدني على الهرب.

كان حكيمًا وعالمًا بأكثر أنواع السحر الأسود قِدَمًا وخطورة. فهزم سحر الحُرَّاس، وفتح لي ثغرة إلى عالم البشر. وفور عبوري أتممت التحول المُعْتَاد على هيئة أفعى، فمعه تقل قدرتهم على تَتَبُّعِي.

ولكن ما حدث بعدها أنهم تَتَبَّعُوا أثر سحر الإنتقال. فالسحر المحظور يمكن تتبع أثره ببعض الجهد لأنه يعتمد على كسر قوانين الكون، وكل شرخ أو تبديل يتسبب به، يمكن لِذُرِّيَةِ الشيطان تتبعه بسهولة.

لذلك كان عليَّ أن أقوم بسحرٍ بشريٍّ خالص وأتحول لما أنا عليه الآن، وبالفعل فقدوا أثري لفترة زمنية طويلة. ولكن العمر كان يجري بهذا الجسد الفاني أسرع مما توقعت وبضعفه. ولأُكمِلَ هدفي في هذه الحياة، عليَّ ألا أموت قبل وقتٍ أُحَدِّدَهُ أنا بنفسي، لايمكن أن أغادر الحياة بصمت ودون أن أحُلَّ لُغزَهَا، الزمن هو عدوي الأوحد، ولابد أن أهزمه، لا سبيل آخر.

لم يقنعني أبدًا منطقها، وصِرتُ أراها أضعف مما تبدو عليه، ولم أعد أبالي بتهديدها، إن من يلجأ للكذب واختلاق القصص، ليس بالقوة أو الثقة التي يحيط بها نفسه، إن قصتها للبحث عن المعرفة التي تقود لليقين بوجود الخالق من عدمه، تبدو أمام ناظري باهته جدًا، فلا أحد يبحث عن المعرفة للنجاة، ويسلك طريق الشر والسرقة والدم.

وعلى الفور تحوّلت التساؤلات لكلمات مُستَهجَنَة، جعلتها تقفز من بين شفتي لتصفعها بقوة :

- هناك يا سيدتي سبب أكبر من هذه القصة جعلك تخوضين هذه المغامرة، عقلي الأحمق يُصِرُّ عليها.

ضاقت عيناها للحظات دليلًا على استغراقها في التفكير، قبل أن يتلوى لسانها متسائلًا :

- هل تعرف ما يميز الشيطان عن غيره من المخلوقات، سواء في عالمَيّ الإنس والجان ؟!.

أجبت بسرعة بالاجابة المتوقعة:

- الخلود.

أشاحت تلك الماردة القبيحة، بِمِخلَبِهَا المطليُّ بالطلاءِ الأزرق اللامع قبل أن تقول:

- بل المعرفة أيها الجاهل، هو من رأى وعايش وأدرك وكابد، واتخذ قراره. وهذا هو هدفي، المعرفة الشاملة لا الخلود، والمعرفة تحتاج لوقت، وأصل المعرفة هو الشيطان، وأسراره وعلومه بذلك الكتاب الذي سرقته من

ذريته. فذلك الشيطان الأحمق بكل شروره وعصيانه يكسر اليقين ويبدد الإيمان، وما يُرَوِّجُ له هو وأتباعه يجعل الحقيقة غائية وغائمة.

فقبل ما يقارب ألف وخمسمائة عام، كنا نؤمن أن الشيطان هو الخير، وهو الإله والرب، وأن من في السماء هو الشيطان الأكبر، وأن عُمار الأرض هم أتباع الشيطان والغزاة الذين سرقوا أرضنا. كما كنا نمتلك من القوة والقدرة ما يجعل وصولنا للسماء الأولى فعل عادي، ولكن مع ظهور الرسول الأخير أصبحت السماء مُحَرَّمَة، لا أحد يجرؤ الآن على الإقتراب من قدس الأقداس، وإلا احترق.

ظهور النبي الخاتم أحدث الشِقَاق في عالمي، وجعل الأسئلة المُحَرَّمَةُ مُلِحَّة وتحتاج إلى إجابات.فصار الكُفْرُ بالشيطان هو الإيمان، ولكن ظلت هناك آلاف الأسئلة بلا إجابة، وأهمها لماذا كفر الشيطان نفسه ؟!.

كدت أن أجِيبُ بأنه الغرور والعناد، ثم قررت أن الا أزيد الطين بلة بردودي الحمقاء، وعُدْتُ لِأُنصِتَ لها فقالت :

- إن لكل شيءٍ نهاية، ولكن البداية وحدها هي ما تُؤَمِّنُ المعرفة وتمنح اليقين، ربما أسلك طريقًا مُشوَهًا وتنتفي معه قيمة ما أقوم به، لكن الأمر مرحلي فالغاية كما تقولون تبرر الوسيلة، والثمن الذي دفعته يستحق، لقد سرقت الكتاب، وهربت من تتبع ذرية الشيطان، وأتقنت معظم فنون السحر وعلومه، وتحولت إلى بشرية تَحُوذُ قُدرَاتٍ هائلة، أقلُها الإختفاء، وأعلاها معرفة تاريخ الأشياء ولكنها للأسف لا تصل للتاريخ الذي أرغبه، وما أن أنتهي من فك كل طلاسم كتاب ابن الشيطان، حتى يكون كتابي هو الرسالة التي ستُغَيِّرُ وجه العالم، سيكون هو الكتاب المُقدَّس الأخير الذي سيضم الحقيقة واليقين التام، وفي اللحظة المناسبة، وبعد أن تتم

مهمتي، سأترك نفسي لتلك القوة القاهرة التي تُفني الحياة، لأستعد للفناء النهائي، أو اللقاء العظيم، ووقتها سيكون الرضا هو ما سأواجه به مصيري.

لم أستوعب، أو أقتنع ولكني أردت مجاراتها، فقلت :

- وهل تعتقدي أن الأمر سهل أو بسيط ؟!.

أجابت :

- لا شيء في الحياة ذا قيمة ونصل إليه بسهولة، الحكمة والمعرفة أبناء الألم والخطر، من لم يخاطر ويتألم، لن يحصل إلا على القشور، والقشور للحشرات، وليست للعلماء.

تجاهلت فلسفتها، ودخلت لصلب التساؤل الذي سَيُعْجِزُهَا حتمًا إجابته فقلت، وكأنني مُصَدِّق ومُهتَمّ :

- كيف ستهربين من الموت، أو لِأُصَحِّحَ صيغة السؤال كيف ستؤجلينه ؟!

أشارت بمخالبها عبر الرُدهَة صوب الساعة الرملية العتيقة، وقالت :

- بهذه.

رَنَوْتُ نحو الساعة الرملية ببصري، ثم نظرت لها مستنكرًا، وتساءلت :

- وما هذه ساعة رملية ؟!.

أجابت :

- لا تَغُرَّنَّكَ المظاهر فهي ليست مجرد ساعة رملية، إنها خُلاصة علوم سحرية وبشرية، وشيطانية، تفوق الألفي عام، ويرجع فضلها لمعلمي الراحل.

- وهل مات مُعَلِّمُك ؟

- هل تبخرت ذاكرتك أيها البشري، لقد مات بعد أن منحك ما حصلت عليه من هِبَات، بعد أن تَلَبَّسَك أثناء محاولته للهروب خلفي هو وبعض معاونيه، وأصابه سحر ذرية الشيطان بعد كشف صلته بي منذ عدة سنوات عن طريق خيانة أحد مساعديه، ألا تذكر ذلك الحادث الذي تَهَشَّمت فيه سيارتك في مرسى مطروح.

دارت رأسي بشدة، وعادت ذاكرتي للخلف عدة سنوات، وبطريقة مفاجئة امتلأت فجوات ذاكرتي عن الحادث وتذكرت كل تفاصيله، وربطتها الآن بكل ما عرفته، فقد كان الحادث هو البداية، وما حدث لي وقتها كان نتيجة استحواذ يوناس المعلم على جسدي وموته بداخلي، ثم تتابع كل شيء كتساقط أحجار الدومينو.

طَرَدْتُ كل هذه الأفكار التي لم تعد لها جدوى بعد أن وضح كل شيء، فلم أرغب في التشتت أكثر بعد أن صرت قاب قوسين أو أدنى من معرفة سر الخلود، فقلت متسائلًا :

- وما فائدة هذه الساعة الرملية ؟!

- هذه الساعة الرملية تحتوي على مواد ذات صفات كونية خاصة، مع مائة تعويذة احتاج إنجازها لعشر سنوات أرضية لتمامها وتفعيلها، والفضل يعود لسحرة الجن الأصفر الأوائل الذين خالطوا الشيطان

وهاروت وماروت في الأزمنة القديمة، علومهم سَهَّلَت الكثير من الأمور، وهي من مَهَّدَت لي الطريق لتجاوز سحر الحماية لسرقة الكتاب و..

وبكل حماقة قلت :

- وقتل أمير الجحيم، أكان هو الحارس ؟!.

هزّت رأسها، وقالت :

- ذكائك المفاجيء هذا مُخيف جدًا، وخطر.

منحتها ابتسامة سَمِجَة، ثم سألتها :

- وكيف تعمل هذه الساعة الرملية ؟!

- هي تشبه الساعة الرملية، ولكن ما بداخلها ليس رمل عادي، إنه بقايا المسحوق الذي استخدمه السامري ذات مرة لصناعة عجله ذا الخوار الذي فتن به بني اسرائيل، وهذا المسحوق هو سر أخر من أسرار هذا الكون المُستَغلِقَة، ولا حدود لخواصه وقدراته الفائقة، وللحصول عليه قَدَّمْتُ تضحياتٍ كبيرة يَسْحَقُني ذِكْرُهَا، وبسببه لن تتوقف ذرية الشيطان يومًا عن مطاردتي.

إن كل دورة لهذه الساعة الجهنمية ستمنحني عشرة آلاف عام، أعود بها عبر كتاب ابن الشيطان لأعماق التاريخ، لأصل من خلالها إلى علم اليقين، فأهزم بها الموت ولو مؤقتًا.

قاطعتها قائلًا :

- كل ما تخبريني به جنونيٌ حتى الآن لم أستطع أن أستوعب أفكارك وما تؤمنين به، ربما عرفت ما تَسْعينَ إليه ولكن هناك خلط كبير في حديثك،

تتحدثين عن الشيطان، وكأنه أصل الشرور والكفر، وعن الأنبياء والحكماء والقَصَص التوراتي والقرآني، وكأنكِ من المؤمنين، فعن ماذا تبحثين حقًا؟!، ثم إن كنتِ تملكين هذه الساعة وعشرة آلاف عام، فما فائدتي، وما فائدة بضعة أعوام تحرصين عليها قبل أن تُفعّلي ساعتك الجهنمية ؟.

ظهر على وجهها المُتغضِّن الوُجُوم فزادها تعاسة، وخطر على بالي أنها بحاجة للحديث إليَّ أكثر من حاجتي لسماعها، إنها ماردة وحيدة منبوذة من عالمها، فقدت معلها وصديقها الوحيد، ولن يقبل بها عالمنا، لذلك كانت مُلازِمَةً لوليد، وكانت تمنحه القوة والعلم مقابل الصُحبَة، لذلك لم تقم بينهما أيُّ علاقاتٍ حميمة بل كان الأمر مجرد التمتع بدفء الرفقة، ولأن الوحدة كانت قيد ثقيل على من تهفو روحه للبحث، فكانت تُعاقبهُ بشدة، وهذه فرصتي لأعرف أكثر، وهي لم تتأخر وقالت :

- ليس هناك علاقة بين [illegible] بعض ما ذكرت فتأثيرهم على البشر والجن عبر ال[illegible] ولكنني أرغب في الوصول للأصل عن طريق الدلائل المادية [illegible] مجرد إحساس أو قرائن.

الشيطان الملك الأعظم في مملكتنا يمثل لي لغز كبير جدًا، بطول عمره والسيطرة الكبيرة التي يسيطرها على عالم الجن، والوهم الأعظم الذي صنعه قبل ظهور النبي الأخير، وجعل الكل يشك في أنه هو الخير، وأن السماء هي مبعث الشر، وكيف أنه فرض علمه وسطوته وأساطيره على الجميع.

كنت أريد أن أعرف كيف يمكن أن يصل الشيطان لليقين، ويكفر به بهذه البساطة، وكأنه لا عقاب ينتظره، ولا جحيم سَيُرَدُّ إليه.

كيف بلغ مكانته التي تَذكُرُها كتب التاريخ البشري والتاريخ السري للجان بأنه كان ذا مكانة لم يحظى بها أحد بالعالمين ككبير الملائكة. وكيف رأى وعايش وامتلأ قلبه بالمعرفة. ثم انقلب على كل شيء لمجرد أن يحظى بانتقام لا جدوى منه. مع جنس ينتقم من نفسه طوال الوقت.

اريد أنْ أعرف هل كل هذه المعلومات المتدفقة عبر العصور حقيقة أم زيف . وهل التاريخ يحمل ولو جزءًا من الصدق أم هو مجرد وهم كاسح في لعبة كونية كبرى. وليس هناك إلا حياتنا هذه التي ستنتهي بفنائنا. ونحن ندور في دوامة صنعها الشيطان لعالمين كاملين.

دار رأسي مرة أخرى. وتُهتُ مع حديثها شبه المترابط. ولكنني لم أقاطِعْها. وإن تجاهلت منذ فترة النظر لوجهها. وهذا الكائن الحلْقيلي المقيت. الذي يُزيدَها بشاعة وأنصتُّ أكثر:

- الساعة الرملية كانت ترتبط بوجودي ووجود مُعَلّمي معًا. قدرات مُعَلّمي انتقلت إليك بموته. لقد مات وظَلّ جزءًا منه بداخلك يمتزج بخلاياك وعقلك ودمائك. فصرتم كيانًا واحدًا. ولتفعيل التعويذة يجب أن يتحرر من أسر جسدك. وليتحرر يجب أن تموت. وبموتك ستفقد قدرتك على التنبوء بالموت.

شهقت في عنف ولأول مرة انتفضت من مكاني لأواجهها. وأنا أرددفي هلع واضطراب:

- موتي أنا ؟!

ردّت ببساطة :

- نعم موتك أنت، الامتزاج بينك وبين مُعَلِّمي يوناس هو ما حدد موتك كوسيلة وحيدة لإتمام التعويذة، وكسر الصلة التي تربط بينكما.

وهنا ثُرْتُ وهممت بمهاجمتها عندما شعرت بالمخالب تُكَبِّلني، وتُلصِقُني بالحائط الذي شعرت به يميد بي للحظة قبل أن أذرف دموعي بشدة، ويجتاحني حالة من الوهن، والغريب أنها تجاهلت ثورتي، وحالتي، وأكملت :

- لا أخفي عليك سرًا، إن حاجتي للسنوات التي تفصلني عن الموت مُهِمَّة جدًا، لأتمكن من علاج جسدي الحالي، فالتحول الذي قمت به أضعفه وأوهنه، وجعل هذه الطُّفَيْلِيّات السحرية تمتص قوتي، إنني أعاني من مرض سحري مجهول، أشرفتُ على مداواته، ولكني مازلت بحاجة للمزيد من الوقت ليتم الشفاء بالكامل ، ولا أرغب أن يداهمني الموت قبلها بعد أن امتلكت مصدر العلم، والوسيلة التي ستساعدني لفك طلاسمه .

لم يكن مُقَوِّمًا للأسنان كما توقعت، بل كان مرضًا سحريًا مجهولًا، نتيجة تحولها لما يُخالِف هيئتها الطبيعية.

فالسحر علم وله آثاره الجانبية المُخِيفَة، وهذا هو أحد الأعراض، وهنا قفز سؤال لرأسي فتحدث به لساني :

- وما فائدة أن تُكْمِلي العلاج وأنتِ سَتُوقِفِين الزمن، وبالتالي لن يتطور المرض أكثر ؟!.

أشاحت بمخالبها في يأس، وقالت :

- مهمتي ليست هَيِّنَة أو بسيطة ويجب أن أكملها وأنا بصحة جيدة، إنني تخطيت منتصف عمري منذ قرون بعيدة، والمرض سيقلل من قدراتي

العقلية وسَيُشَتِّتني، إنَّ ما تراه خارجيًا هو أقل أعراضه، إنه كالسرطان البشري ينهشني من الداخل، كما أن لإيقاف الزمن تأثيره المُدَمِّر على المدى البعيد، والغوص بداخل كتاب ابن الشيطان ليس بأقل خطورة.

حاولت أن أستوعب الجزء الأخير فلم أقدر، فتسائلت قائلًا :

- ما معنى الغوص في كتاب ابن الشيطان، أليس كتابًا عاديًا من ورق أو جلد فيُقرأ ؟!.

منحتني نظرة لا معنى لها، قبل أن تقول بضيق:

- الأمر ليس بالبساطة التي تتحدث بها، فلو كان الأمر يُقَاس بمقاييس البشر لما سلكت كل تلك السُبل المعقدة لأحظى بالمعرفة، فالكتاب لا يتم قراءته بل يتم التعايش مع أحداثه يومًا بيوم، في رحلة زمنية معكوسة من النهاية إلى البداية، وحتى اللقاء العظيم الذي ضَمَّ آدم والشيطان والملائكة وخالق الكون، كما هو مُسَجَّل ومُدَوَّن في كل كتب التاريخ والأديان.

هي رحلة عبر الزمن أحتاج فيها لكل قوتي كي لا تهزمني التعاويذ التي تحميه، وتطردني خارج البرزخ الذي تدور فيه أحداث وتفاصيل الكتاب الشيطاني، الذي لا يشبه أيَّ كتابٍ أخر على وجه الكون، فهل فهمت ؟!

حاولت أن أتَفهَّم طبيعة الكتاب العجيبة، وكما يحدث معي منذ بدأ هذا اللقاء عجز عقلي عجزًا تامًا عن الفهم، ولكنه انتبه لحديثها التالي :

-كما أن هناك خطر كبير يتهددني ويتهددك، وأحتاج قوتي كاملة للتصدي له، بُقعَة الحائط التي رأيتها منذ بُرهَة كانت مُحَاوَلَة اختراق فاشلة لأول دروع الثغرة المحمية بين العالمين، والتي نَقَلْتُكَ إليها ليتم هذا اللقاء، عن

طريق ذرية الشيطان اللذين لن يملوا حتى يُقدِّمُوا راسي لأميرهم ابن الشيطان.

لن يكون هناك مكان أمن لأيًا منا لو سيطر عليَّ ضعفي ومرضي، ولكني قادرة برغم كل هذه الضغوط والأخطار على حمايتك حتى يحين موعد لقائنا التالي، فجسدي يُشفى ببطء ولكن بكفاءة .

سقط قلبي في قدماي عندما ذكرت موعد موتي، ولا أعرف لماذا أصبحت أخشى الموت بهذه الطريقة ؟

ولأول مرة أعايش إحساس نجيب، عندما أخبرته بموعد موته، فبدأ يقينه يهتز.

لم أعرف لماذا لم أعد مُتقبِّلًا بعدها أيَّ حديثٍ منها، ولكنها كانت تُصِرُّ عليه، فرُغمًا عني عدت لأُنصِتَ بقلبٍ واجفٍ كاره.

- كان عليك أن تعرف كُنه تضحيتك ومغزاها، وتدرك ما يدور حولك، لأن هذا اللقاء، هو اللقاء الوحيد الذي سيتم بيننا حتى لقائنا الأخير، ولو أن الأمور تطورت في اتجاه أخر غير محسوب سيكون وليد أو أي من أصدقائك هو الوسيط بيننا ، يجب أن تتوارى في الظل حتى الوقت المعلوم.

لمحت نظرات الكراهية على وجهي، فاستطردت :

- لا تحزن كثيرًا فربما حدث هذا اللقاء بعد عشرات السنوات من الآن، فدورة عمر الجن تمتد لآلاف السنين، وربما نلتقي في لحظة احتضارك، وتُفقِدُني أنتَ سنواتٍ ثمينة قد أكون بحاجة إليها وقتها، فلاشيء مضمون.

مززت رأسي في يأس، فبرُغم كلِّ شيء، وبرُغم قدراتها وعلمها وجنونها، مازال للقَدَر الكلمة الأولى والأخيرة في تحديد مصيرها ومصيري.

وربما يفاجئها الموت أو يفاجئني في أيِّ لحظة دون نذير، فيُضَيِّعُ كل ما سعت إليه سُدى، وهذا شيء يتمناه قلبي بشدة بعد أن أفسَدَت عليَّ حياتي.

أعتقد أنها كانت مُدرِكَة لكل ما يدور بداخل عقلي، وعلى الأساس جاءت نصيحتها وتحذيرها الأخيرين، فقالت :

- استمتع بالحياة ما استطعت إليها سبيلا ، ولا تكن أحمق فتُفسِدُها على نفسك، وابتعد عن عوالم الجن والمحظور، فأنت أوهن من ورقة شجر في مسار إعصار، سيطر على نفسك ولا تُجازِف، فأنا سأحميك من العدو الخارجي فقط، فلا تكن عدوَّ نفسك، فأنا أحتاج لسانك وليس نظرك أو أطرافك، احفظ العهد تَحفَظ حياتك وبدنك .

وللحظة تعلق بصرى بالساعة الرملية، ثم بوجهها المُخِيف الموشوم!.

متى وُشِمَ وجهها ؟!.

لا أعرف ولا أريد أن أعرف، فربما كان عَرَضًا سحريًا آخر لمرضها، وربما كانت تعويذة حماية، أو شيء يجعلها تعتقد نفسها أجمل، فهي في النهاية أنثى.

بدأ وجهها يهتز، بل جسدها كله، أو أن بصري هو الذي يزيغ لا يمكن أن أُحَدِّد.

قبل أن أشعر بالمخالب الخفية تتخلى عن جسدي وروحي نهائيًا، ليعود الضباب الدُخَّاني ليغمر المكان، قبل أن تتلاشى تلك الماردة من فوق العرش، ويعود كلُّ شيء كما كان قبل أن ألتقي تلك الماردة، ولتظهر انتصار

وخلفها ذلك الطفل السَمج، الذي فاجأني صوته الذي صِرْتُ أكرَهُه أكثر من الوباء والموت :

- مُخِيفَةٌ جدًا أمي، لذلك أعشقها.

قالها ثم أخذ يضحك في مُجُون بطريقة لا يمكن لصبي في عمره أن يحوذها ،فمَنَحتُهُ نظرة كارِهَة، وأنا أُلَمْلِمُ نفسي من فوق الأرض بصعوبة، قبل أن أنهض لأسلك طريقي نحو الزَحمَة في مسعاي صوب الباب، وقبل أن أغادر استدرت لتلك المرأة انتصار، وألقيتُ عليها سؤال أخير طرأ على ذهني:

-ومن أنتِ أيضًا ؟!

ابتسمت هي الأخرى ابتسامة جَذِلَة لا أعرف لها سببًا، قبل أن تدور حول نفسها، ليتوهج المكان للحظة، ومعه تلاشت هيئتها البشرية، وليظهر وجهها المُخِيف كثيف الشعر، وعيناها الصفراوين المشقوقتان طوليًا، لتقول بصوتٍ كالعويل :

- أنا خادمة سيدتك، وحامية المكان، وحارسة البرزخ، يُطلِقُونَ عليَّ في عالمكم الغُولَة، وأنت أيها السعيد أول من يُقابِلُنِي ويُغادِرُ حيًا.

تردد صدى ضحكتها في رأسي وأنا أغادِرُ الشقة، التي تلاشت هي والبناية من أمامي ما أن غادرتها.

لأجد نفسي جالسًا في سيارتي، مُتطلِعًا لعينيْ تلك القطة السوداء الزُمُرُدِيَّة ذات الشعر المنفوش، وكأنني لم أُغَادِر السيارة قَطّ، في حين كانت عقارب الساعة في يدي متوقفة عند العاشرة مساءً!.

خاتمة

في تلك الليلة العصيبة عدت لمنزلي مُنهَك، مُحَطَّم، بذهنٍ مُشَوَّش، وروحٍ مُثقَلَة. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا، كل من في البيت قد أسَرَتْهُم جِنِيَةِ النوم، وهذا أراحني كثيرًا، فدخلت مباشرة إلى غرفتي، وألقيتُ جسدي الذي يتوق إلى الراحة فوق الفراش، مُحَاوِلًا النوم وطرد كل ما يدور بداخل عقلي من أحداث.

كنت أشعر بحالة من الدُوَار والتَوَهان، وكأنني مُقبِلٌ على المرض، وللحظة شعرت أن كل شيءٍ غير حقيقي، لقائي بنجيب وبتلك الماردة، وبذلك الطفل المُخِيف وعَمَّتُهُ الغولة، وكان لديَّ يقين أني سأنام وأستيقظ لأجد أن كل ما مَرَّ بي مجرد وهم، وهواجس.

ساعة كاملة ظَلَّ فيها جسدي يرتجف، وبكل صعوبة استطعت أن أسيطر على نفسي، وأنا أُخبِرُ أبي - الذي ربما شعر بحالتي فأتي ليطمئن عليَّ - أني لن أتناول طعام العشاء، لأني بحاجة إلى النوم دون أن أُثِيرَ قلقه.

وفي النهاية أجبرني الإرهاق على النوم، فنمت لأثني عشر ساعة كامة، قبل أن أستيقظ هلعًا على مانمت عليه.

أفادني النوم كثيرًا برغم كميات الكافيين والنيكوتين التي كانت تسري في دمائي، ومع شعوري بالقوة والحيوية كان عليَّ أن أقف على أرضٍ صلبة، لقد بدأ الأمر مع نجيب، وبالتالي لو لم يكن له وجود فَكُلُّ مامررتُ به سيكون مُجَرَّد هلاوس.

هو نقطة الثبات التي يمكن أن أتحرك من خلالها، وساعتها لن يكون هناك ماردة، أو كتاب للشيطان يكشف سر الكون الأزلي، وليس هناك غُولَة، وقدرتي على التنبؤ بالموت هي هِبَةٌ من الخالق، وأن موعدي المؤجل مع الموت لا أصل له.

بحثتُ في محفظتي عن الكارت الذي منحه لي، فلم أعثر له على أثر، فَكِدْتُ أجَنّ.

عصرتُ مُخي لأتذكر صفحة الفيس بوك التي لمحت نجيب المهندس يتصفحها أثناء وجودنا معًا، وأتذكر هيئته التي كان عليها، واسمه الذي كُتِبَ باللغة العربية، وفتحت المتصفح، وقلبي يخفق في عنف.

كان هناك حسابين فقط يحملان نفس الإسم على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، أحدهم لشخص يمني الجنسية، والأخر لنجيب نفسه، بنفس صورته وهيئته التي أذكرها.

ضغطت على الأيقونة التي تمثل صورته، فانفتح حسابه على موقع التواصل الإجتماعي، للحظة لمحت ماكُتِبَ على الصفحة، كان هناك من ينعيه بعد موته في حادث مروع سحق سيارته وهشم جسده ، قبل أن يخبرني موقع الفيس بوك أنه حساب لا يمكن الوصول إليه.

كدتُ أن أحطِّمَ شاشة الحاسوب التي تواجهني من الغضب، لقد ضاع آخِرُ أثرٍ يدلُّ على وجود نجيب، ويمكن أن يؤكد لي على حقيقة مامررت به.

كما أن زيارتي لنفس البِنايَةِ لم تُسْفِر عن شيء، برغم أن كل التفاصيل التي عايشتُها موجودة وحاضرة.

البوابة الأنيقة .. الثُرَيَّا.. المِصْعَد.. والشقة رقم 76، وبابها الخشبي.

كل شيء كما رأيته في لقائي المشئوم، دون أثر لأيّ شيءٍ آخر، حتى الشقة نفسها يسكنها زوجان عجوزان لا علاقة لهم بعالم الجن، ولا يشبه ديكورها الشقة التي تم فيها اللقاء.

كدت أجَنُّ لفترةٍ من الزمن حتى بدأ الأمر يَفتُرُ بداخلي، ولم يكن يتجدد إلا عندما أرى تلك النظرة المُنكَسِرَة على وجه بعض من قابلتهم في حياتي، دون أن أجرؤ على أن أُخبِرَهُم بحقيقة موتهم الوشيك، وحتى الآن لم يأتِني الهاتف ليخبرني بموعد موت أبي الذي أتمنى لو أسبقه أنا إلى القبر قبلها.

فقط ما أثار الخوف بداخلي هذه الليلة، وما أجبرني على تدوين كل هذه التفاصيل كي أتركها لمن بعدي لعلها تكون ذات فائدة في يومٍ ما.

هو ذلك الطفل المُخِيف الذي يحمل القِطُّ الشيرازي، والذي لمحته مساء أمس عبر نافذة غرفة نومي، وهو يُشِيرُ لي وعلى وجهه ابتسامةٌ سَمِجَة، والذي سمعتُ صوته برغم بُعْدَ المسافة يتردد بداخل رأسي، وهو يقول بِعَبَث:

- أما زلت لا تحب الأشياء المُخِيفَة.

قالها ثم تلاشى في الظلام، ومعه تلاشى كلّ سلامي النفسي، وبدأتُ أوقِنُ أن موعدي معها، ومع الموت أصبح قاب قوسين أو أدنى..

وداعًا..

تمت بحمد الله


fb/Sa7er.Elkotob
ساحر الكتب

إهداء

الصديق العزيز أحمد عبد السلام :

- بررت بوعدي لك برغم مرور السنوات، وأصبحت أنت بطل روايتي الجديدة، رغم أن الأحداث الجهنمية، التي مررت أنت بها في عوالم المحظور ، هي من صنعت لُب هذا العمل .

الصديق العزيز محمد عبد الرحمن :

- نصائحك الثمينة أفادتني كثيراً ، أشكرك، وأهنيء نفسي على صداقتك .

الأصدقاء الأعزاء : محمد مظهر، محمد عامر، أحمد رمضان ، إسلام سمير.

- إني أحبكم في الله .

الجميلات :

- فاتن فاروق، ريم أبو عيد، عصمت محمد، مريم خالد، مروة عماد، سارة مصطفى، هدير جمال، أيه عبد الفتاح، إسراء عادل، ايمان خضر، سحر خضر .

- شكرا على دعمكم الدائم لي .

شكر خاص إلى

- جدتي الحنون، أمي الغالية، زوجتي الحبيبة، أبنائي (صفاء ،كوثر ، محمود ، ملك).

- شقيقتي الرقيقة، وزوجها، وأبنائها (أحمد، يمنى).

- شكراً لكم لتحملكم شخص مثلي ، تسرقه الكتابة ، وترهقكم بحثا عنه.

تهنئة رقيقة من القلب

- إلي خالي العزيز محمود، وزوجته الجملية، بقدوم أول الأحفاد :

فريدة حسام محمود زايد .

عمرو المنوفي

صدر للكاتب

- وبدأ الظلام — رواية
- حديث الموتى — مجموعة قصصية
- في مملكة الغيلان — رواية
- الملعون — رواية
- نصف حياة — رواية
- الشفق الأسود — رواية
- عزيف — رواية
- الاستدعاء الأخير — رواية
- سايكو — مجموعة قصصية
- همسات— رواية
- المسخ — مجموعة قصصية
- شمس المعارف — رواية

للتواصل مع الكاتب

A_elmenofy@yahoo.com

https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn_tnmn

جروب عزيف

https://www.facebook.com/groups/1461080240772097

المصادر :

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة .
- البداية والنهاية لابن كثير .
- رحلتي من الشك إلى الايمان د. مصطفى محمود .
- حوار مع صديقي الملحد د. مصطفى محمود .
- الله لعباس محمود العقاد.
- الشعر الجاهلي طه حسين .
- مقالات متنوعة للكاتبين : مؤمن المحمدي، ومحمود جمال .
- الروح لأحمد فهمي أبو الخير .

شخص يتنبأ بالموت. و أخر لا ديني. وثالث يقضى عدة أيام فى عالم الجن. وفتاة تتزوج جنى. وعمل سفلى شرير. وشقة ملعونة. وغولة عابثة. وماردة عجوز سرقت كتاب يحوى حقيقة اللقاء الأعظم من ابن الشيطان. وساعة رملية توقف الزمن لعشرة آلاف عام. ووعد مؤجل بالموت كلها تفاصيل بسيطة ستعرف ما يربط بينها عند قرائتك لهذه الرواية.



ISBN 9789777780452
9 789777 780452

